
المجمع العلمي
بغداد
مجلة المجمع العلمي
مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م - الجزء الرابع - المجلد الثامن والاربعون
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م





مجلة المجمع العلمي



الجزء الرابع ـ المجلد الثامن والاربعون
بغـــداد
١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م

شروط النشر وضوابطه

١ ـ تنشر المجلة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية وبما يسهم في تحقيق اهداف المجمع .

٢ ـ لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعى الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة .

٣ ـ يشترط في البحث ان لايكون قد نشر او قدم للنشر في مجلة خرى.

٤ ـ تعرض البحوث المقدمة للنشر في المجلة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى اصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .

٥ ـ هيئة تحرير المجلة غير ملزمة برد البحوث الى اصحابها في حالة عدم قبولها للنشر .

٦ ـ يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات التالية :

أ ـ ان يكون مطبوعاً على الآلة الكاتبة او مكتوباً باليد بخط واضح وجيد وعلى وجه واحد من الورقة .

ب ـ ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل اسم الكاتب وعنوانه كاملا باللغة العربية .

جـ ـ يجب ان لا تزيد عدد الصفحات عن (٣٠) ثلاثين صفحة وبما لايتجاوز (٧٥٠٠) سبعة الاف وخمسمائة كلمة .

د ـ ان يكون مستوفياً للمصادر والمراجع ، موثقة توثيقاً تاماً حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي .

هـ ـ يرفق بالبحث ما يلزمه من اشكال او صور او رسوم او خرائط او بيانات توضيحية اخرى ، على ان يوضح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار الى المصدر اذا كانت مقتبسة .

و ـ ان تستخدم في البحث المصطلحات المقرة عربياً .

ز ـ يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والانكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص .

ح ـ تكتب الكلمات الدالة باللغة الانكليزية .

٧ ـ يعطي صاحب البحث ـ عند نشره ـ ثلاث نسخ من المجلة مع عشرة مستلات من بحثه .

البحوث لاتعبر بالضرورة عن راي المجمع العلمي

مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

ـ توجه البحوث والمراسلات الى : رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي المجمع العلمي ـ ص . ب. (٤٠٢٣) بغداد ـ جمهورية العراق هاتف : « ٤٢٢١٧٢٣ ـ ٤٢٢٢٠٦٦ » فاكس : ٤٢٥٤٥٢٣ / ١ ـ ٩٦٤

E-mail : aos@uruklink.net

ـ الاشتراكات : داخل العراق (٤٠٠٠) دينار سنوياً .

خارج العراق (٥٠) دولار امريكي سنوياً وتضاف اجرة البريد .

الفهـــرس

الموضـــوع — الصفحة

((محور الزواج المبكر))

تطـورات هامة في تقانة المـواد
ـ حلول عصر البوليمرات غير العضوية والهجينة ـ

الدكتور جلال محمد صالح
عضـو المجمع العلمـي
واستاذ في جامعة بغداد

الخلاصـــة

شهدت العقود الاربعة الاخيرة من انقرن العشرين ثورة عارمة في تقانة المواد فحلّ البلاستك والبوليمرات (اللدائن) محل الكثير من المواد الطبيعية والمعدنية . وبرزت الحاجة الى ايجاد مواد جديدة مشتقة من أصول غـير عضوية لايتطلب تحضـيرها طاقة عالية . كما ان الثبـات الحراري ومقاومة التأكل والخصائص الميكانيكية والكهربائية الجيدة تعد الان من متطلبـات اختيار المـواد للصناعة الحديثة . وقد أثبتت البحوث والدراسات أن المواد البوليمرية غير العضوية تتمـتع بكثير من هـذه الخصائص بنسبة أعلى مـن المواد البوليمرية العضويـة المعروفـة . وتصنف المـواد مثل البلاستك غير العضوي والسيراميكيات والزجاجيات والسمنتيات في الـوقت الحاضر ضمن المواد البوليمرية غير العضوية . كمـا أثبتت التجارب أن السلاسـل البوليمريـة اللاعضويـة وشبيكاتها الذريـة والجزيئيـة تكتسب خصائص ميكانيكية وحرارية وكيميائية أفضل عند ادماج عناصر مثـل الفسفـور والنتروجين والكبريت في بنياتها المشتملة أصلا على السليكون والاوكسجين . ومثل هذه المـواد الهجينـة أصبحت تصمم حاليـا لتكون مـواد الصناعة الحديثة في القرن الحادي والعشرين .

تمهيـــد

ان الحاجة الى خفة الوزن في جميع أشكال المواد المنقولـة أدت الـى اعادة تقويم موضوع استعمال الفلزات والمعادن في تصميم هياكل الطائرات والبواخر والسيارات وفي الكثير من الحاجيات الاخرى بهدف العمـل بمواد أخف وزنا وبخصائص مكافئة أو أفضل • وتحتاج صنـاعات الاتصـالات الالكترونية والسلكية أيضا الى مواد جديدة للاحلال بمحل الكثير من المواد المعدنية التي تعتمد عليها تلك الصناعات • ولاننسى أننا مقبلـون على زمـن تزداد فيه كلفة الطاقة باطراد ، وان المواد التي اعتمدت صناعتها سنين طويلة على الهيدروكربونات العضوية (أي البوليمرات العضوية) أخـذت تشـح الآن وقد تصبح نادرة • يقدر الخبراء الطاقة الكلية المصروفـة في الوقـت الحاضر لانتاج ما يسد حاجة العالم من حديد الصلب والبلاستيك والاليـاف المصنعة والالمنيوم والسمنت ••• ألخ خـلال عام واحـد بأنها تكافىء الطاقة المتولدة من احراق سدس بترول حقول النفط في العالم • فالحاجـة تشتد في الوقت الحاضر لايجاد مواد جديدة شرط ان تكون مشتقـة من اصول غير عضوية وأن تكون قابلة للتشكيل وتمتاز بالثبات الحراري ومقـاومة التآكل وبالخصائص الميكانيكية والكهربائية الجيدة •

بدأ البحث الجاد منذ السبعينيات من القرن العشريـن عـن بـديل مناسب للاسبست الذي رحل حينئذ عن سوق المـواد بسبب سُمِّيته العالية وتفاقم أضراره على صحة مَنْ يتعاملون معه • اذ تتمتع الالياف الاسبستيـة بمقاومة حرارية عالية لذا فانها دخلت في صناعة بعض المواد السمنتية وفي تبطين الكابحات وفي صنـع ملبوسـات مقاومـة للحـرارة ، واستعملت في الافران لاغراض العزل الحراري • وقد تبين بعد مضـي ثـلاثة عقود على الاستخدام الكثيف للاسبست أنـه يتسبب في أمراض الرئة المزمنة ويـؤدي

الى التهاب الانسجة الخلوية فيها . وظهر للمختصين في المجال الطبي بما لايقبل الشك أن لحجم دقائق الاسبست التي تستنشق من قبل الانسان علاقة وثيقة بحدةالالتهابات الخلوية الناجمة عنها . لذا فرض الحضر بشدة على التعامل مع الاسبست ، واله برحيل هذه المادة من السوق فقد تركت فراغا لم تجد الصناعة العالمية حتى الان بديلا مناسبا عنها .

وأثبتت الدراسات والبحوث والاستخدامات الميدانية للبوليمرات العضوية أنها لا تفي تماما بمتطلبات الصناعة الحديثة بسبب قلة ثباتها الحراري لاسيما اذا ما قورنت بالأسبست ؛ وانها تعاني نقصا ملحوظا في بعض خصائصها الميكانيكية . كما ان لهذه البوليمرات ميلا ، وان كان بطيئا ، للتفاعل مع بعض المذيبات وبضمنها الماء . لهذه الاسباب وغيرها اتجهت الصناعة الحديثة صوب تحضير المواد البوليمرية غير العضوية بمزايا أفضل مما للكثير من البوليمرات العضوية المعروفة . فقد ثبت أن هذه المواد تمتاز بالتفوق في ميدان النفرة من الماء ومن بعض المذيبات ، ولها مقاومة أعلى لدرجات الحرارة العالية .

ان البوليمرات اللاعضوية المحضرة المعروفة تمثل طيفا واسعا من المواد تضم السليكونات والبلاستك اللاعضوي والسيراميكيات والزجاجيات والسمنتيات وأنواعا مختلفة من الالياف . وتبذل المساعي الجادة حاليا لتطوير هذه المواد وتحسين خصائصها الحرارية والميكانيكية والكيميائية من خلال تحضير مواد مهجنة منها . ونجحت جهود المختبرات البحثية العالمية في تحضير سلاسل بوليمرية لاعضوية بادماج ذرات الفسفور والنتروجين والكبريت مع السليكون والاوكسجين في الشبيكة البلورية البوليمرية ، فأخذت هذه المواد تحضر وتصمم لتكون المواد الحديثة في القرن الحادي والعشرين .

يبين الجدول (١) الكلف النسبية للطاقة اللازمة لانتاج وحدة حجم من المواد المتنوعة الشائعة في يومنا هذا قياسا بكلفة انتاج سمنت بورتلاند • ويؤخذ سمنت بورتلاند عادة أساسا في اعداد مثل هذه المقارنة لانه يُعد مادة بوليمرية مصنعة لا عضوية يتم تصنيعه وانتاجه في معظم بلدان العالم ، ولأن صناعته تعتمد على مواد خام معينة مثل أكاسيد الكلسيوم والالمنيوم والسليكون وكبريتات الكلسيوم • وتكاد تتوفر مثل هذه المواد في معظم دول العالم المنتجة للسمنت ، وأن تصنيع السمنت باستخدام هذه المواد الاولية لايتطلب كما هو معروف بذل طاقة كبيرة • ومن مميزات السمنت الاخرى أنه يتصلب بسهولة في درجات الحرارة الاعتيادية، ويمكن التحكم في قولبته • والسمنت فوق كل ذلك مادة لاتفسد ولا تحترق وأنها غير سامة • ومثل هذه المزايا الكثيرة قلما تجتمع في مادة واحدة كما هو حاصل مع السمنت • وبهذه الصفات الحميدة يتعجب الانسان لماذا أقتصر استخدام السمنت الهيدروليكي طوال السنين الكثيرة المنصرمة على الأنماط والصيغ المعروفة والشائعة منها حاليا، ولم يتعدها الى صيغ وأشكال جديدة تتناسب وروح العصر الذي نمر به والحاجات المتجددة للمجتمعات • ويلاحظ في الجدول (١) ان المواد غير العضوية مثل الزجاج تتميز على الفلزات والسبائك الفلزية وعلى الكثير من البوليمرات العضوية المتداولة حاليا من حيث قلة الطاقة اللازمة لانتاج وحدة حجم منها •

الجدول (١) ــ الكلف النسبية للطاقة اللازمة لانتاج وحدة حجم من مواد مختلفة • اتخذ سمنت بورتلاند في هذه المقارنة أساسا ، واختير الواحد الصحيح لكلفة طاقة الحصول على وحدة حجم منه• الارقام الاخرى في الجدول محسوبة نسبة الى قيمة الواحد الصحيح المتخذة لكلفة انتاج وحدة حجم من سمنت بورتلاند •

المـــادة	كلفة الطاقة لوحدة حجم منها	ملاحظـــات
سمنت بورتلاند	ـــر١	الاساس في وضع هذا السلم
زجاج الصفائح	ـــر٣	الزجاج العادي
PVC	٨ر٣	متعدد كلوريد الفنيل (بوليمرعضوي)
LDPE	٢ر٤	انواع خاصة من الزجاج
HDPE	٤ر٤	أنواع خاصة من الزجاج
متعدد الستايرين	ـــر٦	بوليمر عضوي
حديد الصلب	٢ر١٩	فولاذ
حديد الصلبالمقاوم للصدأ	٨ر٢٨	فولاذ مقاوم للصدأ
المنيـــوم	٨ر٣١	
خارصين	٨ر٣٤	

الخصائص الميكانيكية للمـــواد تفرض عـــادة نفسها لاغراض تحديـــد مجالات استخداماتها ، ونشير من تلك الخصائص الى :

١ ـــمعامل يـــونك (Young's Modulas) للمرونـــة الذي يقـــاس عـــادة بوحدات الباسكال (Pa) أو مضاعفاتها مثل كيكا باسكال (G Pa).

٢ ـــ مقـــاومة الشد (Tensile Strength) أو ما يسمى أيضـــا بالشـــد الانحنـــائي (Flexural Strength)' ، وتقاس بوحدات الباسكـــال أو بمضاعفات هذه الوحدة مثل ميكا باسكال (M Pa).

٣ ـــ متانة الكســـر (Fracture Toughness) وتسمـــى أيضـــا بالقســـاوة (Toughness) وتقـــاس بالجـــول علـــى المتـــر المربـــع (Jm^{-2}) وهي معكوسة الهشاشة .

يبين الشكل (١) مقارنة عامة لهذه الخصائص الثلاثة لبعض المواد العضوية واللاعضوية والفلزية والسبائك المتداولة في يومنا هذا • يوضح الشكل أن السمنت البورتلاندي يتمتع فقط بقيم جيدة لمعامل يونك للمرونة، وهو بهذه الصفة يرقى الى مستوى بعض الفلزات أو اللدائن المعروفة • وبالنظر للقيم الواطئة لكل من مقاومة الشد ومتانة الكسر للسمنت فانه لايرقى بهذه الصفات الى مستوى الفلزات والمعادن ، لذا فانه لايستخدم في الحالات التي تستدعي الشد العالي الا اذا كان مدعوما (مسلحاً) بحديد الصلب أو ببعض الالياف • ويتضح من الشكل (١) أيضا أنه بالنسبة الى المواد غير العضوية ذات الاستخدام العام فانه يجب أن تكون قيمة معامل يونك عالية تزيد على ١٠ بوحدات G Pa ، وأن لاتقل قيمة مقاومة الشد (أو الشد الانحنائي) عن ١٠٠ بوحدات M Pa ، وأن لاتقل قيمة طاقة متانة الكسر عن ١٠٠٠ جول للمتر المربع (Jm^{-2}). وبتحقيق مثل هذه المواصفات ترقى المادة التي يقع عليها الاختيار للاستخدام العام الى مستوى بعض أنواع الزجاج الجيد والى مستوى بعض البوليمرات العضوية وكذلك الى مستوى بعض الراتنجات المعتمدة عالميا •

البوليمرات اللاعضوية المعتمدة

سنتطرق في هذا الباب الى بعض البوليمرات غير العضوية التي ترقى بخصائصها الحالية أو بعد اجراء بعض التحسينات عليها الى المواصفات العالمية لاعتمادها لاغراض الاستخدام العام او الخاص في الوقت الحاضر• وسنتناول على وجه الخصوص السليكونات والبلاستيكات اللاعضوية وبوليمرات الفوسفازينات والسمنت المطاطي الحراري وكذلك بعض السيراميكيات والزجاجيات • وسوف يمتد الحديث بنا الى موضوعات التهجين من هذه المواد اللاعضوية والمواد البوليمرية العضوية للحصول على

مواد جديدة تنال قبولا اكبر في مجال الاستخدام والتي تتوفر فيها خصائص كيميائية وميكانيكية وحرارية أفضل مما للبوليمرات غير المهجنة • ويؤمل أن تكون هذه المهجنات من المواد المعتمدة عالميا خلال القرن الجديد •

١ ـ السليكونات والبلاستيكات غير العضوية Silicones and Inorganic Plastics

البوليمرات غير العضوية مثل السليكونات والبلاستيكات غير العضوية أخذت تحتل مكانا مرموقا في عالم المواد في عصرنا الحالي • وكان هناك تطور مستمر في استخدامات هذه المواد وتطبيقاتها من جراء المرونة العالية التي تتمتع بها سلاسلها البوليمرية ولوجود القوى الجزيئية الضعيفة بين هذه السلاسل • واننا نتعامل مع هذه المواد بصيغ وأشكال متنوعة ، فهي تستخدم ملمعات وفي صناعة الاصباغ وفي تحضير المعاملات في الصناعة النسيجية ، وفي صنع مواد الأسنان وفي بعض أنواع البناء • وتستخدم السليكونات زيوت تشغيل في بعض المضخات مثل مضخات تفريغ الهواء • وتستعمل هذه المواد كذلك زيوت رش لازالة الماء عن هياكل السيارات والمحركات •

وشملت الاستخدامات الحديثة للبلاستيكات غير العضوية تحضير سوائل منها والتي سرعان ما تتحول الى مادة مطاطية بعملية الفلكنة (اضافة الكبريت اليها) والتعريض للجو بدرجات الحرارة الاعتيادية • ويستخدم مثل هذا النوع من المطاط السائل لعمل بعض أنواع الاغشية مثل الكاسكيتات (Gaskets). • وتدل هذه الانماط من استخدامات السليكونات على سهولة تحول هذه السوائل الى غشاء واقٍ بالتجمد في درجات الحرارة الاعتيادية ، وعلى قدرة هذه الاغشية على مقاومة درجات الحرارة العالية ، وعلى امكاناتها الجيدة لاغراض العزل الحراري ، وتمتاز أيضا بنفرتها الجيدة من الماء •

أخذت مجالات استخدام السليكونات تتسع وتنتشر بصورة مطردة، فاستعملت مؤخرا في أغراض الجراحة التجميلية وفي اصلاح الخرم والثقوب في الجهاز السمعي الشمي ، وفي اصلاح بعض العيوب في بنية الأذن ، وفي عمل بديل لمفصل الاصبع ، وشفرة لترقيع الاعضاء البشرية وفي عمل الثدى الصناعية . ومطاط السليكونات يتمتع بنفاذية عالية للاوكسجين ، وساعدت هذه الخصيصة على ارتداء العدسات اللاصقة في العين التي تُصنع عادة من هذا النوع من المطاط .

يتم تحضير السليكونات بطرائق مختلفة ولعل أكثرها شيوعا هي التحلل المائي لثنائي مثيل ثنائي كلوري السيلان ، فيستحصل بذلك على مائع الذي يتكون من مزيج من بوليمرات ذات سلاسل قصيرة ومركبات حلقية . وللحصول على بوليمرات مائعة ذات أوزان جزيئية عالية لغرض تحضير راتنجات بلاستيكية منها يتم فصل ثماني مثيل رباعي السيلوكسان ($(Me_2SiO)_4$) من المزيج . فهو يتبلمر من المحلول بفعل عامل مساعد بدرجة (١٠٠ ــ ١٦٠) مئوية في وجود سداسي مثيل ثنائي السيلوكسان لغرض السيطرة على الوزن الجزيئي المطلوب وللحصول على مجاميع طرفية مستقرة في البوليمر المتكون (لاحظ المخطط ١) .

٢ ــ متعددات الفوسفازينات Poly phosphazenes

يتم تحضير الفوسفازينات الحلقية بتسخين مزيج من خماسي كلوريد الفسفور وكلوريد الامونيوم في مذيب خامل مثل الكلوروبنزين أو رباعي كلوري الايثان (المخطط ٢) . وهذه النواتج الحلقية تعطي عند البلمرة أشكالا متقاطعة الارتباط من متعدد ثنائي كلوري الفوسفازين المعروف بالمطاط اللاعضوي . والمطاط اللاعضوي هذا يُعد مادة تقنية ثمينة . ان من مثالب هذا المطاط ميله الى التفاعل ببطء مع رطوبة الجو (أو مع الماء) لتكوين حامض الفوسفوريك والامونيا وحامض الهيدروكلوريك . واستطاع العلماء

تحضير متعددات فوسفازينية خطية حلت فيها معوضات عضوية محل ذرات الكلور ، وبذا يمكن التخلص من ميل الفوسفازين للتحلل المائي، ويصبح بذلك مستقرا تجاه الرطوبة والماء •

وأمكن تحضير أنموذج من هذا البوليمر الذي يتمتع بدرجة تحول زجاجي عند (-٦٧) مئوية • وهذه المادة تتمتع بخصائص جيدة تجعلها صالحة للاستعمال زيوتا ووقودا ومضادات الانجماد وموائع هيدروليكية • ويستعمل البوليمر لصنع حلقات أوه (O-Rings) والاغشية التي تسمى بالكاسكيتات وفي تحضير ألياف خاصة منه ، وفي تحضير الرقوق ومعوقات الحرائق والمواد التي تقلل من تكوين الدخان في أثناء الحرائق والتي تساعد على تسهيل التجوية الجيدة •

ولمتعددات الفوسفازينات تطبيقات مهمة في الحقل الطبي والحيوي • وتستخدم بوليمرات الفلورو الكوكسي (Fluoroalkoxy) في صنع مواد احتياطية في الجراحة ، ولعمل مضخات القلب الصناعي والصمامات ، ولاستبدال أوعية الدم • وبعض مشتقات هذاالبوليمر (مثل أستر الحامض الأميني) تعد بوليمرات حيوية قابلة للانحطاط وسهلة الطرح خارج الجسم على هيئة حامض أميني وفوسفات وأمونيا • وتستعمل هذه المشتقات البوليمرية عوامل مساعدة لايصال الادوية الى بعض المواقع المستهدفة في الجسم ، وتساعد اضافة البلاتين الى هذه المشتقات البوليمرية للتغلب على الآثار الجانبية المضرة لتلك المشتقات •

٣ ــ السمنت المطاطي الحراري : Thermoplastic Cement

الكبريت المطاط يعتبر مثالا جيدا للبوليمرات اللاعضوية ، فهو معروف منذ سنين طويلة • وقد تعلمنا من المدرسة انه اذا سخن الكبريت الى ما فوق درجة (١٥٩ر٧) مئوية فانه ينصهر ، وان المنصهر المتكون يحتوي على مزيج متوازن من سلاسل كبريتية طويلة (تحتوي على $١٠^٦$ من ذرات الكبريت أو أكثر من ذلك) وعلى متعددات حلقية ذات سلاسل قصيرة • واذا تم تبريد

المنصهر بصورة مفاجئة الى درجة حرارة الغرفة (٢٥ مئوية) فانه يستحصل منه على الكبريت المطاط الذي يتكون من سلاسل طويلة تضم عددا كبيرا من ذرات الكبريت • واذا ترك الكبريت المطاط في الجو مدة من الزمن فانه يفقد مطاطيته ويتحول الىمادة هشة وتتبلور منه مادة ذات وزن جزيئي واطيء متحولا بذلك الى كبريت معيني • وانه على الرغم من صعوبة السيطرة الكاملة على هذه الهشاشة ولكن بالامكان السيطرة على عملية التبلور • أستخدمت هذه التقانة للحصول على مواد كبريتية كونكريتية وعلى تغطيات ذات مقاومة كيميائية جيدة • ان منصهر الكبريت المبرد الى ما تحت (١٥٩٫٧) مئوية يعطي كبريتا منشوريا يتحول فيما بعد الى كبريت معيني • ويتم هذا التحول خلال يوم واحد عادة في الظروف الاعتيادية : واذا احتوى الكبريت على ٥٪ وزنا من مادة مضافة مناسبة مثل ثنائي حلقي بنتا دائين (Dicyclopentadiene) فانه لا يظهر عندئذ ميلا للتحول الى كبريت معيني وان ترك في الجو عدة سنين • واستخدمت هذه التقانة في صنع السمنت المطاطي الحراري الذي يمكن استعماله في تحضير كونكريت الذي يتمتع بخصائص كيميائية عالية تجاه الحوامض والزيوت •

يتمتع بوليمر تريد الكبريت $(SN)_x$ بتوصيلية فائقة على الرغم من عدم احتوائه على ذرات فلزية موصلة • ويتم تحضير هذه المادة بعملية بلمرة في حالة الصلابة للمادة S_2N_2 التي يستحصل عليها عادة من التحلل الحراري للمادة S_4N_4 • ويتراوح التوصيل الكهربائي لبوليمر تريد الكبريت $(SN)_x$ من ١٢٠٠ الى ٣٧٠٠ اوم$^{-1}$ للسنتمتر في درجة حرارة الغرفة • وتزداد هذه التوصيلية بمقدار (٢٠٠) مرة عند خفض درجة حرارته الى (٤٫٢) كلفن • وتستحصل التوصيلية الفائقة في هذه المادة عند استمرار تبريدها الى درجة حرارة (٠٫٢٠) كلفن • والبوليمر $(SN)_x$ يعاني من الهشاشة ولكن بالامكان تحويله الى مادة لينة قابلة للطرق عند اضافة بعض المواد اليه، فتستعمل عندئذ في عمل صفائح رقيقة منها •

٤ ــ السيراميكيات والزجاجيات Ceramics and Glasses

بـدأ التفكير منذ أواخر الستينيات بموضـوع تصنيـف البوليمـرات اللاعضوية ، وهل يجب أن تكون بالضرورة من البلاستيكات • وقد بقى الامر هكذا حتى قام هوليـداي (Holliday) عام ١٩٧٠ بتحديد الحقول التـي يمكن تصنيف المـواد اليها وفق المخطط المبـين في الشكل (٢) • يتُميز في الشكل بوضوح وجود ثلاثة حقول :

ا ــ حقل مواد زمرة A :

ويشمل المواد التي تشتمل بُناها البلورية على شبكات لا عضويـة مكثفة • وتندرج في هذا الحقل مـواد مثل الماس والسليكا وسمنت بورتلاند والكونكريت والزجاجيات اللاعضوية وكبريتيد السليكون وتريد البورون• وتتمتع هذه المواد بدرجات أنصهار عالية وبالصلادة الكافيـة ولكنها تكون في الغالب هشة •

ب ــ حقل مواد زمرة B :

ويشمل البوليمرات الكربونية (العضوية) ، الطبيعية منها والمصنعة •

ح ــ حقل مواد زمرة C :

ويشمل البوليمرات اللاعضوية المصنعة مثل السليكـونات ومتعـدد الفوسفازينـات •

ان السطح الفاصل بين حقل مواد زمرة B وحقل مواد زمرة C لايكون عادة حادا ، ولكن الذي يفصل بـين حقل مـواد زمـرة A وحقل مواد زمرة B ، او الذي يفصل بين حقلي A و C يكون حادا وقاطعا • فدرجة الانصهار تختلف بحوالي (٢٠٠٠) درجة مئوية ، والصلادة بحوالي (١٠٠) مرة بين مواد حقلي A و B أو بـين

مـواد حقلـي A و C • واستنادا على هذا المخطط فانه يمكـن توسيع مفهومنا للبوليمر اللاعضوي بأنه يشمل جميع المواد التي تتكون بُناها الفقرية من جزيئات لاعضوية عيانية • وكان هذا هو المفهوم السائد طوال العقود الثلاثة الاخيرة من القرن العشرين • والمتوقع ان يبقى هذا المفهـوم قائما خلال السنين المقبلة من القرن الحادي والعشرين •

والاتجاه السائد لدى الصناعة والمشتغلين في علوم المواد هو العمـل على كسر الحواجز الجامدة التي تفصل بين الحقول الثلاثة A و B و C والعمل على تطبيق مفاهيم البوليمرات على السيراميكيـات والسمنتيات والزجاجيات • وهكذا نـرى ان تصنيف هوليداي للمـواد قد أتاح لنا فرصة وضع أهداف جديدة والتخطيط للحصول على مواد بينيـة هجينيـة جـديدة •

ان زجاجيـات السليكون ، المصنفـة ضمـن مـواد زمـرة A هي بوليمرات لا عضوية ناجحة وتلقى رواجا وقبولا في السوق الصناعـي ، وهي تتمتع بثبات حـراري كبير نسبيا و بمقاومـة كيميائية جيـدة ، وتتمتع بمقاومة ومتانة مناسبتين تؤهلها لتطبيقات كثيرة اخرى ، الا ان هذه الزجاجيات تعاني من مساوىء الهشاشة التي تقترن بها • أما السليكونات التي تشغـل حقـل مواد زمرة C فهي ليست هشة ولكنها تعاني من بعض النقص في الخصائص الميكانيكية والحرارية • والمواد الموجودة في التداول في الوقت الحاضر تمتلك اما بنية شبكية عالية التراص مثـل السليكـا (مـن مواد الحقـل A) أو تمتلك بنية شبكية مفتوحة قليلة التراص بدرجة كبيرة مثل السليكونات (من مواد زمرة C) • ويبلغ العدد النسبي للارتباطات الشبكية في وحدة الحجم من السليكا (١٧ر٠) بينما يقل هذا العدد في متعدد ثنائي مثيل السيلوكسان من السليكونات (من مواد زمرة C) الى حوالي (٠٣ر٠) • اننا نتطلع الى تطوير بحوثنا وطرائقنا العملية للحصول على مـواد

تكون وسطا على مقياس العدد النسبي للارتباطات الشبكية (والذي يسمى أيضا بكثافة الترابط) بين ما هو معروف لزجاج السليكا (١٧ر٠) وكثافة الترابط المطلوبة للسليكونات (٠٣ر٠) . والبنى الجزيئية البينية هذه سوف تزودنا بمواد تتمتع بخصائص هجينة . وسوف تفلح مثل هذه المحاولات في تحضير مواد تكون أقل هشاشة من الزجاج الاعتيادي ولكن على حساب تقليل بعض الخصائص الميكانيكية والحرارية للمادتين المندمجتين معا مع الابقاء على المواصفات المستجدة المقبولة لخصائص المواد في وقتنا الحاضر.

تطوير البنى الشبكية للمواد للحصول على بنى هجينة

لغرض تطوير المواد المعروفة حاليا للحصول على مواد جديدة ينبغي التخطيط لادخال تعديلات جذرية في كثافة ارتباطاتها وفي بنياتها الشبكية. ويتوقع الخبراء المعنيون بهذا الامر حدوث تطورات مذهلة في علم المواد من خلال التحكم بالجوانب الآتية :

أ ـ تغيير مجمل الارتباطات الموجودةفي البنى الشبكية للمواد .
ب ـ اعادة توزيع الارتباطات الشبكية داخل بنية المادة .
حـ ـ تغيير طبيعة الارتباطات السائدة في بنية المادة .
د ـ استحداث شبكات ارتباطات هجينة وذلك بمزج شبكات الارتباط لاكثر من مادة واحدة معا .

وقد نبه العالم راي (Ray) الى أهمية الارتباطات الاجمالية في البنية الشبكية في الزجاجيات ، وعلى سبيل المثال فان الزجاجيات التي تتكون من وحدات شبكية بثلاثة ارتباطات بنائية كما هو الحال في خماسي أوكسيد الفسفور (P_2O_5) تمتلك درجة تحول زجاجي (٢٧٠° مئوية في حالة P_2O_5) أوطأ بكثير من درجة التحول الزجاجي عندما تتكون من وحدات شبكية بأربعة ارتباطات كما هو الحال في السليكا (وتبلغ ١٢٠٠° مئوية) .

ان العديد من الزجاجيات المعروفة بـ « فوق الفوسفات "Ultraphosphate" التي تحتوي على الرصاص والخارصين تتمتع بدرجات تحول زجاجي قريبة من درجات تحول البلاستيكات العضوية ، ولكن هذه المواد تكون عادة متميعة . ان اضافة أكاسيد البوريك اليها تفيد كثيرا في تحسين مقاومتها للتحلل من دون حدوث تغير ملحوظ في درجة تحولها الزجاجي . ومثل هذه الزجاجيات مرغوبة في بناء هياكل الناقلات والبواخر لانها تقاوم نمو الأشنات والاحياء المجهرية عليها وذلك بتكوين طبقة سطحية لشبكات زجاجية التي تعاني تحللا جزئيا فتمتلك بذلك حرية الحركة والانتشار على السطح مما يجعل السطح بصورة مستمرة آلفاً للماء .

والاسلوب الاخر في تحضير البنى الهجينية اشتمل على تهجين الفوسفات بالفوسفانات وذلك بتفاعل مركبات كلورو وثنائي هيدروكسو المناسبة كما في المعادلة (a) في المخطط (٣) . وبتغيير الكميات النسبية للمعوض $\times$ في المركب بـ Ph (فنيل) أو بعنصر قلوي يصبح بالامكان الحصول على هجينات فلزية تحتوي على مقادير متباينة من المكونات الأيونية. ان الاختلاف الرئيس بين كيمياء البوليمرات العضوية وكيمياء البوليمرات غير العضوية يكمن في عدم وجود تنوع كبير في الطرائق التحضيرية للبوليمرات غير العضوية كما هو الحال مع البوليمرات العضوية . ومن الجدير بالذكر ان احدى الطرائق التي استعملت لتحضير شبكات جزيئية مسيطر عليها كانت باستعمال شبكات جزيئية سليكاتية عيانية طبيعية . فالسليكات تمتلك تراكيب عيانية وتكون البنية الشبكية فيها على هيئة سلاسل منفردة أو ثنائية السلاسل أو تكون على هيئة صفائح . والمجاميع الأيونية الجانبية فيها يمكن الاحلال بمحلها بمعوضات للحصول على متعدد سلوكسانات عضوية التي يمكنها الذوبان في مذيبات عضوية (المعادلة b في المخطط ٣) . وهذا من شأنه تيسير الحصول على تركيب سليكاتي

قابل للذوبان ، وهذا مما يساعد على دراســة التراكيب السليكاتية باستعمال الطرائق المعروفة في مجال كيمياء وفيزياء البوليمرات •

وتستعمل بوليمرات السيلوكسانات العضوية على هيئة زيوت (Oils) أو شحوم (Grease) أو بقوام شمعي(Waxes) أو على هيئــة راتنجــات (Resins) ولها خصائص مشابهة للسليكونات التي تطرقنا اليها آنفا لاسيما في مجال استخداماتها دهونات وفي صنع الأصباغ • واستعملت المادة كذلك لازالة الماء في ميادين الانشاء والبنــاء وفي الصناعات النسيجية • واستعملت هذه الخصيصة في دراسة تراكيب السليكات في عجينة سمنت بورتلاند المتميهة لأن عملية التميــه تشتمل على تفاعل بلمرة تنتــج عنهــا تراكيب سليكاتيــة عيــانية •

والأمثلة الاخرى في هذا الباب تشتمل على فهــم كيفية توزع الالمنيوم في تــراكيب الزيوليتــات (Zeolites) وفي الصفائــح رباعيــة الأوجــه (Tetrahedrol Sheets) في السليكان الطباقية (Layer Silicates) وأمكن تحضير تراكيب من السيلوكسانات العضويــة الشبيهة بالتراكيب العيانية السليكاتية في البنى الشبكية الموجودة في طيف واسع من الخــامات الموجــودة في الطبيعة • ويمكن في المستقبل باستعمــال هــذه الطرائق التــي يمكــن اعدادها بشكل جيد مسبقا تحضير مواد بتراكيب سليكاتية ولكن بخصائص أفضل بكثير من تلك المعروفة في الوقت الحاضر •

عمليات التحول من الحل الى القوام الجلاتيني Sol-Gel Processes

ويقصد بها عمليات التحول من حالة غروية (تسمى Sol) الــى حــالة جيلاتينيــة (Gel) أو بالعكس • ومثــل هذه العمليــات تسمح بتحضــير السيراميكيات والزجاجيات والالياف بالبلمرة التكثيفية في درجات الحرارة الاعتيادية وتنتج عندئذ درجة اضافية من الحرية في البنى الشبكية الجديدة •

ومثال بسيط على ذلك هو في التحلل المائي والبلمرة التكثيفية لاسترات السليكات :

$$Si(OCH_3)_4 + 4H_2O \rightarrow Si(OH)_4 + 4CH_3OH$$

(محلول رباعي ايثوكسي السيلان)

$$Si(OH)_4 \xrightarrow{500\,^{\circ}C} SiO_2 + 2H_2O$$

زجاج السليكا

وهكذا نرى أن زجاج السليكا (SiO_2) يمكن تحضيره بهذه التقانة وذلك بالسماح للمحلول المائي لرباعي ايثوكسي السيلان بفقد الماء والميثانول في درجات الحرارة التي تصل الى (٥٠٠) مئوية • والمحلول المائي لرباعي ايثوكسي السيلان هو محلول غروي (أي يمثل الحالة الغروية) والذي يتحول بفقدان الماء والميثانول الى الحالة الجيلاتينية الممثلة بزجاج السليكا • وأمكن استعمال هذه التقانة في تحضير زجاجيات اوكسيدية متعددة المكونات المشتملة على مركبات مثل :

KOR ، $NaOR$ ، $Al(OR)_3$ ، $B(OH)_3$ ، $Si(OR)_4$

ويمكن باستخدام نفس هذه التقانة تحضير أنواع مختلفة من الرقوق والاغشية •

تحضير بوليمرات من بعض المعادن الطينية

تتمتع البوليمرات العضوية المحضرة من الألكينات (أي متعددات الألكينات) بخصائص جيدة مثل المرونة والمطيلية ••• التي لاتتوفر عادة في المواد غير العضوية الطبيعية • وعلى هذا انصبت جهود الباحثين خلال العقدين الاخيرين من القرن العشرين على تحضير بوليمرات غير عضوية تمتلك نفس صفات المرونة والمطيلية التي تمتاز بها البوليمرات العضوية • قام الباحثون في هذا الميدان بفحص البنية انبلورية للبولي أثيلين باستعمال

الأشعة السينية فوجدوا أنها طباقية التركيب ، أي تتكون من طبقات ، تكون احداها غير بلورية والتي تليها تكون بلورية ، ويتكرر هذا الترتيب الطباقي في مجمل الهيكل البلوري للبوليمر العضوي بصورة منتظمة • ومثل هذه البنية الطباقية هي التي تكسب المادة صفات المرونة والمطيلية التي نشهدها فيها (الشكل ٣) •

وقام باحثون آخرون في مختبرات عالمية بفحص التراكيب البلورية لبعض المعادن الطينية المعروفة بالفلوسليكات (Phyllo Silicates) التي تشمل فيرمي كولايت (Vermiculite) وهيدروبايوتايت (Hydrobiotite) ومونت موريلونايت (Montmarillonite) فوجدوا فيها تنظيمات طباقية مماثلة الى حد كبير (الشكل ٣) • ففي معدن الفيريسيلات مثلا لوحظ وجود طبقات في البنية البلورية ، فهناك طبقة من الشبكة السليكاتية في بنية هذا المعدن الطيني تليها طبقة من أيونات المغنسيوم •

وتتكرر هاتان الطبقتان بصورة منتظمة في البنية البلورية للمعدن الطيني الطبيعي • ونجحت بعض الشركات الصناعية بعد ذلك في استبدال أيونات المغنسيوم الموجبة في المعدن الطيني بكاتيونات أمين عضوي فحصلت على مادة بوليمرية هجينة تجمع الصفات التركيبية للمادة الطينية اللاعضوية وصفات كاتيونات الامين العضوي • وباحلال مجاميع الامين العضوي محل المغنسيوم أمكن الحصول على مادة لاعضوية جديدة تمتلك صفات المرونة والمطيلية الجيدة التي لم تكن موجودة أصلا في المادة غير العضوية الأم • وأصبحت هذه التقانة مستعملة في الوقت الحاضر لتحضير مواد بوليمرية لا عضوية مهجنة بمجاميع او أيونات مواد عضوية •

المصـــادر المعتمـــدة

١ ــ جلال محمد صالح ، مجلة «علوم» وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشـــؤون الثقافية :

أ ــ ١٩٩٨ العدد (٩٦) الصفحات (٣٨ــ٣٩) ــ بعض آفـاق التطـور في كيميــاء اليــوم والغــد .

ب ــ ١٩٩٩ ، العدد (١٠٣) الصفحات (١٤ــ١٧) ــ عن العلوم والمعرفـة الكيميائية على أعتاب القرن الحادي والعشرين .

حـ ــ ١٩٩٩ ، العدد (١٠٥ــ١٠٦) الصفحات (٤٦ــ٥٠) ــ تطورات مذهلة في العلوم والتقانة الكيميائية .

٢ ــ جلال محمد صالح ، نشرة «اخبار مجمعية ، المجمع العلمي ــ البحث عن مواد جديدة للصناعة الحديثة» ــ ٢٠٠٠، العدد (١) الصفحات (٢٠ــ٢١).

٣ ــ جلال محمد صالح الحلقة النقاشية بعنوان«التقانات الحديثة في الكيمياء»، المجمع العلمي ، ١٨ حزيران ٢٠٠٠ .

٤ ــ جلال محمد صالح ، الحلقة النقاشية بعنــوان « الاختصاصات المستقبلية في العلوم » ، المجمع العلمي ، شباط ٢٠٠٠ .

٥ ــ جلال محمد صالح ، نشرة اخبار مجمعية ، المجمع العلمي، الالياف البصرية ونقــل المعلومات على أعتـــاب القــرن القـــادم ، ١٩٩٩ ، العــدد (٩) الصفحات (١٦ــ١٧) .

٦ ــ جلال محمد صالح ، مجلة علوم ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشـــؤون الثقافية ، ٢٠٠٠ العدد (١٠٨) الصفحات (٢٨ــ٣٢) ــ حاجـة الصناعة الحديثة الى مواد جديدة ــ البحث عن البوليمرات غير العضوية .

7- W. Noll, The Chemistry and Technology of the Silicones, 2nd Edn., New york, Academic Press, 1968.

8- K. M. Roch, Inorganic Polymers in Macromalecular Chemistry, Vols. 1 and 2 (Specialist Periodical Reports). London, RSC. 1980.

9- H. R. Allcock, Organometallic Polymers, C.E. Carraher, J. E. Sheats and C. U. Pittman (Eds), P. 283, New york, Academic Press. 1978.

10- N. H. Ray. Inorganic Polymers, London, Academic Press, 1978.

11- J. E. Sheats, C. U. Pittman and C. E. Carrahor, Chem. Br., 1984,20,709.

12- B. R. Currell and J. R. Parsonage, J. Macromol. Sci., Chemistry. 1981, A 16 (1), 141.

13- J. L. Woodhead and D.L., Segal, Chem. Br,. 1984, 20, 310.

14- J. D. Birchall, A. S. Howard and K. Kendall, Chem., Br., 1982,18,860.

15- R. W. Grimshaw, The Chemistry and Physics of Clays, 4th Edn. London; Ernest Bonn, 1971.

16- D. G. H. Ballard and J. Schelten in Developments in Polymer Characterisation, J. V. Dawkins (Ed.), Applied Sci., 1983, 18, S4S.

17- B. R. Currell, Chem. Br., 1985, 21, 557.

18- D. G. H. Ballard, Chem. Br., 1984, 20, 538.

19- C. J. Bradaric and W. J. Leigh, J. Am. Chem. Soc., 1996, 118, 8971.

20- W. J. Leigh, C.J. Bradaric, C. Kerst and J. H. Banisch, Organometallics, 1996, 15, 2246.

21- C. J. Bradaric and W. J. Leigh, Organometallics, 1998, 17, 645.

22- W. J. Leigh, C. Kerst, R. Boukherroub, T. L. Morkin, S. Jenkins, K. Sung and T. T. Tidwell, J. Am. Chem. Soc. 1999, 121, 4744. Schmeisser, Can. J. Chem., 1999, 77, 1136.

23- W. J. Leigh, R. Boukherroub, C. J. Bradaric, C.Cserti, and J. M. Schmeisser, Can. J. Chem., 1999, 77, 1136.

24- F. L. Cozens, A. L. Pincock, J. A. Pincock, and R. Smith, J. Org. Chem., 1998, 63, 434.

25- H. Hiratsuka, Y. Kadokura, H. Chida, M. Tanaka, S. Kobayashi, T. Okutsu, M. Oba and K. Nishiyama, J. Chem. Soc., Faraday Trans., 1996, 92, 3035.

26- W. J. Leigh and T. R. Owens, Can J. Chem., 2000, 78, 1459.



Scheme 1.

$$n(CH_3)_2SiCl_2 + nH_2O \longrightarrow -\left[\begin{array}{c} CH_3 \\ | \\ Si-O \\ | \\ CH_3 \end{array}\right]_n- + 2nHCl$$

$$n[(CH_3)_2SiO]_4 + (CH_3)_3SiOSi(CH_3)_3 \xrightarrow[100-160\ ^\circ C]{catalyst} (CH_3)_3Si-O-\left[\begin{array}{c} CH_3 \\ | \\ Si-O \\ | \\ CH_3 \end{array}\right]_{4n}-Si(CH_3)_3$$

المخطط (١) ــ تحضير سداسي مثيل ثنائي السيلوكسان

Scheme 2.

$$PCl_5 + NH_4Cl \xrightarrow[120\ ^\circ C]{-HCl} (NPCl_2)_3 \text{ (cyclic trimer)} + (NPCl_2)_4 \text{ (cyclic tetramer)}$$

$$(NPCl_2)_3 \xrightarrow{250\ ^\circ C} -\left[N=P(Cl)_2\right]_n-$$

المخطط (2) ــ تحضير الفوسفازينات الحلقية

$$n\,Cl-\overset{Ph}{\underset{O}{P}}-Cl + n\,HO-\overset{X}{\underset{O}{P}}-OH \xrightarrow{-nHCl} \left[\overset{Ph}{\underset{O}{P}}-O-\overset{X}{\underset{O}{P}}-O-\right]_n \quad (a)$$

$$X = -O^-Na^+ \text{ or } -O^- K^+ \text{ or } Ph$$

$$\equiv Si-O^- \longrightarrow \equiv Si-O-SiMe_3 \quad (b)$$

المخطط (3) تحضير بعض البنى الهجينية

(a) تهجين الفوسفات بالفوسفانات

(b) تحضير شبكات جزيئية سليكاتية عيانية مهجنة

معامل يونك (Gpa)

0.1 1.0 10 100

بلاستيكات خشب سمنت المنيوم زجاج حديد صلب

الشد الانحنائي (mpa)

10 10 100 1000

سمنت سمنت اسبست زجاج المنيوم حديد صلب

خشب

بولي بروبلين SMC DMC GRP

بولي ستايرين

القساوة (Jm^{-2})

10 100 1000 10000

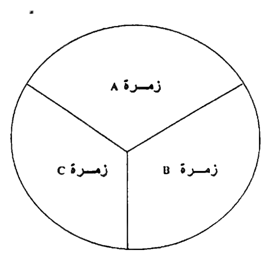
زجاج سمنت غرانيت سمنت اسبست بولي ستايرين خشب

راتنج ايبوكسي فلزات

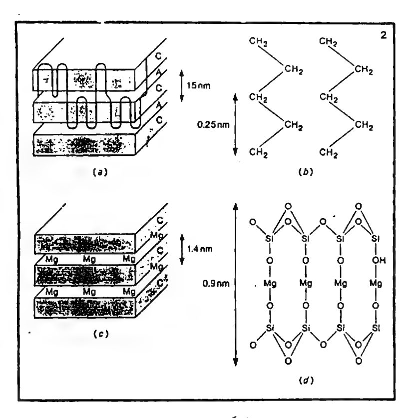
SMC DMC GRP

سيراميكيات LDPE

الشكل (١) ــ مقارنة عامة لبعض خصائص المواد المتداولة في يومنا هذا



الشكل (٢) تصنيف هوليداي للمواد



الشكل ــ ٣ ــ

(a) بنية البولي أثيلين وتبين كيف انها تتكون من مناطق غير بلورية (A) وأخرى بلورية (C) .

(b) بلورة البولي أثيلين من الفحص بالأشعة السينية .

(c) بنيـــة بعض المعادن البوليمرية السليكونية (معدن vermiculite) وتبين كيف انـها تتكــون من مناطــق مشحونـــة بشحنات سالبـــة (مناطــق C) وأخـــرى موجبـــة (أيونات Mg^{2+}) .

نظـرة في تقـويم الأداء الجـامعي

الدكتور مازن عبدالحميد كاظم السامرائي
عضو المجمع العلمي
عميد كلية الهندسة ـ جامعة صدام

الخلاصـة :

بين حين وآخر يعود الكلام في الوسط الجـامعي الى تقـويم الاداء للمناهج الدراسية أو تقويم الاداء للكليات المانحـة للشهادات العلميـة أو تقويم أداء المؤسسات التعليمية واعلان تفوقها بتسلسل وطني أو دولي •

تتعرض هذه الورقة لبعض جوانب تقويم الاداء وتقترح صيغا للتعامل مع هذه الفعالية المهمة •

١ ـ مقدمـة

ان التقويم موضوع واسع جدا ولابد لنا من أن نختار بعض ما يتعلـق به مشيرين الى الفقرات الاخرى اشارة عامة • وقد اجتهدنا أن يكون اختيارنا للمواضيع تلك التي قلما يتم التطرق اليها في (التقويـم) الجامعـي كمـا وجدنا ان الدخول في تفاصيل فنية ووضع درجات للتقويم أمـر في غـاية التفصيل قلما يتفق عليه اثنان ولذلك اجتنبنا أن ندخل فيه مبينين فقط القواعد التي يعتمدها المختصون في هذا المجال • لقد أعد جهاز التفتيش فـي وزارة التعليم العالي والبحث العلمي دراسة[١] لمشروع أسماه الملف التقويمي لكفاءة الاداء الجامعي وسبل المفاضلة فيـه • ويبدو ان الدراسات في تقويم الاداء الجامعي في العراق وبعناوين واضحة يعود تاريخها الى منتصف السبعينـات

(١٩٧٦) من خلال رسالة ماجستير جامعية من كلية الادارة والاقتصاد في جامعة بغداد بعنوان «تحليل التركيب التنظيمي والعمليات الادارية بجامعة بغداد وأثرها في فاعليتها وكفاءتها»[٢] .

وقد جاءت رسالة دكتوراه بعنوان «تكلفة الطالب في التعليم الجامعي العراقي وأثرها في كفايته الداخلية »[٣] بعدها بقليل (١٩٧٧) . وعقدت أكثر من ندوة في الجامعة التكنولوجية تحت عنوان «الانتاجية» تطرقت الى كفاءة الانتاج لكل[٤] عنصر من عناصر العملية التعليمية وكانت الغاية منها حسب ما أذكر شخصيا النقد الذاتي وغاياتهما تطوير الانتاجية من خلال هذا النقد. وهناك سلسلة من المحاولات ولكنها في الغالب كانت تركز على جانب من مجالات الاداء أو أحد عناصر هذا المجال شخصتها الدراسة المذكورة آنفا . كما قدمت دراسات محلية أخرى مختلفة في الحجم والعمق والغاية ربما كان آخرها دراسة قدمت الى جامعة صدام[٥] تم اعتمادها أساسا للمفاضلة بين كلياتها بعد تطوير تفاصيلها المؤدية الى ذلك . وحينما نحاول أن نحصي مؤشرات تقويم الاداء لكل هذه الدراسات نجد كماً هائلا ربما لانستطيع حصره الا بموسوعة كاملة .

كما وجدنا ان تقسيم عملية التقويم يتم التعبير عنها في أكثر المراجع العربية كما يأتي :

أ ــ تقويم المدخلات (وأهمها الغايات والاهداف) .

ب ــ تقويم الاجراءات (وأهمها المناهج والتدريس) .

ج ــ تقويم المخرجات (وأهمها النتائج والنمو والنشاط البحثي) .

٢ ــ التقويم

أ ــ اللغة

الخطأ الشائع هو ان التقويم هو التعديل وتصحيح الاعوجاج حسب ، وان التقييم هو التقدير والتثمين . فلنحاول أن نوضح هذا الامر .

الصحيح هو أن التقويم يعنى به كل ذلك أي هو التقدير والتثمين وازالة العوج والاستقامة . ولا توجد كلمة تقييم في المعاجم أو القواميس القديمة . ففي «الرائد» التقويم هو ازالة العوج أو اعطاء الشيء قيمته ، وهو تقسيم الازمنة وحساب الاوقات وهو (في تقويم البلدان) بيان طولها وعرضها وخراج أراضيها .

وقد طلبت من زميلي وأستاذي الدكتور جميل الملائكة (أمد الله في عمره) أن يكتب لي خلاصة حول تصريف الكلمة فكتب :

ما أصله الواو يبقى واوا في التصريف ، وما أصله الياء يبقى ياءا .

يقال : نوم تنويما وخوف تخويفا وزوج تزويجا .

ويقال ميز تمييزا وبين تبيينا وغير تغييرا .

فاذا أريد تصريف أي لفظ فيلزم العودة في ذلك الى الاصل وهو الواو. ولمثل هذا جمعوا الميزان على موازين والميقات على مواقيت ولم يقولوا ميازين أو مياقيت .

ويقولون زوجوه تزويجا ولم يرد عندهم التزييج وان قالوا زيجة .

واذا قالوا خيفة ، قالوا خوفة تخويفا ولم يقولوا خيفة تخييفا . وهكذا فلم يقولوا قيم الشيء تقييما وانما قالوا قوم الشيء تقويما .

وانما اللغة سماع . فان أريد القياس فيجب عدم الاخلال بقواعد الصرف في القياس ، وما شذ لايقاس عليه . ثم اننا لسنا بحاجة الى كلمة التقييم مع وجود كلمة التقويم بالمعنى المراد[٦] (انتهى) .

وعند البحث عن كلمة تقويم في القرآن الكريم نجدها تتكرر على مستوى الجذر ستمائة وستين مرة ولكن كلمة تقويم بحد ذاتها جاءت مرة واحدة وكانت في سورة التين « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » .

أي في استواء واعتدال وأحسن صورة وربما لهذا السبب غلب هذا الوصف للتقويم على وصف التثمين والتقدير في عصرنا. وفي الاحاديث النبوية الشريفة وكتب السلف الصالح لاتوجد الا كلمةتقويم بمعانيها التي أشرنا اليها.

أما كلمة تقييم فيبدو أنها حديثة وظهـرت قبل منتصف القـرن العشرين في معاجم المعاصرين حيث جاءت مرادفة لكلمة تقويم كما في معجم المورد •

والتزاما بسلامة اللغة العربية فان كلمة تقويم هي الاصـوب وواجبـة الاتباع ولاحاجة لنا بغيرها •

وقد قال شعراء العرب بالمعاني السالفة ما اخترنا بعضه لكم :

قال أبو العتاهية في تقويم الاعوجاج والاستقامة :

يا صـاحب المـدة القصـيرة لا تغفـل عن المـوت قاطـع المـدد
دع عنك تقويـم مـن تقومـه وابـدأ فقـوم ما فيك مـن أود

وفي القيمة والتقدير قال العباس بن الاحنف :

ما قومتـك ملوك أرض قيمـة الا ارتفعـت وقصـر التقـويم

وقال ابن المعتز :

اني رزقت من الاخـوان جوهرة ما إن لهـا قيمة عندي ولا ثمن

أما عندنا فالمعنى العلمي المقصـود للتقويم الجامعي هو « الاعتمـاد » (Accreditation) « والتثمـين » (Evaluation) منفردين أو مجتمعين وألحقت بهما «المفاضلة» كمحصلة للعمل التقويمي الذي غالبا ما يكون لدينا هو فوز وخسارة بدلا من أن يكون تطويرا وتحسيناً •

ب ــ المعنى

جـاء في قاموس ميريم وبستـر(٧) في معنـى كلمـة (Accredit) ما يأتـي :

أولا ــ التفـويض provide with credentials

ثانيا ــ الشهادة بامتلاك شيء للمواصفات القياسية •

ثالثا ــ اعتبار المؤسسات (وبالذات التعليمية) مؤهلة (أي معتمدة ومخولـة) لمنح الخريج الصفة وتبعات الشهادة الممنوحة له وحقوقها •

رابعا ــ تشخيص شيء أو أداء بأنه متميز •

خامسا ــ أن تعزى أو تنسب صفة حسنة للشيء •

وجاء في دائرة المعارف الامريكية[8] تحت عنوان (Accrediting) ما معناه (ومع تصرف تعبيري) ما يأتي :

« من حق الطالب الجامعي أن يعلم مستوى أو قدر (Standing) المؤسسة التعليمية التي ينتمي اليها • وان الجامعات والكليات في الولايات المتحدة الامريكية تميز وتعتمد من خلال ست سلطات (authorities) تفويضية اقليمية • وتعتمد هذه السلطات في اتخاذ قرارات الاعتماد على بعض المؤشرات ومنها : الاجهزة والمعدات ، الوضع المالي ، شروط القبول والمستوى التعليمي • كما ان هناك جمعيات (societies) مهيئة لاعتماد الاختصاصات المهنية » انتهى •

وقد وجدت اشارات في أدبيات دائرة المعارف البريطانية[9] لجمعيات للاعتماد (accreditation societies) في شتى هذه المجالات المهنية ومن أهمها في التعليم المدرسي والطب والهندسة والتمريض والتجارة وحتى في مجالات غير مألوفة كالتمثيل الدبلوماسي وحماية المواطنين والامور الاستهلاكية والتعليم المستمر والتدريب وربما غيرها كثير •

ج ـ مبادىء في التقويم الجامعي

اولا :

ما زال بعضهم ينظر الى العملية التعليمية والاداء الجامعي وغيرها من الفعاليات الجامعية على انها أمور من اختصاص الجامعة حسب ولا يحق لغير الجامعة اتخاذ القرارات بشأنها وذلك من مبدأ الاستقلالية الجامعية • بل ان الملاحظات التي تخص الاداء الجامعي غالبا ما تثير ردود فعل سلبية لدى الادارات الجامعية (ونقصد بها الادارات على كافة مستوياتها في السلم الاداري الجامعي) •

والواقع ان مفهوم الاستقلالية الجامعية بدأ بالتطور الجذري وما زال منذ السبعينات من القرن الماضي • فالعرضة للمحاسبة أو المساءلة (accountability) والتقويم (بمعنى التثمين (evaluation) والتحديدات المالية واعادة النظر بالمناهج من الامور التي بدأت تواجهها الادارة الجامعية خارجيا وداخليا • كما ان ادارة التعليم العالي مركزيا أصبحت من اهتمام الحكومة بشكل متزايد •

بالمقابل فان الجهات غير الجامعية وان كانت تعليمية (كمديريات التعليم العالي في العديد من الدول) غالبا ما تعطي مسؤولية المراقبة هذه الى غير المتخصصين فعلا في هذا المجال ولم يعملوا فيه على مستوى قيادي رفيع أو الى من هم أقل تأهيلا أو خبرة من الادارات قيد النظر مما يسبب احراجات عديدة خصوصا وأن أسس التقويم وعناصره لاتزال غير متفق عليها وستكون موضع حوار أزلي وهي بحد ذاتها تحتاج الى تقويم وهي من الكثرة بحيث تجعل احتواءها بالغ الصعوبة كما ذكرنا سابقا •

ان التطور التكنولوجي الهائل والتقدم الانفجاري الذي حدث في نظم المعلومات في نهاية القرن العشرين ادى الى تغير العديد من المفاهيم الانسانية بما اصطلح عليه في الغرب بالاعادة الكبيرة للتقويم (the great reappraisal). فان سرعة التغيير وبروز علم يعني بالبدائل (alternatives) والتضخم المالي المستمر والحق العام وحق المستفيد والاهتمام بالمحصلات والنتائج ـ كل هذه وغيرها ولدت حاجة ومن ثم اهتماما اكثر للتقويم • وانسجاما مع هذا الوضع العالمي ، على مؤسساتنا الجامعية أن تستوعب أبعاد هذه الفعالية المهمة وتتبناها وتشارك في تصميم هيكلية عملها وتحديد مكوناتها وعناصرها بدلا أن تبقى فقط متلقية لتبعاتها • بل هناك حاجة الى زيادة فعالية التقويم الذاتي وتوسيعه داخل المؤسسة الجامعية ليكون تحسين الاداء ذاتيا غير مفروض خارجيا بالضرورة وبذلك فانه يكون أكثر تقبلاً للادارة الجامعية حينما يأتيها لاحقا من جهة أعلى •

ثانيا :

من الجدير بالذكر ان نوعا من التقويم يبدأ تلقائيا منذ الايام الاولى من عمر التشكيل الجامعي ومن ذلك : التصور الاجتماعي (على مستوى العائلة) والدعم الرسمي (جامعة صدام مثلا) والمالي والاعلامي والعلاقات مع الصناعة (كالجامعة التكنولوجية مثلا) • اذن هناك نوعا من التقويم ـ شئنا أم أبينا • ولكن من هو فعلا المؤهل للقيام بالتقويم وكيف ؟ تساؤل سنحاول التعرض له لاحقا • المهم أن تدرك المؤسسة الجامعية انها ستقوم وان من مصلحتها التفاعل مع هذه الفعالية وعرض رأيها في عناصر التقويم المناسبة والا فرضت عليها قيم قد تجدها مجحفة بحقها ومن ذلك التحاليل المادية والاحصائية التي يجريها من يتمتع بكفاءة رياضية واحصائية عالية ولكنه قد يفتقر الى الخبرات الجامعية التربوية التعليمية المطلوبة لتحقيق التوازن في نتائج التقويم • •

ثالثا :

قياس النوع (quality) بالنسبة للمؤسسة الجامعية وفعالياتها المختلفة مختلف لكل فعالية وصعب التشخيص ولكنه في الوقت نفسه قابل للقياس فالعناصر المشتركة المكونة للمؤسسات التعليمية كالطلبة وأعضاء الهيئة التدريسية والمناهج الدراسية والادارة والخريجين عناصر قابلة للقياس النوعي •

كما أن العناصر الخارجية هي الاخرى عناصر واضحة كالسياسات التعليمية وأساليب العمل والوضع الاجتماعي والظروف السياسية والاقتصادية ذلك بالرغم من انها في حالة تغير مستمر • ان مؤشرات التقويم السنوي للاداء كثيرة ومتداخلة • وخلال جولة سريعة في بعض المصادر وهي تمثل شريحة فقط وجدت تكرار بعض العناوين كما مبين في الجدول رقم (١)

وهي في الحقيقة غيض من فيض • لقد اقترح ميللر[١٠] العناصر العشرة الرئيسة المطلوب قياسها نوعيا وهي كما يأتي :

(١) الغايات والاهداف •
(٢) الاستيعاب المعرفي للطلبة •
(٣) فاعلية الهيئة التدريسية •
(٤) المناهج الدراسية •
(٥) الاطر المساعدة والخدمات •
(٦) القيادات الادارية •
(٧) الادارة المالية •
(٨) الهيئات العليا (مجالس الامناء/ مثلا) •
(٩) العلاقات العامة •
(١٠) سياسة التطوير الذاتي •

واذا فصلت هذه العناصر الرئيسة الى عناصر تفصيلية محددة فلن يكون من المستحيل قياسها بوحدات تعكس القيمة والنوع ، على أن لاننسى أن المقاييس قابلة للاختلاف حول معانيها من قبل المختصين وهناك اجماع بأنها ليست سهلة التطبيق وما يمكن ان يكون صالحا لمؤسسة ما لايشترط أن يكون كذلك لمؤسسة أخرى • ولكن من الحكمة أن تكون جميع مقاييس الاداء قابلة للتطبيق بمرونة عالية جدا والا لما أنصفت المؤسسات المتعددة التي أنشئت لأسباب مختلفة • كما ان تقويم القسم العلمي أو المنهاج الدراسي أو الملاك التدريسي ، وان كان صعبا كما ذكرنا ، الا ان الاصعب من ذلك سيكون تقويم الكلية او الجامعة وذلك لان السياسة المركزية العامة (تعليمية ، مالية ، ادارية •• الخ) ستكون في تغير وتطور مستمرين وسريعين جدا في ظروف القرن الحادي والعشرين • وسنأخذ لاحقا عنصر تقويم الغاية والاهداف للمؤسسة التعليمية بشيء من التفصيل لانه العنصر الذي قلما يتم التطرق اليه ولان العناصرالاخرى كثيرة جدا وتم التطرق اليها من قبل العديد

من الباحثين ويمكن مراجعة المصادر لمن يبتغي الاستزادة • اما لآن فنستمر في طرح المبادىء العامة •

د ـ الاصطلاحات

اولا ـ الغايات والاهداف

كثيرا ما ترد الكلمتان «الغايات» و «الاهداف» باقتران أزلي ، وربما يكون من المفيد تحديد المعنيين بوضوح •

عرّف قاموس الرائد «الغاية» بأنها المدى والنهاية والراية والفائدة المقصودة • وعرّف «الهدف» بالغرض الذي يرمي اليه وكل مرتفع من بناء أو جبل أو تلة وبالاصابة •

وفي المعاني أعلاه قال شعراء العرب على سبيل المثال : في الغاية

لم أجر غاية فكري منك في صفة ... الا وجدت مداها غاية الابد
(المتنبي)

الفكر فيك مقصر الآمال ... والحرص بعدك غاية الجهال
(أبو فراس الحمداني)

فلا تبعدن ان المنية غاية ... اليها التناهي طال أو قصر العمر
(ابن زيدون)

دع الناس واصحب وحش بيداء قفرة ... فان رضاهم غاية ليس تدرك
(أبو العلاء المعري)

وأخذنا في الهدف ما يأتي :

هدف تعاوره الرماة كأنما ... يرمون جندله بعرض المشعر
(حسان بن ثابت)

ان الزمان رمت حوادثه ... هدف الشباب بأسهم شهب
(ابن المعتز)

الى هدف فيه ارتفاع ترى له ... من الحسن ظلا فوق خلق مكمل
(الاعشى)

وفي القواميس الحديثة (كالمورد مثلا) جاءت « الغاية » بمعنى الغرض والهدف والمنتهى والمدى واعتبرت مرادفاتها الانكليزية
purpose, aim, goal, end, objective, design, intention, extreme, limit
أما «الهدف» فجاء بمعنى الدريئة والمرمى والغاية والغرض والقصد وهي
aim, end, objective target, plan, purpose, design, intention

يلاحظ مما سبق أنه رغم التداخل فان الغاية هي الأبعد منالا وهي النهاية التي قد لاتدرك وهي في الانكليزية aim . أما الهدف فهو غرض ومرمى والاقرب منالا وهو goal • ويمكن تشبيه المعنيين بلعبة رياضية فالغاية (aim) للفريق أن يفوز ولكنه يصل الى الفوز بتسجيل الاهداف (goals) . ويمكن اعتبار الغاية (اذن) متكونة من عدة أهداف ولايمنع أن يكون الهدف والغاية متداخلين في بعض الحالات • والاهداف يمكن أن تكون رئيسة أساسية (أو عامة) main goals أو تفصيليةخاصة objectives وهذه بدورها تتكون من مديات (targets) .

من المهم المؤسسة التعليمية اذن ان تكون معلنة (ذاتيا) لوجهتها ومحددة للمستلزمات البشرية والمادية لتحقيق الوصول الى الغاية عن طريق الاهداف وخلال ذلك هل انها سائرة بالاتجاه الصحيح للوصول اليه • ولكن هذه الامور سهلة القول صعبة التنفيذ كما وجد أكثر المختصين • ولاجل وضع المؤسسة التعليمية في موضع التقويم بالنسبة للغاية والاهداف يمكن أن تتعرض الى العناوين الآتية :

٣ ـ تقويم الاهداف

أ ـ : الاهداف الرئيسة main goals

لايمكن أن تؤسس جامعة دون أهداف معلنة وربما تكون المؤسسة حكيمة اذا راجعت ما نصت عليه أهدافها دوريا •

أما الاهدافـفمثبتة في مراجع استلت عبر مراحل زمنية متعاقبة من الاهداف المعلنة للكليات والجامعات فأصبحت ما يعول عليها عند مراجعة الاهداف دوريا من قبل الكليات (قوانين / أنظمة / تعليمات / ضوابط / أسباب موجبة وغيرها) • وعلى سبيل المثال يبدو ان هناك مايزيد على تسعين هدفا معلنا يمكن أن ترجع اليه المؤسسات التعليمية الجامعية في الولايات المتحدة[١٠] مصنفة الى عشرين صنفا تسمى أصناف الاهداف وما تبقى متنوعات •

وحيث أن الجامعات العراقية باستثناء واحدة تشترك في الغايات والاهداف والاسباب الموجبة لانشائها بقانون واحد هو القانون رقم ٤٠ لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي فاننا سنعتبر هذا القانون مؤشرا على غايات وأهداف الجامعات المحلية •

من الاهداف المعلنة في التعلم العالي العراقي :

المادة ــ ٢ ــ تهدف الوزارة الى احداث تغييرات كمية ونوعية في الحركة العلمية والتقنية والثقافية وتوجيه المؤسسات التعليمية والبحثية لتكون مترجمة لنظرية العمل البعثية بما يحقق التفاعل المستمر بين الفكر والممارسة باتجاه تحقيق الاصالة والرصانة العلمية والتفاعل مع التجارب والخبرات الانسانية بالشكل الذي يأخذ بنظر الاعتبار خصوصية مجتمعنا وتجربتنا المتميزة وصولا الى بناء أجيال جديدة متسلحة بالعلم والمعرفة ومتشربة بالمبادىء والقيم السامية ومؤمنة بأهداف الامة العربية وتاريخها الحضاري ودورها الانساني ، ولتكون قوة فاعلة ومؤثرة في المجتمع وقادرة على الاستمرار بحمل الرسالة والحفاظ على منجزات ثورة ١٧ــ٣٠ تموز وأهدافها في الوحدة والحرية والاشتراكية ، وتلبية احتياجات خطط التنمية في جميع فروع المعرفة الانسانية ومتطلبات تطوير المجتمع •

كما تهدف الوزارة الى تطوير العلاقات العلمية والثقافية والفنية مع الاقطار العربية بهدف تحقيق الانسجام والتكامل في مجالات العلم والمعرفة

وصولا الى تحقيق الوحدة الثقافية، وتوسيع وتوثيق أواصر التعـاون في هذه المجالات مع الدول والمؤسسات العلمية المختلفة في جميع أنحاء العالم •

المادة –٣– تكون مهمة مركز الوزارة التخطيط والمتابعة للتعليم العالي والبحث العلمي وتنسيق واقرار الخطط بعد وضعها مـن الجامعات وهيئـة المعاهد الفنية وتوحيدها في خطة واحدة على مستوى الدولة والاشراف على حسن تنفيذها وعقد المؤتمرات العامة وادارة شؤون المبعوثـين والعلاقـات الثقافيـة الدولية •

المادة – ٤ –

٢ – يتولى مركز الوزارة الاختصاصات الآتية :

أ – الاختصاصات العلمية

أولا : اقرار خطط القبول للدراسات الاولية والعليا ومتابعة تنفيذها •

ثانيا : اقرار الخطط العلمية والتربوية والثقافية والتقنية للجـامعات وهيئـة المعاهـد الفنية •

ثالثا : تنظيم التعاون العلمي والفني والتقني مع الدول والمنظمات والمؤسسات العربية والاجنبية من خلال عقد الاتفاقيات •

رابعا : اقرار فتح كلية أو معهد والتوصية بفتح جامعة •

خامسا : اقرار المناهج الدراسية •

سادسا : وضع أسس التقويم للشهادات والدرجات العلمية العربية والاجنبية التي تلي مرحلة الدراسة الثانوية والاعتراف بالمؤسسات الجامعية العلمية العربية والاجنبية وتحديد الالقاب والشهادات العلميـة والفخـرية وشروط منحها •

سابعا : اقرار الاجازات الدراسية والبعثات والزمالات والايفادات واعـارة الخدمات لاعضاء الهيئة التدريسية •

ثامنا : عقد المؤتمرات التعليمية التقويمية •

ومن الاهداف الرئيسة المعلنة في الجامعات الامريكية (مثلا) :

١ ــ تأمين الحرية الاكاديمية •
٢ ــ تدريس الطلاب وتدريبهم •
٣ ــ تطوير الفكر العلمي الطلابي •
٤ ــ السعي لتحقيق أفضل المستويات العلمية •
٥ ــ مواكبة التطور والبحث العلمي •
٦ ــ توليد أفكار جديدة •
٧ ــ الحفاظ على الاعراف وعراقة الجامعة •

ولكون الصياغة اللغوية للاهداف الرئيسة (بأية لغة ثبتت) تمتاز بالعمومية والمثالية فهناك حاجة الى تقويم هذه الاهداف وسنفترض ان المؤسسة التعليمية تمتلك غايات وأهدافا محددة (أو هكذا يجب) • ومما اعتمد في هذا المجال في التقويم ما يأتي:

١ ــ أن يكون الهدف واضحا وله علاقة بينة مع التعليم العالي ، عالي المستوى الفكري وواسع •
٢ ــ أن يعكس وجهة المؤسسة بحيث يعبر عنها وتعبر عنه •
٣ ــ يشخص النتائج المطلوبة بصراحة ووضوح •
٤ ــ أن تكون شرائح المؤسسة (قيادية وادارية ، أكاديمية ، طلابية) مستوعبة لهذه الاهداف ومؤمنة بها •

ب : الاهداف الخاصة OBJECTIVES

الاهداف الخاصة هي الاهداف التي يركز عليها عند تقويم الاهداف عموما وهي تنبع من الاهداف العامة • ومن المهم أن تراعى في هذه الامور ، أن انسيابية المعاني هي من الاعلى الى الاسفل وليس العكس ففي ضوء استيعاب الغاية النهائية (aim). نبلور الاهداف العامة goals التي تطرقنا اليها سابقا للوصول الى هذه الغاية • ومن خلال فهمنا لاي هدف (عام أو

رئيسي) نحدد الاهداف الخاصة objectives للوصول اليه • وبـذلك فـان (الاهداف الخاصة) تعرف بأنها الخطوات او الاعمال الحقيقية المؤدية الـى تحقيق الاهداف العامة أو الرئيسة • واذا كان على الاهداف الرئيسة أن تمتاز بالوضوح فان على الاهداف الخاصة ان تكون مفصلة وقابلـة للقيـاس • والقابل للقياس من الاهداف الخاصة يعني به الوسط في الامور فلا هـو مقاس (على سبيل المثال) بتعابير عامة لايمكن أن يعول عليها فعليا ولا بمعايير من كثرة التفصيل بحيث تدحض الغاية من التقويم وتجعله صعب المنال •

اذا ما ثبتت الاهداف الخاصة بشكل قابل للقياس فان بالامكان تثبيت مـديـات (targets) لهذه الاهداف وأهمها ما يتعلق بالمناهج التـي تخص الطلبة والتدريسيين على حد سواء • أما ما يستـوجب تقويمـه في مجال الاهداف الخاصة فيمكن تلخيصه بما يلي وبصيغة الاجابة على الاسئلة الآتية:

١ ـ هل تخدم الاهداف الخاصة الاهداف الرئيسة العامة ؟

٢ ـ هل تمتلك المؤسسة التعليمية خطة تنفيذية مناسبة ؟

٣ ـ هل تنسجم سياسات القبول وأساليبه مع الاهداف ؟

٤ ـ هل ساعدت الاهداف المعلنـة باعطاء الشخصيـة المعنويـة للمؤسسة التعليميـة ؟

(١) العلاقة بين الاهداف الخاصة والاهداف العامة (Goals and Objectives)

يمكن تقويم اربعة مبادىء تتعلق بهذا الجانب واعطاؤها نقاطا وهي :

أ ـ الوضـوح •

ب ـ المجال (الافق والمديات والطموح) •

ج ـ التفهم والقبول لدى أعضاء الهيئة التدريسية •

د ـ العلاقة بين المطلوب والفعاليات المؤدية لتحقيقه •

(أ) الوضـوح :

عند فحص ما يتعلق بالوضوح يفحص كل هدف معلن بحيث لا تشكـل المعايير المستعملة او أي منها غموضا سواء كان ذلك لأعضاء الهيئة التدريسية أم الطلبة أم المجتمع . كما على الاهداف ان تكون متوافقة مع بعضها . وفي العادة تعطى درجات كاملة للهدف ذي الوضوح المثالي ونصفها للهدف الذي فيه شيء من الغموض بما يـؤدي الـى مفاهيم اختـلاف شكلي ولاشي أو قليل للهدف الذي يمكن أن تظهر عناصره متناقضة . واذا تم التركيـز على وضوح الاهداف عند التنفيذ فأن وضوح المعاني بالنسبة للمنهاج الدراسي من حيث الشروط المطلوب توفرها قبل الانخراط للدراسـة وعدد الفصول والسنين ووضوح المفردات المطلوبة عوامل تعطى لها النقاط في هذا الباب ، وكلها تبدأ بنقاط تتعلق بوضوح الاهداف من المناهج أو المدد أو المحتويات.

(ب) المجال :

عند تقويم المجال تكون أعلى النقاط مخصصة للمؤسسة التي تشير كل فقرات نظامها بشكل أو آخـر الى غايات المؤسسة سواء كان ذلك في فقرات الاهداف أم المناهج أم التقسيمات العلمية والادارية . وتعطى نقاط أقـل اذا ثبتت بعض الفقرات من دون وضوح يظهر علاقتها بالغايات بشكل منـاسب وأقل من ذلك اذا ذهبت التفاصيل في بعضها الى حجب الغايات أحيـانا أو حجب بعض التفاصيل أحيانا وهكذا .

(ج) القبول لدى اعضاء الهيئة التدريسية :

أما بالنسبة لهذه الفقرة فان ايمان الهيئة التدريسيـة بغايات المؤسسة وأهدافها ورغبتهم واندفاعهم لتفهيم زملائهم الجدد (حتى ما قبل التعيـين) مؤشر مهم على رسوخ دعائم المؤسسة التعليمية وعليه فانقبول الاغلبيةودعمهم لنظام المؤسسة وتعليماتها مؤشـر مهم يستحق درجات التقويم العالية وعـدم قبول الاغلبية مؤشر يستحق أدنى الدرجات والحالات الاخرى هي الوسطية.

(د) العلاقة بين المطلوب والفعاليات :

المطلوب ان تعتمد المؤسسة فعاليات أو اجراءات تؤدي الى تحقيق الاهداف في جميع الفقرات التي تشرح الغاية أو الاهداف • ان الفقرات التي تعلن الغاية أو الهدف وتثبت في الوقت نفسه الفعالية أو النشاط الذي سيعتمد لتحقيق ذلك تحصل على أعلى النقاط • أما النقص في ذلك بأنواعه كتثبيت غايات وأهداف من دون الاشارة الى الوسائل أو تثبيت فعاليات واجراءات ووسائل عمل بلا توضيح اين ستكون محصلتها عوامل تقلل من نقاط التقويم•

(٢) ـ هل تمتلك المؤسسة امكانية تخطيطية مناسبة ؟

ان الاهداف العامة والخاصة مرتبطة ارتباطا وثيقا مع التخطيط • كما أن التخطيط لايمكن أن يتم بشكل مقبول اذا لم تكن نصوص الاهداف فعالة وواضحة والعكس بالعكس •

لذلك فان حسن التخطيط ، لاسيما البعيد المدى منه ، لابد من ان يؤثر على نجاح المؤسسة التعليمية أو اخفاقها بما في ذلك نجاحها اقتصاديا وماليا • ان وجود دائرة تخطيط ودراسات مستقبلية مناسبة في المؤسسة التعليمية دليل على اهتمام المؤسسة بهذا الجانب •

ولربط التخطيط بالغايات والاهداف يمكن أن نبدأ بتحديد مجموعة من الاسئلة وهي :

- لمن بالضبط تم تأسيس الجامعة أو الكلية ؟
- من سيتأثر سلبا أو ايجابا (باستثناء التدريسيين والموظفين) في حالة غلق هذه المؤسسة التعليمية ؟
- هل رسالة هذه الجامعة مقبولة لدى كل الشرائح المكونة للعائلة الجامعية ؟ وهل نص الغاية الرئيسة مقبول بصدق وعمق نظرة ؟
- هل تحتوي النصوص أهدافا بعيدة المدى ولها علاقة مكملة لبعضها ؟
- كيف تتكامل الصورة عندما نحقق أهدافا متنوعة ؟ هل تؤدي جميعها الى الغاية المنشودة ؟

- هل الخطة مبنية على افتراضات واضحة وواقعية .
- هل ثبتت طرق تحديد الاهداف بوضوح؟ وهل توجد طـرق بديلـة ؟ وهل تتناسب هذه الطرق مع الموارد المتوفرة ؟
- ماذا ستفعل المؤسسة عند تغير الظـروف (كعـزوف الطلبة أو زيادة رغباتهـم) ؟
- هل يتم تحديث الخطة أو الخطط دوريا او عند الحاجة ؟
- هل تتم الاستعانـة بمعلومات رصنة عند اعـداد الخطط وكيف تؤمـن مصـادرها ؟
- هل تأخذ الخطة بنظر الاعتبار ديمومتهـا لتشمل التغـيرات الاجتماعية المتـوقعة ؟
- كيف تدار عملية تحقيق الاهداف الخاصة سنويا ؟ وهل هناك قياس بأنها تسير سيرا صحيحا ؟ وهل تستجيب الموازنة المالية لتحقيق ذلك ؟
- هل تستوعب الجهات التخطيطية بدقة معاني الاهداف الخاصة وتبعاتها ؟
- هل هناك من يقوم أداء رئاسة المؤسسة ؟ وكيف ؟
- هل هناك خطة لتقويم أداء التدريسيين ؟ وغيرهم ؟ وكيف يحسن أداؤهم؟
- هل تتناسب الرواتب والمحفزات مع الاداء الجيد ؟
- كيف يؤمن تطور المؤسسة وتطور منتسبيها بما يعزز أحدهما الاخر ؟

(٣) ـانسجام سياسات القبول واساليبه مع الاهداف

من غير الصحيح أن يعتقد بعضهم ان عملية القبول في المؤسسة الجامعية عملية ادارية وتنظيمية حسب . فهي في الحقيقة متعلقة جذريا بالخطة المركزية التعليمية التي تتبناها الدولة وذات علاقة مع غاية الجامعة وأهدافها وأعراف المجتمع وتقاليده وطموحاته . فمن الضروري ان تكون فلسفة القبول واضحة لدى الشرائح المذكورة بما يعزز دور المؤسسة ويديم صلاتها معها .

وفيما يأتي مقترحات في تقويم هذه العملية من خلال اجـابات لفقرات عديدة منها : التسويق والطالب والقبـول السنوي والعلاقة بـين المطلوب والمحقـق •

(أ) : التسويـق

- هل تخدم الجامعة (من خلال اختصاصاتها)رقعة جغرافيــة معينة تمتاز بمواصفات اجتماعيــة او صناعية محــدودة ؟ وكيف تستجيب سياسات القبول عند تغير هذه المحددات ؟ (كجامعة البصرة مثلا)
- ما أهم الاعراف والقيم الواجبة الانتبـاه لها ؟ بمــا في ذلك التقاليــد الاجتماعية ونسب الذكور والاناث ومبرراتها • (كجامعة الكوفة مثلا)
- هل تمتلك الجامعة أو الكلية شخصية ومواصفات تؤدي الى أن يكــون لها مركز متميز بين الجامعات والكليات الاخرى لتخدم السوق والطالب المتقدم لها على حد سواء ؟

(ب) : الطالب

- ما مواصفات الطالب الذي تبغي المؤسسة اجتذابه ؟ وهل هناك شروط قياسية تؤمن حصول المؤسسة على هذا الطالب ؟
- هل هناك حدود للشريحة الطلابية المطلوبة لتأمين التباين في المواصفات ولتحقيق التوازن العلمي والاجتماعي الصحيح ؟
- من المسؤولون عن الاختيار وهل يتمايز بعضهم عن بعض في المسؤولية؟
- هل ينجذب الطالب الى الجامعة أو الكلية من خلال المعلومات المتوفــرة عنهــــا ؟
- هل هذه المعلومات ومصادرها صحيحة وكافية لتحقيق التوازن المطلوب بين الطالب والسوق؟

(ج) : القبول السنوي

- هل تنسجم خطـة القبـول ومؤشراته لسنة ما مع الخطة طويلـة الامـد ومع الموارد المالية المتوفرة التي يتوقع توفرها ؟
- هل اعتمدت المعلومات والخبرة السابقة لوضع خطة قبول واقعية تحقـق التوازن بين العدد والنوع المطلوب قبوله وبين الذي سيتقدم للقبول ؟

(د) : المطلوب والمحقق

- هل تمتلك الكلية خططا تنفيذية واقعية ومدروسة وطموحة لتحقيـق المتطلبات الدراسية التي ستمنـح للطلبة ومنها ما يتعلـق بالتدريسيين والموارد المالية والأطر المساعدة .
- هل جداول العمل التدريسي متوازنة ومحققة للغرض وواقعية ؟
- هل تتوفر خطة لتقويم نتائج العملية كلها سنويا ، ولكل دورة ، لفترات بعيدة المدى (كعقد من الزمن مثلا) ؟ وهـل يمكن تصحيـح المسـار بالنسبة للنتائج التي تقوم سنويا بحيث يمكن ضمان انسجـام المسيرة مع الخطة المرسومة ؟
- هل هناك خطة لاعادة النظر في الخطة ؟ (في ضوء التغيرات في عنـاصر العمل الجامعي أو التعليمي او الظروف المحيطة بها).

(٤) ـ الشخصية العلمية والمعنوية للمؤسسة

أو بعبارة أخرى هل الاهداف العامة والخاصة المعلنة للجامعة أو الكلية تعطيها الشخصية المتميزة بين مثيلاتها على المستوى المحلي ؟

ان الجامعات تمتاز باستقلالية تؤمن لها تحقيق الكثير من الاهـداف بالاسلوب والشكل الذي يعكس شخصيتها المختلفة عن الجامعات الاخرى. ذلك أن بالرغم من ان خطة التعليم العالي مركزية وهي التي تحـدد تـوزيع الموازنات المالية وتقر السياسات الجامعية العامة كما تقر الاسلـوب الاداري

والعلمي العام بموجب قوانين وأنظمة ولكليات معروفة مؤازرة بأعراف مقبولة وكل هذه تحدث بين الحين والآخر • وخطة التعليم العالي مركزية تتأثر بالظرف الذي يمر بالمجتمع ومن ذلك الظروف السياسية والدولية والاجتماعية والمالية والتعبوية وغيرها • ما الهدف من تشكيل الجامعة أو الكلية ؟ هل لسد نقص في عدد الخريجين ؟ هل لخدمة رقعة جغرافية معينة ؟•

أيبقى المطلوب من التعليم العالي أن يولد توائم متشابهين تماما في كل شيء ؟ أم ربما أبناء لهم نفس المهام ولكن مختلفون في العمر (وبذلك الحجم) أم ان (التعليم العالي) سيشكل الخيمة التي تظلل المختلفين في مواصفاتهم الذاتية وأحجامهم ومؤهلاتهم ولكنهم يسعون جميعا لتحقيق الغاية المنشودة؟

ان الوضع الحالي لايعطي الصفة المستقلة المعنوية العلمية الحقيقية للجامعة ولا يعطيها سياسة قبول (ربما يخولها أحيانا تحديد مفردات بسيطة من شروط القبول) وحيث أن القبول مركزي فانها تعطى حصتها من المتقدمين وتكافح الجامعات لتحصل على موازنة تسد به التزاماتها • هناك حاجة ماسة لاعادة الشخصية المعنوية الحقيقية المبنية على الغاية والهدف الذي أُنشئت من أجله جامعة ما الا اذا كانت مخطط لها أن تكون نسخة طبق الاصل من غيرها • فاذا قبل هذا المبدأ وهو مقبول حيث أن قانونا واحدا تفصيليا يدير كل المؤسسات التعليمية العليا (باستثناء عدد قليل لايشكل نسبة تبرر الرجوع اليه في مجال هذه الورقة) وهذا المبدأ ساري المفعول خلال أكثر من ثلاثين سنة مضت لاسباب منطقية الا انه لايجب أن يكون ابديا والا ما استطعنا تقويم المؤسسة العلمية الا بأسلوب الجوائز أو ربما الامتحانات المركزية وهذه أساليب مختلف عليها ولكنها حاليا بلا بدائل أفضل بسبب تشابه ومركزية التخطيط العلمي والمنهجي والمالي والقبول والتعيين في الجامعات •

وباعتبار ان مركزية السياسة التعليمية العليا متطلب وطني موجود في كل دول العالم مع اختلاف حجمي وليس اختلافا فلسفيا فان بالامكان تقويم الجامعة من خلال ما يأتي:

- جودة العلاقةالوظيفية بين رئاسة الجامعة أو / وعمدائها مـن جهة وبين مسؤوليهم أو نظرائهم في التعليم العالي •
- هل المسؤولون في الجامعة على تنفيذ الخطة مدركون المتطلبات المركزية؟
- هل الصيغ التي جاءت بها الخطة متماشية مع الخطة المركزية ومتطلباتها ؟
- هل يتم انجاز صيغ الخطة الجامعية بوقت مناسب لتتماشى مـع الخطة المركزية وليتم التنسيق والالتزام في وقته ؟

٤ ـ بعض عناصر التقويم الاخرى

لقد تطرقنا سابقا الى عناصر التقويم الرئيسة العشرة وتعرضنا بشيء من التفصيل الى تقويم الغايات والاهداف كما وجدنا في الفصل الماضي • وعناصر التقويم الاخرى ليست أقل أهمية ولكن يتم التطرق اليها بكثرة في الدراسات المتوفرة لذلك لن نتطرق اليها حاليا وللمهتم فان بعض الدراسات في مصـادر هذه الورقة تتعرض لها ويمكن الرجوع اليها •

ا ـ الاستيعاب المعرفي للطلبة

ونعني به تقويم مدى اكتساب الطالب للمعرفة • هذا العنصر تم التطرق اليه أكثر من أي عنصر آخر في تقويم الاداء وهو فعلا من أهمها • ومقترحات في أنظمة اكتساب الطالب للمعرفة وتقويمها من التعدد بحيث يستوجب تصميم منظومة خاصة للتقويم تعتمد على مدخلات المؤسسة وأهدافها • الا ان من المفيد ذكر بعض العناوين خارج نطاق معيار النتائج الامتحانية :

أولا : التسرب •

ثانيا : مواصفات الطالبالعلمية وخلفيته الاجتماعية •

ثالثا : أنواع التدريس وطرائقه •

رابعا : وجود الارشاد العلمي والشخصي •

خامسا : العلم والمهارة •

ومنها :

١ ـ المهارة اليدوية ومهارة الاتصال •

٢ ـ الحكمـــة •

٣ ـ احترام الرأي العلمي الآخر •

٤ ـ الابـــداع •

٥ ـ اكتساب الرغبة في التعليم المتواصل •

سادسا : النواحي الاجتماعي

ومنهـــا :

١ ـ رسوخ القيم والاعراف

٢ ـ تطور الشخصية

٣ ـ الشعور الانساني

٤ ـ الخلق والعادات

ب ـ اعضاء الهيئة التدريسية

لا يختلف اثنان في ان المستوى النوعي للمؤسسة التعليمية يتناسب طرديا مع مستوى اعضاء الهيئة التدريسية • لقد وجدت ان عملية تقويم الكفاءة للتدريسيين برأي المختصين (الغربيين) لاتتم الا بعد ان ينظر أولا في تفاصيل مواردهم الاقتصادية وهل هي وافية بحيث يكون العمل الجامعي مجديا ماديا فضلا عن كونه يروق لهم معنويا • وهذا الامر الذي ينتابنا الخجل كلما تطرقنا له غير موجود لدى الاستاذ الجامعي الغربي ولا هو موجود بذهن الذي يحدد له مستحقاته • لان كليهما يدرك ان اطمئنان الاستاذ لوضعه المعيشي وتأمين مستقبل عائلته عنصر استقرار فكري لابداعه في مجال عمله

أما أهم فقرات تقويم أدائه فتشمل على سبيل المثال لا الحصر :

أولا : شهادته ومن أين حصل عليها •

ثانيا : مساهمته في الدراسات العليا •

ثالثا : نشاطه العلمي المنشور •

رابعا : انتماءه الى الجمعيات العلمية المعتمدة والجمعيات المهنية •
خامسا : تقديمه المشورة ، والعقود التي يحصل عليها •
سادسا : امكاناته التعليمية •

ج ـ المنهاج الدراسي

تعرف المؤسسة العلمية بثلاثة : الافراد والمناهج والمستلزمات • وهي متممة لبعضها غير قابلة للفصل • والمنهاج الدراسي قلما ينظر اليه بعين صائبه في محيطنا الجامعي ، حيث يكون التركيز في تقويمه مبنيا على توفر النسب المنهجية المعتمدة داخليا وعربيا ودوليا • ومن هذه عدد الوحدات وعدد الساعات وتوفر المواد العامة والمتطلبات الجامعية ومتطلبات الكلية والقسم والاختصاص وهكذا •

ومن أهم العناصر التي تؤثر تأثيرا بالغا وأساسيا في مستوى المنهاج الدراسي ما يأتي :

أولا : مدى تكامل المنهاج الدراسي الاولي مع المنهاج الدراسي العالي •
ثانيا : هل تتوفر (حقيقة) المستلزمات المادية والبشرية لتحقيق المنهاج الدراسي؟
ثالثا : هل تتوفر لدى المؤسسة مراكز معلومات عصرية تدعم علميا المنهاج الدراسي ؟ وهل يتوفر في هذا المركز مؤهلون لتقدير المساعدة والخدمة الكفوءة ؟
رابعا : هل تتوفر في المؤسسة عوامل تدريب الطالب على عملية التعلم نفسها؟
خامسا : قوة مد الجسور بين الفكر العلمي وتطبيقاته •

د ـ كفاءة اداء القيادات العلمية العليا

يقول بعضهم تهكما إن الادارة الجامعية هي اسلوب تنظيم للفوضى ! فالغاية تنظيم قوى مختلفة متطرفة الرأي ولها استقلالية في التفكير والادارة وهديها الى محصلة ايجابية نافعة تحقق الغايات والاهداف • عليه فان من أهم ما يجب ان يتميز به الاداري القيادي العصري ما يأتي :

- الفعاليـة .
- صارم ومدافع عن مبادئه .
- يجيد التصرف بالموارد المالية .
- يجيد التعامل المتوازن مع الملاكات البشرية .
- يمتلك الأفق الواسع لأهداف التعليم العالي المحلية والعلمية .
- يسيطر على المسار التعليمي بالوجهة الصحيحة وليس العكس .
- يمنع مؤسسته من الانحراف او التدني بمستـوى أدائها ويبقيهـا في المستوى اللائق في الظروف الصعبة من خلال التفكير ببدائل جديدة .
- التوازن بين المركزية والديمقراطية والواقعية خصوصا في الظروف الصعبة كأن تمر الأمة في حرب أو حصار أو نقص في الاموال والكوادر .

ان المواصفات المذكورة آنفا تلقب أحيانا بالادارة الديناميكية [١١] ومن أهم مميزاتها مجتمعة السيطرة على المعلومات والتعامل معها وحسن استغلالها في اتخاذ المواقف والقرارات لاسيما تلك التي تتعلق باستعمـال الموازنة المالية بشكل كفوء . كذلك يمتاز الاداري الديناميكي بالشجاعة الادارية والتنظيمية والتخطيطية التي تجعله يقود الادارات واللجان المكلفة (من قبلـه) بهـذه الواجبات كما ان استخدام العناصر الكفوءة وتعيينها صلاحية ان لم تعـط للاداري القيادي تفقده ديناميكية القيادة المطلوبة .

ومن السمات الاخرى للادارة الديناميكية امكانية حسم الخلافات وبما يحقق العدل والرضا ومد الجسور بين امكانية التأثير الايجابي في حسم الامور وامتلاك السلطة اللازمة في حسم الامور أي ان الاقناع هو العامل الاهـم من التسلط أو القسر وفي المصدر المشار اليه أعلاه دراسـة كاملـة حـول هذه الامور وسبل تقويم اداء كل منها .

٥ ـ اساليب التقويم

ا ـ مقدمة

تتراوح أساليب التقويم الجامعي من منظومات تفصيلية معقدة معتمدة على خبرة هذه الدولة أو تلك الى مجرد المقارنه في النتائج الامتحانية بالنسبة

الى المفاضلة التي هي ليست ضمن فلسفة التقويم الاساسية • ان الغاية من تقويم المؤسسة الجامعية هي ليست اعتماد الشهادة التي تمنحها الجامعة فحسب وانما الاعتماد والتفويض والتثمين وقياس الاداء جميعا •

في الغالب تجرى عملية التقويم من خلال قيام فريق مخول ومؤهل (ويتحمل مسؤولية مهنية وتأريخية كبيرة) بزيارة المؤسسة المعنية لتشخيص جميع العوامل التي لها علاقة بهذه العملية • وعليهم أن يكونوا ملمين بغايات المؤسسة وأهدافها بالتفصيل الدقيق ليكون بامكانهم الحكم على عناصر التقويم بالشكل الصحيح والعادل وان لا تنقصهم الشجاعة والصراحة وتحمل المسؤولية • كما ان أي واحد من أعضاء الفريق الزائر عليه ان يكون هو بنفسه من ذوي الخبرة السابقة ومؤهلا للقيام بالعديد من المسؤوليات القيادية في هذا المجال أو يقوم بها فعلا •

فضلا عن عمل الفريق الزائر الذي تحكم مهامه اجراءات بالغة في الدقة والتفصيل فان هناك جداول واستمارات معدة لهذا الغرض على المؤسسة أن تدون فيها المعلومات اللازمة قبل موعد زيارة الفريق وخلال الزيارة وربما بعدها ان استوجب تصحيح واقع الحال وسنتعرض لتفاصيل الزيارات لاحقا •

ان الهدف من هذه الاجراءات يتلخص في :

أولا : تشخيص المؤسسات العلمية المانحة للشهادات الجامعية المستحقة الاعتماد ويكون ذلك كما يأتي :

١ ــ الاعلان (بعد استكمال اجراءات التقويم) لكل العاملين في الاختصاص والطلبة المتقدمين للدراسة والمؤسسات التعليمية ذات العلاقة والجمعيات المهنية وحقل العمل والمؤسسات الرسمية الحكومية وهيئات الامتحانات المركزية ان وجدت بأن المؤسسات التي تم تقويمها تفي بالحد الادنى الذي يؤهلها بأن تكون معتمدة (Accredited) .

٢ ــ توفير الارشادات بغية تحسين مستوى أداء المؤسسات التعليمية وتطوير مناهجها المستقبلية .

ثانيا : تنظيم الآلية التفصيلية اللازمة لتقويم الاداء وتنفيذها ، والاستمرار بتطويرها .

ب ــ سياسة تقويم الاداء

أولا : التركيز على تقويم المناهج الدراسية (الخطط الدراسية والمفردات والمستلزمات وجودة التدريس وليس تقويم الافراد أو غير ذلك من العوامل الخاصة حيث ان تقويم هذه العوامل يمكن أن يتم من خلال عمليات وتيرية (روتينية) داخل المؤسسة. ولاجل تقويم المنهاج يجب على جميع الاجراءات المختلفة المتخذة لتنفيذ المنهاج ان تكون قابلة للتقويم (أي قابلة للقياس) .

١ ــ يعرّف المنهاج الدراسي بتلك المجموعة من المقررات الدراسية (او التدريبية أو غيرها) المتسلسلة علميا والمتدرجة بمستواها وعمقها الدراسي التي تؤدي الى الهدف من الدراسة .

٢ ــ يأخذ تقويم المنهاج الدراسي بالاعتبار ما يلي :

- مؤهلات أعضاء الهيئة التدريسية .
- المقرر الدراسي .
- نوع الطلبة .
- الادارة .
- المستلزمات .
- الاندفاع .

وفي حالة وجود اختلافات جوهرية في امكانية تقويم العوامل اعلاه أو غيرها بين منهاج وآخر قد لايكون المنهاجان مؤهلين للمقارنة وتبقى امكانية تقويمها بشكل منفرد قائمة .

٣ ــ يمكن للمناهج الدراسية الموازية أو الفرعية ضمن الاختصاص الواحد أن تعتبر مناهج دراسية قائمة بحد ذاتها على ان تخضع لنفس معايير التقويم المعتمدة للاختصاصات الرئيسة .

ثانيا : حث المؤسسات العلمية لاخضاع برامجها العلمية للتقويم تلقائيا وبدون ضغوط وتبصيرها بالايجابيات المرجوة من التقويم .

ثالثا : تكون المؤسسات العلمية الخاضعة للتقويم مؤسسات علمية معترف بها من الدولة أو من تخـول من الـوزارات كوزارة التعليـم العـالي والبحث العلمـي .

رابعا : تخضع المناهج الدراسية في جميع مراحلها (الاولى والعليا وغـيرها) للتقويم من حيث المبدأ الا اذا أدت ظروف خاصة لتقـويم مرحلة دون أخـرى .

خامسا : يأخذ التقويم بنظر الاعتبار وجود اجتهادات متعددة للمفردات المؤدية الى الهدف من الدراسة بحيث لاتتشابه بالضرورة المناهج الدراسيـة المقدمة من مؤسسات علمية مختلفة .

سادسا : تجنب وضع مقاييس من الدقة في التفاصيل بحيث تجعل من الدراسات تكرارا لبعضها بل اعطاء مرونة كافية لهذه المقاييس احتراما لخصوصية المناهج في الكليات أو الاقسام المختلفة .

سابعا : يأخذ التقويم بنظر الاعتبار العوامل النوعية والكمية المتوفرة لتغطية هذه البرامج الدراسية .

ثامنا : يأخذ التقويم عمقا أكبر اذا ما تم تخريج دورة (في الاقل) في اختصاص حيث يكون بالامكان جعل « أداء الخريج » أحد معايير التقويم .

تاسعا : تقدم نتائج التقويم الى جهة عليا مخولة باصدار القرار .

عاشرا : يكون من حق المؤسسات التعليمية معرفة نتائج تقويم مناهجها بتثبيت الايجابيات والسلبيات لها ، كما يكون من حق المؤسسات التعليميـة ابداء وجهة نظرها في الملاحظات السلبية التي تعلن اليها .

حادي عشر : تكون سياسة اعلان نتائج التقويم علنية وخاضعة للأسس الآتيـــة :

١ ـ يعتبر التقويم ايجابيا اذا كـانت المناهج تحقق الحد الادنى من المواصفات المقرّة•

٢ ـ تعتبر المراسلات التحريرية بين جهة عليا لتقويم الاداء والمؤسسة المعنيـة شديدة الكتمان ولاتعلن تفاصيلها الا بموافقة الطرفين أو بأمر من جهة أعلى •

٣ ـ لايشترط أن تكون كل المناهج الدراسية المعتمدة في المؤسسة التعليمية خاضعة للتقويم في آن واحد وتعتبر المناهج الخاضعة للتقويم قد اختيرت لأسباب موضوعية ولايعني ذلك ان غيرها يعتبر غير معتمد ، الا انه من الضرورة أن يشار الى ما خضع منها واجتاز مرحلة التقويم واعتبر معتمدا •

٤ ـ بعد اعتماد أسس لتقويم المناهج يفضل أن يكون أسلوب عرض المعلومات المعلنة او المنشورة للطلبة والمجتمع عموما منسجمة مع معايير التقييس المعتمدة من قبل المؤسسة والصادرة عن الهيئة المخولة بوضعها •

ج ـ طرق التقويم

أولا : تقديم جميع المعلومات الواجبة التقديم من المؤسسة وفيها كل ما يتعلق بما تطلبه جهة التقويم العليا (لجنة أو هيئة) من تفاصيل وبيانات من خلال استمارات خاصة بالغة التفصيل معدة لهذا الغرض •

ثانيا : الزيارات الميدانية للجان خبراء متخصصة ترسلها الجهة العليا ، تتلخص أهداف هذه الزيارات الميدانية بما يأتي :

١ ـ سد الثغرات المعلوماتية التي تكون استمارات المعلومات قاصرة عن توفيرها•والاطلاع عن كثب على ما لا يمكن شموله باستمارات

المعلومات كالجـو الثقافي والعلمي ومزايا التدريسيين والطلبة من النواحي الثقافية والشخصية والاجتماعية أي كل ما يتعلـق بما نعنيه بالاجواء الجامعية المثاليـة المطلوب تـوفرها في المؤسسة التعليميـة •

٢ ـ على لجنة الخبراء تشخيص الايجابيات والسلبيات ولها ابداء هذه الملاحظات للمعنيـين •

٣ ـ على لجنة الخبراء اجراء دراسات أكثر تفصيلا واكثـر تعمقا في المعلومات المدعاة من قبل المؤسسة التعليمية وبالذات ما يخص ما يأتـي :

- آليات الادارة والسيطرة والتنظيم والمتابعة المعتمدة •
- تفاصيل مفردات الخطط الدراسية ومستوى الشهادة المعطاة •
- التأريخ العلمي للكلية •
- قواعد قبول الطلبة وشروطه •
- عدد الطلبة وفي حالات وجود اختصاصات دقيقة عـدد الطلبة في كل اختصـاص •
- معلومات علمية عن أعضاء الهيئة التدريسية والحمـل الدراسـي لكل منهم •
- المستلزمـات التطبيقية •
- الشؤون المالية وحجم الموارد واستثمارها •

ثالثا : مبادىء اخرى في عملية التقويم

١ ـ مستوى تنظيم الخطة الدراسية •

٢ ـ فحص النوع (رصانة الخطة) وفحص الكم (الوحدات المطلوبة) حسب الاسس المقرة •

٣ ـ التأكد من احتواء الخطة على المواد الاساسية بشكل متكامل ثم فحص المواد الاخرى في ذلك الاختصاص •

٤ ـ التأكد من محتويات المواد ضمن الخطة (المفردات) وعدم الاعتماد على الاسم الممنوح لتلك المادة •

٥ ـ أسلوب التعليم وطرائقه وتطورها عبر المراحل وطرق منح الدرجات وضوابطها والتأكد من أن الاساليب المتبعة تؤدي الى تحقيق الهدف من الدراسة •

د ـ المعايير

اولا : تصميم البرنامج الدراسي ومستواه

على البرنامج الدراسي أن يهدف الى تهيئة الخريج للعمل في مهنة بالمستوى الذي يؤهله البرنامج لها سواء كانت أولية أم عليا أم خاصة• وعلى أي حال يتوجب تعريف المهنة او المهن التي سيمارسها الخريج بعد التخرج •

ثانيا : انواع المعايير

(١) المعايير العامة

تنظيم معايير عامة لكل منهاج دراسي غاياته الرئيسة التأكد من وجود النسب المقرة من المواد الاساسية والتخصصية والانسانية (العامة أو الجامعية) والتصميمية (او المشاريع) على أن تكون هناك نسبة مخصصة للتطور في الاختصاص تتغير حسب متطلبات العصر والحاجة • ولا مانع من أن تنعكس خصوصية المؤسسة التعليمية على منهاجها بالحد الذي تتميز به شخصيتها على أن لايتعارض ذلك مع الحدود الدنيا التي ستسمح بها النسب المقرة •

يجب أن تكون الغاية باتجاه التشجيع والتحفيز (أي ايجابية) وليس باتجاه التقييد (أي سلبية) •

(٢) المعايير المنهجية

تسمى جهة مختصة لوضع معايير للمناهج الدراسية لكل اختصاص تأخذ بنظر الاعتبار حاجة الجهات المستفيدة للخريج •

معايير المناهج هي الاسس التي تخدم تحقيق المعايير العامة لأي تخصص وتكون قرارات الجهة المسؤولة عن وضعها واجبة التنفيذ ضمن الحدود الدنيا والحدود العليا المعلنة •

تكون المعايير المنهجية معلنة وتخدم تحقيق المعايير العامة وبالتالي أهداف المنهاج الدراسي •

لايسمح بوجود تناقض بين المعايير المنهجية والمعايير العامة مع التسليم بأن المعايير المنهجية هي أكثر تفصيلا وتحديدا من المعايير العامة •

ثالثا : تفاصيل المعايير العامة في اعتماد المنهج الدراسي في الاختصاص

(١) اعضاء الهيئة التدريسية

تتعرض هذه الفقرة لحجم أعضاء الهيئة التدريسية وكفاءتهم ، ومستوى التدريس وعمقه ، والدلائل على الاهتمام والتطور في العمل •

- على التدريسي أن يكون متمكنا ومؤهلا ومتطلعا الى الافضل معطيا الجو الجامعي المرتقي الى الرفعة وان يكون قدوة للطالب •
- أن يكون التدريسي من ذوي الخبرة ويمتلك الاهتمام الكافي بعمله•
- أن يكون عدد التدريسيين في القسم العلمي كافيا لاحتواء المقررات الدراسية •

ان المعيار المتعارف عليه لعدد التدريسيين في الدول المتقدمة هو :

- للمواد الدراسية في الدراسات الاولية ثلاثة تدريسيين في الاقل على الملاك الدائم في المنهاج الدراسي الذي يؤديه عدد معين من الطلبة •
- اذا زاد عدد الطلبة عن الحد المعين يفترض زيادة أعضاء الهيئة التدريسية تناسبيا حسب معادلة مصممة لهذا الغرض •

- للمواد التخصصية في الدراسات العليا تدريسي واحد في الاقل على الملاك الدائم .
- من غير المقبول أن يعتمد أي منهج دراسي على عضو واحد من أعضاء الهيئة التدريسية .
- أن يكون الحمل الدراسي منسجما مع الالتزامات البحثية والتطور المهني في الاختصاص . يفضل تحديد حد أعلى للحمل التدريسي يعتبر تجاوزه معيارا سلبيا .
- دور أعضاء الهيئة التدريسية في تطوير أساليب التعليم والتعلم ووسائل العرض بأحدث الطرق الفنية .
- يمكن للأمور المدرجة أدناه أو اخرى غيرها ان تكون معايير مضافة لكفاءة أداء عضو الهيئة التدريسية .
  - مستوى الشهادات (المؤهلات) وجهات منحها .
  - التمايز في الخلفية العلمية عن أقرانه .
  - المؤهلات الاخرى التي لا علاقة لها بالاختصاص الدقيق .
  - الخبرة التدريسية .
  - امكانية التعبير بطلاقة وسلامة اللغة ومستوى ايصال المعلومات .
  - دورة في تطوير أساليب التدريس .
  - النشاط البحثي ونشر النتاج العلمي .
  - الانتماء الى نقابته المهنية ودوره فيها .
  - اعتراف الطلبة بامكاناته الشخصية (الفطنة والذكاء وسرعة البديهة) ضمن مهنته .
  - الاهتمام بالنشاط الطلابي اللاصفي .
- على أعضاء الهيئة التدريسية تقديم المشورة الكافية لارشاد الطالب الى

مجال العمل المناسب بعد تخرجه في ضوء المنهاج الدراسي الذي يؤديه.

(٢) اهداف المنهاج الدراسي ومحتواه

المنهاج الدراسي يقاس عموما بمدى تحقيقه للهدف المنشود وهو تأهيل الطالب لمهنة معينة .

من أهم مايجب على المنهاج أن ينشده ما يأتي :

- خدمة المجتمع وحل مشاكله بواسطة من يتأهل من خلال المنهاج الدراسي.
- أن يكون للمنهاج الدراسي علاقة واضحة مع المتطلبات الحياتيةوتطويرها.
- أن تنعكس في محتويات المنهج ما يؤدي الى السلوكية المهنية المقبولة من الخريج .
- أن يكون قابلا للتطور حسب المتغيرات وأن يجعل من الخريج مهنيا ملتزما بمبدأ استمرارية التعليم بعد التخرج .

(٣) الطلبة

في هذا الجانب تدخل ضوابط القبول وما يتعلق بشؤون الطلبة في النظام الدراسي والتسجيل والوثائق وسيرة الطالب وغيرها .

- مستوى الطالب المقبول .
- أداء الطالب خلال الدراسة .
- أداء الخريج في حقل العمل .
- ضوابط الانتقال والمقاصات .
- يجب أن تشمل اجراءات تقويم الطلبة كافة مايلي من العوامل في الاقل :

١ ــ الامتحانات التحريرية والشفوية .
٢ ــ الواجبات البيتية .
٣ ــ التجارب المختبرية أو الميدانية .
٤ ــ التقارير الدورية وتقارير المشاريع .

٥ ــ مهارة استيعاب المعلومات وايصالها ٠

(٤) الادارة

تشمل هذه الفقرة ما له علاقة بالسياسة الادارية والتنظيمية المؤثرة على الشؤون التدريسية والبحثية ، كما تشمل ما له علاقة بنوع وكفاءة مستويات العمل ٠ ومن هذه الامور ما يأتي :

ــ القسم العلمي الناجح يمتاز بعلاقة جيدة مع الادارة والعكس صحيح أي ان الادارة الناجحة هي التي تمتاز بعلاقة جيدة مع الاقسام العلمية ٠ وحيث أن أعضاء الهيئة التدريسية هم العنصر الاساس فان أسس التعامل الناجحة بينهم وبين أصحاب القرار يؤدي الى نجاح دورهم التدريسي والبحثي ٠

ــ اذا كانت الكلية (أو المؤسسة التعليمية) قيد التقويم ويترتب على ذلك ما يترتب من نتائج ، فمن حق ادارة الكلية أن تخول اتخاذ القرارات الرئيسية بشأن ما يأتي بعد استشارة كافية من التدريسيين واللجان والمجالس ٠

- اختيار أعضاء الهيئة التدريسية ٠
- الاشراف على نشاطهم ومراقبة حسن أدائهم ٠
- تحقيق حقوقهم أو المطالبة بها ومتابعة حصولهم عليها ٠
- اختيار الطلبة والاشراف الكامل عليهم ٠
- المسؤولية الكاملة في استخدام المستلزمات العائدة لها لأغراض الطلبة وأعضاء الهيئة التدريسية ٠
- مسؤولية التعريف بالكلية وأهدافها ونشاطاتها اعلاميا ٠

ــ تكون مؤشرات اختيار العمداء ورؤساء الاقسام مبنية بالدرجة الاولى على تملكهم في الاقل المؤهلات الآتية قبل اعطائهم المسؤولية قدر الامكان ٠

- السمات الشخصية الايجابية والحكمة والشجاعةفيالقيادة والادارة.
- الشهادات العلمية الرفيعة المستوى والدرجات العلمية العالية .
- الاهتمام بالنشاطات المهنية والتربوية .
- التعاون الايجابي مع الاداريين الآخرين .
- رغبتهم الحقيقية في تحمل المسؤولية .

(٥) المستلزمات

- يكون قياس الاداء ناقصا اذا لم تتوفر الحدود الدنيا من المستلـزمات المطلوبة في أي اختصاص خاضع للتقويم بما في ذلك المختبرات والقاعات الدراسية والمكاتب بأنواعها والخدمات .
- تعكس المكتبات بأنواعها مؤشرا مهما جدا من خلال محتوياتها ومعاصرتها وتطويرها ومواكبتها ومنظومات شرائها لإحدث الاصدارات واستنارتها بآراء أعضاء الهيئة التدريسية من خلال سياقات واضحة . وتدخل في الخدمات المكتبية جميع الخدمات الحديثة المبنية على بنوك المعلومـات والاتصالات الحاسوبية وشبكات الاتصـال العالميـة (الانتـرنيت) والتسهيلات المقدمة للطلبة وأعضاء الهيئة التدريسيـة لاستحصـال المصادر غيرالمتوفرة فيها .
- ان توفر أجهزة الحاسوب ومدى توفر أجيالهـا المتطورة لاستعمـال الطلبة والتدريسيين هو الآخر مقياسا مهما لاداء المؤسسة التعليمية . الا ان المستوى التقني لهذه الاجهزة قد يختلف من كلية الى اخرى ومن اختصاص الى آخر . هناك حاجة لتحديث المستوى التقني المطلـوب لكل اختصاص دوريا . ان وجود هذه الاجهزة يجب أن يرتبـط بمدى سهولة توفر استعماله للطلبة والتدريسيين والباحثين . هذه المستلزمات (الحاسوبات) يقاس مدى أدائهـا ايضاً بنوع الفنيـين القائمين على جعلها في أفضل مستويات عملها وهي (كالمكتبة) يكون أفضل مـؤشر

لأدائها عدد الطلبة والتدريسيين الذين يستعملونها خلال أية فترة زمنية ونوعهم •

- اذا تطلب المنهاج الدراسي وجود مستلزمات تطبيقية كالمختبرات والمشاغل (الورش) ومختبرات اللغة والاجهزة والمعدات وغيرها فعلى المؤسسة توفير هذه المستلزمات للمتطلبات المثبتة في المنهاج الدراسي وهذا مؤشر مهم على كفاءة أداء المؤسسة التعليمية • كما ان وجود منظومات ادارية ومالية وفنية لتطوير الاجهزة والمعدات وصيانتها واستبدالها مؤشر ايجابي •
- موازنة المؤسسة التعليمية المالية مؤشر مهم على امكاناتها للقيام بالالتزامات العلمية والادارية والفنية الواجبة التنفيذ وان حسن التصرف المالي وكفاءة الاستثمار مؤشر مهم على أداء المؤسسة التعليمية •

هـ ـ الاجراءات المقترحة

تتلخص الاجراءات المطلوبة بما يأتي :

أولا ـ جهة رسمية مسؤولة عن تقويم الاداء وتقديم الانظمة والتعليمات المطلوبة لتنفيذ الاجراءات (لجنة أو هيئة تقويم الاداء) •

ثانيا ـ الزام المؤسسات التعليمية باتخاذ اجراءات تقويم الاداء من خلال :

١ ـ تقديم طلب للتقويم من خلال فترة لاتتجاوز السنة بعد تخريج أول دفعة في الاختصاص قيد التقويم •

٢ ـ تثبيت المعلومات المطلوبة من دون أي نقص من خلال استمارات تعدها الجهة المسؤولة عن تقويم الاداء •

ثالثا ـ آلية لضمان سلامة حفظ المعلومات وتطبيق درجة كتمان عالية •

رابعا ـ زيارة من قبل لجنة خبراء تعينهم الجهة المسؤولة ويؤخذ بنظر الاعتبار ما يأتي:

١ ـ يتم الاختيار بموجب الاختصاص وتقدم التقارير الى الهيئة وليس الى المؤسسة التعليمية .
٢ ـ يجوز قيام المؤسسة التعليمية بتقديم معلومات مضافة نتيجة للزيارة خلال مدة محددة ولاتكون الجهة المسؤولة ملزمة بالضرورة للأخذ بها حيث ان تقارير الزيارة الرسمية تبقى هي الاساس .
٣ ـ تكون المؤسسة التعليمية مسؤولة عن تحديث المعلومات في حالة حدوث تغييرات بعد زيارة لجنة الخبراء.
٤ ـ يجوز للجهة المسؤولة أخذ رأي الجمعيات المهنية أو العلمية المختصة والمعتمدة في ملاحظات لجنة الخبراء عند الحاجة .

خامسا ـ اتخاذ القرارات

١ ـ تكون الجهة المسؤولة المرجع النهائي في اتخاذ القرارات (أو التوصيات).
٢ ـ تكون القرارات نافذة لفترة محددة حيث يتوجب اعادة التقويم بعدها .
٣ ـ تكون قرارات الجهة المسؤولة عن نتيجة التقويم علنية .
٤ ـ تكون قرارات الجهة المسؤولة مصانة وغير مؤثر عليها من أية جهة اخرى ولا تتحمل الجهات المعنية تبعات قرارات التقويم الا من خلال مراجعها ولا لعلاقة لها بجهة التقويم المسؤولة من حيث الادارة بأي شكل من الاشكال .

سادسا ـ الاستئناف

يجوز للمؤسسة التعليمية الاعتراض على قرار التقويم وذلك من خلال التعليمات المعتمدة وخلال فترة زمنية محددة وعندئذ يتم تشكيل لجنة تمييز اختصاصية وفي ضوء تقريرها النهائي تتخذ الجهة المسؤولة قرارها النهائي الذي لايخضع لأي اعتراض آخر .

٦ ـ الخاتمة

تطرقت الورقة بشكل مختصر الى عملية تقويم الاداء الجامعي ، وقامت بعرض الموضوع من وجهة النظر التي تعكس معنى التقويم بأنه الاجراءات

التي تؤكد ان المنهج الدراسي باختصاص جامعي معين يلبي فعلا متطلبات الحد الادنى الذي يجعل من يجتاز هذا المنهج مؤهلا لتحمل المسؤولية المهنية التي تعكس اختصاصه • وبذلك لم ينظر الى التقويم عنصر مفاضلة بين الاختصاصات المماثلة من خلال مناهجها المتناظرة فقد يكون الكثير منها مقوم ومعتمد وان كان بعضها اعلى مستوى من بعضها الاخر • للمفاضلة ، بمعنى التنافس والفوز والتقدم ، أسبابها وقد تكون بعض معايير التقويم مناسبة للمفاضلة التي يمكن لها ان تكون نتيجة أخرى لعملية التقويم •

تعرضت الورقة الى تعريف التقويم لغة ومعنىومبادىء ثم بينت باختصار الاسس العشرة المعتمدة في التقويم واختارت الغاية والاهداف لتكون محور هذا البحث وتعرضت الى بعضها استكمالا لبعض المفاهيم • بعدها طرحت أساليب التقويم وأهدافه واجراءاته وبذلك سعت الى القاء الضوء على كامل العملية من غير الدخول في أرقام درجات التقويم المختلفة التي تعطى لكل فعالية ، لانها مطروقة (كأجزاء) بشكل منفصل في دراسات أخرى (من جهة) ولأنها قابلة للاجتهاد والاختلاف من جهة اخرى •

ان تقويم أداء المؤسسات التعليمية لايعني فقط فوز طلبتها على طلبة آخرين في اختبار يجرى بعد التخرج اللهم إلا لمفاضلة مرحلية وفي حالة خلو الساحة من معايير اخرى • فقد يظهر في قسم متدني المستوى علميا وتنظيميا طالب متميز له امكانات ذهنية غير اعتيادية يفوز على أقرانه في أقسام مشهود لها بالتفوق العلمي حتى على المستوى العالمي • بالرغم من ذلك فان فوز الطلبة في اختبارات ما بعد التخرج يبقى مؤشرا مهما ودليلا معنويا كبيرا لاقسامهم وكلياتهم خصوصا اذا ظهرت ديمومة تفوق في اختصاص معين •

بينت الورقة وجود حاجة الى اعتماد جهة رسمية عليا تكون مسؤولة عن عملية التقويم في جميع نواحيها بشرط ابعاد مرجعيتها عن أية جهة تتعرض هي او تشكيلاتها الى التقويم علنا او ضمنا • أي ضرورة وجود جهة عليا ذات حياد تام واستقلالية كاملة لتحمل هذه المسؤولية •

جـدول رقم (١)

بعض مؤشرات تقويم الاداء	قوة المؤشر (من عشرة)
١ ــ أعداد الطلبة (استيعاب وتخريج)	١٠
٢ ــ عدد أعضاء الهيئة التدريسية وما يتعلق بهم	٦
٣ ــ المناهج وطرق التدريس	٥
٤ ــ كلفة الطالب	٥
٥ ــ الهــدر	٥
٦ ــ النشاط العلمي لأعضاء الهيئة التدريسية	٤
٧ ــ المستلزمات الخدمية	٣
٨ ــ النشاط العلمي غير التدريسي	٣
٩ ــ استغلال المختبرات	٣
١٠ــ النفقات المخصصة للبحث العلمي	٢
١١ــ نسبة طالب الى عضو هيئة تدريسية	٢
١٢ــ الاستفادة من المكتبة	٢
١٣ ــ تقديم الاستشارات وكلفها	٢
١٤ــ خدمة المجتمع	٢
١٥ــ نوع الطلبة وشروط قبولهم	٢
١٦ــ الزيادة على نصاب التدريسي	١
١٧ــ التنفيذ العقلي للساعات التدريسية	١
١٨ــ استغلال القاعات الدراسية	١
١٩ــ غيابات الطلبة	١
٢٠ــ استفادة الخريج من المعلومات	١
٢١ــ الادارة	١
٢٢ــ الاندفــاع	١
٢٣ــ عشرات من العناصر الاخرى	١

المصـــادر

١ ـ نزار العاني وآخرون . مشروع الملف التقويمي لكفاءة الاداء الجامعي وسبل المفاضلة فيه . وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / جهاز التفتيش . بغـداد ١٩٩٢ .

٢ ـ يوسف توما حمامي . تحليل التركيب التنظيمي والعمليات الادارية بجامعة بغداد واثرها في فاعليتها وكفاءتها . رسالة ماجستير / كليـة الادارة والاقتصاد / جامعة بغداد ١٩٧٦ .

٣ ـ غانم سعيد شريف العبيدي . تكلفـة الطالب في التعليم الجامعي العـراقي واثرها في كفايته الداخلية . رسالة دكتوراه / كليـة التربية / جامعـة عين شمس ١٩٧٧ .

٤ ـ (نـدوة الانتاجيـة) ندوة أقيمت في الجامعة التكنولوجيـة عـام ١٩٨٧ (غير موثقـة) .

٥ ـ مازن عبدالحميد كاظم . تقـويم اداء المؤسســات التعليمية (الجـامعات والكليات والاقسام) دراسة مقدمة الى جامعة صدام (١٩٩٨) .

٦ ـ الاستاذ الدكتور جميل عيسى الملائكة (الاستاذ المتمـرس في جامعة بغداد) تبادل معلومات شخصي .

٧ ـ قاموس ميريم وبستر .

Webster's Ninth New Collegiate Dictionary.
Springfield. Massachusetts, Merriam-Webster Inc., U.S.A. (1988).

٨ ـ

8. The world Book Encyclopedia.
World Book - Childcraft Int. Inc. U.S.A. (1982).

٩ ـ دائرة المعارف البريطانية
Encyclopedia Britannica CD 98 (www. eb. com).

١٠ ـ

10- Miller,, Richard I. The Assessment of College Performance.
San Francisco: Jossey-Bass, 1980.

١١ ـ مازن عبدالحميد كاظم ـ «القائد الاداري في المرحلة الجامعية» الحلقة الدراسية المقامة في جامعة عدن بالتعاون مع اتحاد مجالس البحث العلمي العربية حول «القيادات الادارية ودورها في تنمية المؤسســات العلمية والثقافية في الوطن العربي » (١٩٩٥) .

الذكـــاء الاصطناعـــي

الدكتور منذر نعمان بكر التكريتي
عضو المجمع العلمي

الخـلاصـة :

تهدف هذه الورقة الى شرح مفهوم الذكاء الاصطناعي وتطبيقاتـه ، فالورقة تتطرق الى عدد من التعريفات العلمية للذكاء الاصطناعي الـواردة في المصادر العلمية ذات العلاقة . وكذلك تتطرق الى بعض مميـزات الذكاء الاصطناعي ثم تعرج على مجالات تطبيق هذا النوع من العلم وتختتم الورقة بالشرح الموجز للتقانات التي يحتاج اليها الذكاء الاصطناعي .

كلمات مفتاحية : الذكاء الاصطناعي ، تعريفات ، مميـزات ، تطبيقات، تقـانـات .

١ ـ مقـدمـة :

لا يعرف طموح الانسان حـدوداً ، فهو على الدوام يغور في أعمـاق العلوم والثقافة ليزيد معرفته ولكي يستفيد من نتائج تطبيق التقانات التـي يبتدعها . وان العقل البشري حقق على مدى العصور انجازات وابداعـات رائعة ساعدت على تحقيق الكثـير من أحلام الإنسان . أمـا اليـوم فـان الانسان لايزال يحلم ويطمح بأشياء عظام وهو على ثقة تامة بأن هذه الاحلام لن تدوم لانها ستتحول في الغـد القريب الى إنجـازات ومشاريـع عمـل يستفيد منها الفرد في المجتمع البشـري وذلك بسبب سرعة التطـور وتراكم المعرفة لدى الانسان المعاصر .

ومن روائع ابداعات العقل البشري الحاسوب الالكتروني الـذي هو بحق من أهم ابتكارات القرن العشرين وخلال عمره الذي لايتجاوز الستين عاما ، دخل جميع مرافق الحياة وهو في متناول البشر باختـلاف أعمارهم وثقافاتهم ومستوياتهم وذلك لزهد سعره وصغر حجمه وعظمة كفايته وتنوع امكاناته • ومع ازدياد أهمية الحواسيب الدقيقة والمعالجات في حيـاتنا ، بـدأنا نسمع أكثر فأكثر عن موضوعات جديدة وحديثة •• مثـل الذكاء الاصطناعي ومنظومات الخبيرة والحواسيب الذكيـة وحـواسيب الجيل الخامس •• هنا نركز الضوء على موضوع الذكاء الاصطناعـي ، ونطـرح السؤال •• « ما الذكـاء الاصطناعي ؟ » وهـل هنـاك تعريف دقيـق لهذا المجال الحديث ؟ ان المصادر التي تتناول موضوع الذكاء الاصطناعي وهـي كثيرة لاتتفق على تعريف موحد ولكن يمكن القول بأنه في هذا المجال هناك عامل مشترك وهو استخدام الحواسيب الالكترونية التي تعدّ الاساس ونقطة الانطلاق فيه • فالحواسيب الحديثة ذات السرعة الفائقة ومعالجاتها الكبيرة وذاكرتها الواسعة لاتعد ذكية مطلقا لانها مجرد أداة تنفيذ فحسب للبرامج التي يكتبها الانسان ولكن على أي حال تعد من العوامل المهمة في تطويـر امكانات الذكاء الاصطناعي •

وقبل التطرق الى بعض التعريفات التي وردت في بعض المصادر ، نشير الى لبس في المصطلح العربي لهذا المجال فبعضهـم يشير الى المـوضوع بالذكاء الصناعي وهذا صحيح من وجهـة نظر اللغة العربيـة ولكن الترجمة الى الانكليزية في هذه الحالة هي Industrial Intelligence فاننا نشـير الـى الزهور غير الطبيعية بالزهور الاصطناعية التي هي من صنـع الانسـان • ولذا نشير الى الذكاء الذي ابتدعه الانسان بالذكاء الاصطناعـي وليـس بالذكاء الصناعي تلافيا لأي لبس من حيث علاقته بالترجمة الانكليزية •

٢ ـ تعريفات الذكاء الاصطناعي:ـ

عند القيام بالمسح لبعض المصادر ذات العلاقة بمجال الذكاء الاصطناعي وجدنا تعريفات متباينة لهذا المجال وفيما يأتي ندرج قسما لاعطاء صورة شاملة للموضوع :

٢ ـ ١ التعريف الاول :

تقول المؤلفة ايلين رج[١] ان الذكاء الاصطناعي هو المجال الذي يقوم بدراسة كيفية جعل الحواسيب تقوم بأعمال او أفعال يجيدها في الوقت الحاضر الانسان فقط . هذا التعريف يبدو انه محدد بزمن معين قد يطول أو يقصر لانه يعتمد على سرعة تقدم البحوث في مجال علوم الحواسيب والذكاء الاصطناعي . ولكن من جهة أخرى وعلى أي حال فان معدل هذا التقدم اذا لم يتجاوز السرعة المتوقعة فان التعريف سينطبق على الذكاء الاصطناعي لفترة قد تطول .

٢ ـ ٢ التعريف الثاني :

يطرحه المؤلف ألن بونيه[٢] فيقول بأنه المجال الذي يسعى الى فهم طبيعة الذكاء البشري عن طريق تكوين برامج على الحواسيب التي تقلد الافعال أو الاعمال او التصرفات الذكية . والمقصود هنا هو قيام البرنامج بحل المسألة أو اتخاذ القرار على أساس وصف لحالات معينة من الحالات ذات العلاقة . وهذا يعني ان البرنامج نفسه يقوم بنفسه بايجاد طريقة الحل أو اتخاذ القرار مستعينا بعمليات اتخاذ القرار المخزون داخل الحاسوب . وهذا المبدأ يختلف كثيرا عما يجري الآن في مجال المعلوماتية اذ ان التفكير ومسببات اتخاذ القرار أمر يتحقق بالانسان وما الحاسوب الا أداة سريعة للحساب .

٢ ـ ٣ التعريف الثالث :

اذ يقول نوئيل وليمز[٣] بأنه قبل التحدث عن الذكاء الاصطناعي يجب تحديد معنى الذكاء ان الذكاء الاصطناعي يعتمد على ماذا نعنـي بطبيعـة الذكاء ، فبعضهم يقول بأن الذكاء ما هو الا مسلسل من القواعد المعقـدة لاتخاذ القرار واذا عرفنا مافيه الكفاية عن هذه القواعد فسيكون بالامكان كتابة البرامج التي تستطيع تنفيذ هذه القواعد وعلى هذا الاساس ستكون الحواسيب او الآلات التي تنفذ هذه البرامج ذكية مثل الانسان •أما بعضهم الآخر فيقول ان الذكاء هو للانسان حصرا ولايمكن وصفه أو اكتشـافه بل لايمكن تعريفه ويقولون بأن الذكاء هو هبـة الله للانسان • ولكن هنـاك مجموعة من الناس بين الطرفين اذ يعتقدون بأن هناك العديد من الفعاليـات الذكية التي يمكن التحكم بها بقواعد معينة يمكن برمجتها • ولكن هنـاك أيضا العديد من الفعاليات غـير الخاضعة لأي قاعدة ومنها ما لايمكن فهمـه مطلقا حتى يمكن القول بأن طبيعة الذكاء البشري أمر قد يصعب على العقل فهمـــه •

ويقول وليمز بأن أي شيء يستطيع تنفيذ توجيهات ايعاز أو استجابة اليه فانه يمتلك نوعا من الذكاء ومن هذا المنطلق أو التعريف المبسط نستطيع أن نجعل للذكاء سلم درجات •

فمثلا الحجر أو الحصى يمتلك أدنى درجة من الذكاء (صفر) والنباتات لها درجة أعلى ، والحشرات لها درجة أعلى من النبـاتات وبعد ذلك تـأتي الحيوانات اذ لها درجات أكثر بكثير من النباتات ، أما الانسان فيأتي في قمة السلم • وعلى هذا الاساس من سلم الذكـاء فان الحواسيب الحاليـة تقـع بين النباتات والحشرات من ناحية الذكاء • فالنباتات تستجيـب الى مـؤثر الضوء استجابة محددة وضمن ضوابط • أما الحشرات فانها تستجيـب الى المؤثرات استجابة ميكانيكية ولكن تستطيع توليد مؤثرات للتفاعـل مـع بقية الحشرات باعطاء الايعازات وكذلك تستطيع هذه الحشـرات تعلم بعض

التصرفات المعقدة . والحواسيب بأنواعها الحالية تستطيع تنفيذ الايعازات والتعليمات ولكنها لاتستطيع توجيه نفسها أو التفاعل مع الحواسيب الاخرى تلقائيا . وان ما يحدث الآن من تفاعل بين الحواسيب ما هو الا من تفكير الانسان . ويعتقد وليمز بأن هناك طريقتين لتعريف الذكاء الاصطناعي . الاولى هي جدولة كل الامور التي تعدّ أفعالا ذكية والتي يستطيع الباحثون محاكاتها على الآلة . والطريقة الاخرى هي جدولة الامور التي تعدّ أفعالا ذكية والتي يصعب محاكاتها على الآلة بسبب صعوبة فهمها أو كيفية جدولتها الدقيقة .

٢ ــ ٤ التعريف الرابع :

عرف جورج لوكر وليمز ستوبلفيلد[٤] الذكاء الاصطناعي بأنه فرع من فروع علوم الحاسوب يهتم بمكننة التصرفات الذكية . هذا التعريف يعني أن هذا الحقل من التقانة يعتمد على مبادىء نظرية وتطبيقية لمجال علوم الحاسوب . هذه المبادىء تشمل تراكيب البيانات والمعلومات المستخدمة في تمثيل المعرفة والخوارزميات المطلوبة في تطبيقها اضافة الى اللغات وطرائق البرمجة المستخدمة لتنفيذها .

ان التعريف أعلاه يعاني حقيقة كون الذكاء نفسه لايمكن تعريفه جيدا . فاننا من حيث كوننا بشرا نستطيع أن نميز الافعال الذكية عندما نراها ولكن لا احد يتمكن من تعريف الذكاء بالطريقة التي تساعد على اعطاء معايير يمكن بها تقويم البرامج المنفذة على الحاسوب مع مقارنتها بالامكانات المعقدة للعقل البشري وعلى هذا الاساس فان تعريف الذكاء الاصطناعي يعتمد على مدى فهمنا ومدى قابليتنا على تعريف الذكاء نفسه . وهنا يبرز العديد من التساؤلات . هل الذكاء يتمثل بقابلية واحدة ؟ او انه اسم لمجموعة من القابليات المنفردة غيرالمترابطة ؟ هل الذكاء موجود اصلا عند الانسان أو انه قابلية يتعلمها من خلال حياته ؟ ماذا يحدث بالضبط عندما يتعلم العقل ؟ ما الابداع ؟ ما صفة البديهية ؟ هل يمكن للذكاء أن يوثق

من ملاحظة التصرفات أو انه يحتاج الى دلائل لوجود ميكانيكية داخلية في العقل ؟ كيف يتم تمثيل المعرفة على الانسجة الدماغية ؟ وكيف يمكن أن نأخذ الدروس من هذا الامكان لتصميم الآلات الذكية ؟ ماذا يعني الشعور بالذات وما دوره في الذكاء ؟ هل من الضروري لتمثيل الذكاء على الحاسوب معرفة كل ما هو مطلوب عن الذكاء البشري أو ان الموضوع يتطلب أسلوبا هندسيا فقط ؟ السؤال الكبير هل من الممكن الحصول على الذكاء من الحاسوب أو أن الذكاء يحتاج الى عمق الشعور والخبرة التي لاتوجد الا في المنظومات البايولوجية .

كل هذه الاسئلة التي ليس لهااجابات ساعدت علىتنظيم وتطوير المشكلات وطرائق الحل التي تكون اللب الاساسي لمجال الذكاء الاصطناعي المعاصر .ولا يزال الذكاءالاصطناعي يعد من المجالات الحديثة العهد وان بنيته ومهامه وطرائقه لاتزال غير واضحة المعالم اذا ما قورنت بمجال العلوم الاخرى مثل الفيزياء . والذكاء الاصطناعي كان ولا يزال دوما مهتما بتوسيع قابليات علوم الحاسوب من دون تحديد مدياته . ان جعل هذا التوسع مستندا الى مبادىء نظرية صلدة هو أحد التحديات الاساسية التي تواجه الباحثين في هذا المجال .

ويخلص المؤلفان الى تعريف مبسط للذكاء الاصطناعي بأنه مجموعة من المشكلات والطرائق التي يدرسها باحثو الذكاء الاصطناعي وهذا التعريف على بساطته يؤكد حقيقته ان هذا المجال كأي مجال علمي آخر نشاط بشري يهدف الى توسيع مدارك الانسان .

٢ ـ مقارنات مع الذكاء الاصطناعي :

يوصف الذكاء الاصطناعي ضمن السيبرناتك (Cybernetics) وهذا غير صحيح ، لان السيبرناتك يهتم بالمواصفات الرياضية لمنظومة التغذية المرتدة وينظر الى الانسان كأنه منظومة أوتوماتيكية (Automaton) .

في حين ان الذكاء الاصطناعي يركز على العمليات الادراكية التي يولدها الانسان لكي يؤدي مهمة قد توصف بانها ذكية .

وهناك فارق أساسي بين تفكير الرياضيين والعاملين في مجال الذكاء الاصطناعي ، فانالرياضي يحاول حل المسألة (او قد يبرهن على عدم وجود حل) ومن بدون مراعاة للوسيلة التي يحصل بها على الحل .

أما العاملون في مجال الذكاء الاصطناعي فهم يحاولون استخدام الحلول التي قد لاتكون الحلولالصحيحة مئة بمئة أو الحلول المثلى ولكنها مقبولة لكل من له علاقة بالمسألة ، فضلا عن ان الحل هو ضمن زمن معقول وفي ظروف واقعية قد تكون خلالها بعض المعلومات غير متوفرة . ومثال على ذلك أسلوب تفكيرالطبيب الذي يعطي نوعا من الدواء ، علاجا، من دون توفر التحليلات المرضية الكاملة . فالدواء قد يكون صحيحا ولكن هناك احتمالا ألا يكون الدواء هو المطلوب بالضبط ولكن على أي حال لا يضر المريض . فالعاملون في مجال الذكاء الاصطناعي يعملون ضمن هذا السياق من التفكير .

ومثال آخر يظهر في لعبة الدومنة فالرياضي يحاول البرهان على وجود طريقة لعب تضمن الربح خلال سبع حركات ولكن في مجال الذكاء الاصطناعي يكون الاهتمام منصبا على تكوين البرامج التي تستخدم العمليات المنطقية الواقعية الجيدة ولاتهتم في أن تكون هناك حالات غير مقبولة . وعليه تكون الصفة الاساسية في الذكاء الاصطناعي هي مبادىء جديدة في تركيب طريقة الحل أكثر من الاهتمام في سرعة الحل .

٤ ـ مميزات الذكاء الاصطناعي :ـ

ان الذكاء الاصطناعي له سمات مميزة اذا ما طبقت ضمن برمجية حاسوبية فان هذه الانظمة يمكن أن توصف بانها ذكية . ان من أهم هذه السمات[٥] : ـ

٤ ـ ١ تمثيل المعرفة بواسطة الرموز (Symbolic Representation)

هذه من أولى صفات برامج الذكـاء الاصطناعي اذ انها تتعامـل عامة مع رموز غير عددية وهذا عكس ما هو معروف ومقبول في معظم حواسيب اليوم التي تتعامل مـع الكميات العددية والارقـام • وبالطبع ليس هنـاك مايمنع أن تقوم برامج الذكاء الاصطناعي بالعمليات الحسابيـة الاعتياديـة اذ تستخدم القيم المستخرجة في مستوى أعلى لاتخاذ القـرار • ان هذه الصفة تمكن البرامج من التعامل مع المعرفة تعاملا طبيعيا مما يساعد على القيـام بالمعالجة البرمجية التقديرية (Qualitative Processing) بديـلا عـن المعالجة الرقمية الاعتيادية المعروفة في مجال الحواسيب • ومثال على هذا التمثيل اذا كانت درجة حرارة المريض في التشخيص الطبي ٣٨ درجة مئوية فالتمثيـل الرمزي الشكل «المريض يعاني حمى بسيطـة» حتى ولو ان المعلـومات الاصلية عددية الشكل •

٤ ـ ٢ امكانية تمثيل المعرفة Knowledge Representation

ان برامج الذكاء الاصطناعي على عكس البرامج الاحصائية تحتوي على أسلوب لتمثيل المعلومات اذ تستخـدم هيكلة خاصة لوصف المعرفـة • وهذه الهيكلة تتضمن الحقائق (Facts) والعلاقـات بـين هذه الحقـائق (Relationship) والقواعدالتي تربط هذه العلاقات (Rules) ••• الخ•ومجموعة الهياكل المعرفية تكون فيما بينهـا قـاعدة المعـرفة (Knowledge Base) وهذه القاعدة توفر أكبر قدر ممكن من المعلـومات عن المشكلـة المـراد ايجـاد الحل لها •

٤ ـ ٣ استخدام الاسلوب التجريبي المتفائل (Heuristics)

من الصفات المهمة في مجال الذكاء الاصطناعي ان برامجهـا تقتحـم المسائل التي ليس لها طريقة حل عامـة معروفة • وهـذا يعنـي ان البرامج لاتستخدم خطوات متسلسلة تؤدي الى الحل الصحيح ولكنهـا تختـار

طريقة معينة للحل تبدو جيدة مع الاحتفاظ باحتمالية تغيير الطريقة اذا اتضح ان الخيار الاول لايؤدي الى الحل سريعا ، أي التركيز على الحلول الوافية (Sufficient Solutions) وعدم تأكيد الحلول المثلى أو الدقيقة كما هو معمول به في البرامج التقليدية الحالية . ومن هذا المنطلق فان حل معادلات من الدرجة الثانية لايعد من برامج الذكاء الاصطناعي لان الطريقة معروفة ولكن برامج لعبة الشطرنج تعد من الامثلة الجيدة لبرامج الذكاء الاصطناعي وذلك لغياب طريقة واضحة وأكيدة لتحديد الحركة القادمة .

٤ ــ ٤ قابلية التعامل مع المعلومات الناقصة (Incomplete Data)

من الصفات الاخرى التي تستطيع برامج الذكاءالاصطناعي القيام بها قابليتها على ايجاد بعض الحلول حتى لو ان المعلومات غير متوفرة بأكملها في الوقت الذي يتطلب فيه الحل وان تبعات عدم تكامل المعلومات يؤدي الى استنتاجات أقل واقعية أو أقل جدارة ولكن من جانب آخر قد تكون الاستنتاجات صحيحة وهذا يقع ضمن مجال الصفة المذكورة في (٤ ــ ٣) ومن الامثلة على ذلك ان الطبيب قد يعطي نوعا من العلاج على الرغم من أن التحاليل المختبرية غير متوفرة . وفي العالم الحقيقي كثيرا ما يكون اتخاذ القرار في ضوء معلومات مهمة ناقصة . وفي الكثير من الاحيان ان نقصان المعلومات ظاهرة ضمن المسائل كما هو الحال في لعبة الورق (البرج) .

٤ ــ ٥ القابلية على التعلم Learning

من الصفات المهمة للتصرف الذكي القابلية على التعلم من الخبرات والممارسات السابقة فضلا عن قابلية تحسين الاداء بالاخذ بنظر الاعتبار الاخطاء السابقة . هذه القابلية ترتبط بالقابلية على تعميم المعلومات واستنتاج حالات مماثلة وانتقائية واهمال بعض المعلومات الزائدة .

ان قابلية التعميم والاستنتاج لحالات مماثلة صعبة جـدا وذلك لتعذر تحديد المجال الذي يمكن أن يكون في ضمنه التعميم صحيحا وهذا ينطبـق على استنتاج الحالات المماثلة • أما حالة الانتقائية للمعلومات المطلوبة والملائمة فهي نفسها مشكلة • الانسان يخزن الكثير من المعلومات في عقلـه ولكن يستطيع أيضا أن ينسى بعض المعلومات وهذه الصفة ، وان كان لها مضـار ، مهمة اذ تساعد في الوقت المناسب على اتخاذ القرار • من جهة اخرى فالحاسوب لاينسى أيا من المعلومـات لانهـا كلها ذات أهمية متسـاوية مما يعـوق الحصول على المعلومات حصولا صحيحا في الوقت المناسب وهذا يعلل عدم اعتمام العاملين في مجال الذكاء الاصطناعي بقـواعد المعلومات بصيغتهـا الحالية وانهم يسعون الى محاكاة اسلوب عمل العقل البشـري في هـذا المجال • ان العاملين في مجال الذكاء الاصطناعي لم يلاحظوا أي نجـاح في هذا الجانب ولكن الان ظهرت بعض التقانات الحديثة التي تساعـد علـى تطبيق هذه القابلية ومن هذه التقانات الشبكيات العصبية (Neural Network) والخوارزميات الجينية (Genetic Algorithms) .

٤ ـ ٦ قابلية الاستدلال Inferencing

وهي القدرة على استنباط الحلول الممكنة لمشكلـة معينـة ومن واقع المعطيات المعروفة والخبرات السابقة ولاسيما للمشكلات التي لا يمكـن معها استخدام الوسائل التقليدية المعروفة للحل • هذه القابليـة تتحقق على الحاسوب بخزن جميع الحلول الممكنة فضـلا عن استخـدام قوانـين أو استراتيجيات الاستدلال (Inference Rules & Strategies) وقوانين المنطق •

٥ ـ تطبيقات الذكاء الاصطناعي :

يركز الباحثون في هذا المجال على اهتمامين أساسيين هما تمثيل المعرفة والبحث • والاهتمام الاول يعالج مشكلة ايجاد لغة دلالية (Formal language) ملائمة للاستخدام الحاسوبي تستطيع التعبير عن المدى الشامل للمعرفة التي

تمثل التصرفات الذكية اما الاهتمام الثاني الذي يخص البحث فيتطرق الى الاساليب والطرائق لحل المشكلات والمسائل وهذا يعني ايجاد مراحل متتابعة مع وجود خيارات في عملية حل المشكلات وهذا ما يرمز له بمجال [illegible] (Space of problem states) وقد يرمز له أيضا [illegible] (search space) اذ يتم البحث في هذا المجال الذي يحوي العدد من الخيارات للحل بغية الوصول الى الحل النهائي الملائم .

ان الذكاء الاصطناعي مثل اي من العلوم الاخرى يمكن ان يقسم الى موضوعات فرعية تشترك في أساسيات حل المشكلات ولكنها تختلف في مجال التطبيقات وفي البند اللاحق سنقوم بالتطرق بايجاز الى عدد من التطبيقات الرئيسية مع ذكر علاقتها بالذكاء الاصطناعي .

٥ ـ ١ الالعاب الالكترونية Game Playing

الالعاب الالكترونية الحديثة يمكن ان تولد مجالا بحثيا واسعا . وهذه المجالات لها درجة من التعقيد بحيث تحتاج الى وسائل أو طرائق قوية لتحديد أي من الخيارات من الافضل سلوكه في مجال الحالات لحل المشكلة . هذه الوسائل او الطرائق هي تجريبية وهي احدى مميزات الذكاء الاصطناعي . اننا من حيث كوننا بشرا نعتمد هذا الاسلوب في حياتنا اليومية لحل الكثير من المشكلات فأحدنا عندما لايعمل جهاز ما يعمد الى التأكد أولا أن الجهاز مربوط الى الدائرة الكهربائية وهذا أسلوب التفكير التجريبي وهذا هو احدى مظاهر الذكاء البشري . ان الالعاب الالكترونية تمثل مجالا جيدا لدراسة البحث التجريبي . ومن جانب آخر فان هذه الالعاب في بعض الاحيان توفر تحديا اضافيا للباحثين في مجال الذكاء الاصطناعي وذلك عندما يتطلب الموقف معرفة أسلوب تفكير وتحركات الشخص المنافس في اللعبة وهذا يتطلب الاخذ في نظر الاعتبار الجانب النفسي والعوامل التكتيكية للمنافس .

٥ ـ ٢ المنظومات الخبيرة Expert Systems

الخبـرة المعرفيـة Expert Knowledge هي خليط من الفهـم النظري لمشكلة ومجموعة طرائق تجريبية لحـل المشكـلات وقـد اثبتت الخبرة والتجربة انها فعالة في التطبيق الواقعي • والمنظومات الخبيرة عادة تبنى بأخذ هذه الخبرة المعرفية من الانسان الخبير وترميزها بأسلوب بحيـث يستطيع الحاسوب ان يطبقها على مشكلات مماثلة • ان خبير الذكـاء الاصطناعي أو مهندس المعرفة يعد مصمـم المنظومات الخبيرة اذ يقوم بادخـال الخبـرة المعرفية الى برنامج حاسوبي يكون فعالا ويظهر بعض التصرفات الذكيـة في حدود المجال المطلوب •

٥ ـ ٣ فهم اللغات الطبيعية Natural Lenguage Understanding

من الاهداف الطويلة المدى للذكاء الاصطناعي ايجاد برامج حاسوبية لها القابلية على فهم اللغة البشرية • وان فهم اللغات الطبيعية يمثل أحد المفاهيم الاساسية للذكاء البشري وان المكننة الذاتية له ستوفر التأثير الكبير جـدا في كيفية استخدام الحواسيب وفعاليتها • ولقد بذلت جهود كثيرة لكتـابة برامج تفهم اللغة الطبيعية • وعلى الرغم من تحقيق هذه البرامج بعـض النجاح في مجالات ضيقة الا ان المنظومات التي تفهم اللغات الطبيعية بالمرونة والعمومية اللتين يتصف بها كلام البشر لاوجود لها في الوقت الحاضر •

ان فهم اللغات الطبيعية لايقتصر على تحليل الكلام الى عبارات وكلمات والرجوع الى المعجم لمعرفة المعنى• بل يعتمد الفهم الحقيقي على المعـرفة الدقيقة لخلفية مجال الكلام وموضوعه ، فضلا عن المقـدرة على تحـديد النواقص والحذف والغموض مما يكون موجودا عادة في الكلام البشري• وان عملية جمع هذه المعرفة الدقيقة للخلفية وتنظيمها بالاسلوب الذي يمكن أن يطبق في مجال فهم الكلام تعد من المشكـلات الاساسية لمكننـة فهـم اللغـة الطبيعية •

٥ ـ ٤ نمذجة الاداء البشري Modeling Human Performance

نمذجة الاداء البشري توفر للذكاءالاصطناعي الكثير من طرائقه الاساسية وقد اثبتت هذه النمذجة انها أداة فعالة لتمثيل نظريات الادراك البشري وفحصها • وان الطرائق المستعملة في حل المشكلات التي طورها علماء علم الحاسوب اعطت علماء علم النفس الدافع لاكتشاف العقل البشري• اذ بدوؤا باستخدام اللغات والنظريات في علم الحاسوب لوضع نمذجة للذكاء البشري • وبصورة عامة يعدّ الذكاء البشري المرجع المقارن عندما يراد الحصول على الذكاء الاصطناعي • وان تصميم المنظومات التي تكون انموذجا لبعض جوانب القابليات البشرية لحل المشكلات يمكن أن يعد من الحقول الخصبة في مجال الذكاء الاصطناعي وعلم النفس •

٥ ـ ٥ التخطيط والربوطات Planning and Robotics

التخطيط من الجوانب المهمة لتصميم ربوطات تنفذ مهمات في العالم الخارجي بدرجة عالية من المرونة والاستجابية • والتخطيط يفرض أن الربوط قابل للقيام ببعض الافعال الذاتية اذ يولد التخطيط مسلسلا لهذه الافعال التي قد تؤدي الى الوصول الى هدف بمستوى عال من التصرفات الذكية • والتخطيط عملية صعبة لعدد من الاسباب ولكن أهمها العدد الكبير من الاحتمالات للتسلسل الممكنة لحركة الربوط في مجال مملوء بالعوارض والمحددات • والربوط عندما يتحرك في بيئة معينة عليه أن يقوم بتحديد الاخطاء وتصحيحها وقد يقوم بالتخطيط واتخاذ القرار ذاتيا استنادا الى معلومات قد تكون ناقصة • هنا لابد من الاعتماد على بعض طرائق الذكاء الاصطناعي • الربوطات حقل مهم جدا من حقول الذكاء الاصطناعي •

٥ ـ ٦ تعليم الماكنة Machine Learning

يعد تعليم الماكنة معضلة صعبة في مجال الذكاء الاصطناعي على الرغم من نجاح برامجه في حل الكثير من المشكلات • وان قابلية التعليم تعد كما أسلفنا احدى اهم مميزات الذكاء الاصطناعي وعليه يواجه الباحثون في الذكاء

الاصطناعي تحديات كبيرة تحتاج الى جهد ووقت طويل، وان المنظومات الخبيرة بامكانها القيام بالحسابات المكثفة والمكلفة لحل المشكلات ولكنها على عكس البشر لاتستطيع تذكر طريقةالحل اوالاسلوب الذي وصلت بهالى الحل لو اعطيت مشكلة مماثلة بل تقوم بالحسابات نفسها والبحث مرة اخرى وهكذا في المرة الثالثة والرابعة وفي كل مرة وهذا بلا شك لايمثل تصرفا ذكيا لمنظومة تسعى الى حل المشكلات ، وعليه يكون الحل المنطقي لهذه المعضلة هو توليد برامج حاسوبية تتعلم بنفسها اما عن طريق تراكم الخبرة واما عن طريق محاكاة الحالات المماثلة . ان تعليم الماكنة على الرغم من كونه مجال بحث صعبا ولكن هناك بعض البرامج التي تعطي المؤشر ان هذا المجال ليس بالمستحيل .

٦ ـ التقانات المطلوبة للذكاء الاصطناعي :

تدخل في مجالات الذكاء الاصطناعي تقانات حديثة جدا تتداخل فيما بينها لكي تحاكي مميزات هذا المجال وتدفع به الى درجة مقبولة من التطور والانجاز على أمل ظهور وتطور تقانات جديدة تدفع بالذكاء الاصطناعي الى درجة أعلى من التطور وفيما يأتي موجز عن هذه التقانات .

٦ ـ ١ تقانات الهندسة الالكترونية وهندسة الحواسيب
Electronics and Computers Technology

ان من أهم ما تميز به القرن الماضي وابرزه التطور التقاني في حقل الهندسة الالكترونية وتطبيقاتها ومن ابرزها الحاسوب الالكتروني . ان مجالات الحاسوب وتطبيقاته كثيرة ومتنوعة ولكن الحاسوب يعد من أساسيات الذكاء الاصطناعي ونقطة انطلاقه . فالقابليات الخزنية للمعلومات والمعرفة وسرعة استرجاعها فضلا عن القيام بالعمليات الحاسوبية بسرع فائقة تمثل المتطلبات الابتدائية لأي نوع من الذكاء، وأن الهندسة الالكترونية من حيث كونها تقانة تطورت بمعدلات فائقة تجاوزت كل التقانات الاخرى وان هذا التطور انعكس على جميع جوانب الحياة المعاصرة واثر فيها بدرجات عالية

جدا • ولكن متطلبات الذكاء الاصطناعي لاتزال تحتاج الى مستوى أعلى من هذه التقانة لكي يتحقق المزيد من التطور في تقانة الذكاء الاصطناعي •

٦ ـ ٢ المعالجة المتوازية Parallel Processing

ان حواسيب اليوم هي حواسيب ذات المعالج الواحد، هذا المعالــج يقوم بمعالجة فقرات البرامج تتابعيا وبسرعة فائقة جدا وهذا النمط من العمل يفي بالكثير من المتطلبات الاعتيادية• وان الاعتقاد السائد الآن ان الحواسيب ذات المعالج الواحد لايمكن أن تظهر أي درجة من الذكاء على الرغم مــن قابلياتهــا الهائلة، ومن المؤكد محاكاة العقل البشري الذي يحتــوي على مــلايين من المعالجات (الخلايا العصبية) التي تعمل عملا متوازيا في معالجة المعلومــات • وعليه فان الحواسيب التي من المتوقع أن تظهر بعض صور الذكاء الاصطناعي لابد أن تعمل بمبدأ المعالجات المتوازية أي حواسيب ذات الالاف أو الملايــين من المعالجات التي تعمل بصورة متوازية •

٦ ـ ٣ اللغات البرمجية المتطورة Advenced Computer Languages

ان من أبرز نتاجات بحوث الذكاء الاصطناعي التطور الحاصل في لغات البرمجة وبيئة البرمجيات • فمتطلبات برامج الذكاء الاصطناعي القاسيــة كانت ولاتزال الدافع القوي لتطويــر مجموعة برامــج وطرائق برمجيــة جديدة • فالبيئة البرمجية تشمل أساليب تمثيل المعرفة الهيكلية Knowledge Structuring مثل المنظومات الخبيرة • وفي هذا المجال ظهرت لغات برمجية جديدة مثــل لســـب Lisp وبــرولــوج Prolog لها مواصفات تفــي بمتطلبات برامج الذكاء الاصطناعي التي تتميز بكبر الحجم وتداخل البرامج الفرعية •

٦ ـ ٤ رص المكونات الالكترونية Electronic Components Compactness

ان واقــع حــال الــرص الالكتــروني في الــدارات الالكترونــــة (Electronic Chips) وصل الى أكثر من مليون ترانزستر في الدارة الــواحدة التي مساحتها الفعلية لاتزيد على سنتيمتر مربع واحد • وعليه اذا أردنا محاكاة

العقل البشري الذي يحتوي على ملايين الملايين من المكونات التـي تعـالج المعلومات وهو بحجمه المعروف فان أمامنا الكثير من التطور في مجال الرص الالكتروني لكي نصل الى منظومة الكترونية تعطي درجـة مقبـولة مـن الذكاء الاصطناعي .

٦ ـ ٥ تقانات متفرقة حديثة :

هناك تقانات أخرى يمكن أن تساهم مساهمة فعالة في دعم بحوث الذكاء الاصطناعي ندرج فيما يأتي موجز عنها .

٦ ـ ٥ ـ ١ تقانة الالكترونيات الحيوية Bio-Electronic

هذه تقانة لاتزال في بداياتها وهذه التقانة تعتمد على البروتين الطبيعـي نبناء المكونات والدوائر التي تقوم بالمعالجة للبيانات والمعلومات ومن المـؤمل أن تكون بديلة للتقانات الالكترونية التي أساس بنائها السيليكون . ومـن التوقعات على أساس هذه التقانة ظهور الحواسيب الحيوية التي لها مميـزات تفوق الحواسيب الحالية والتي من المتوقع أن تكون اكثـر ملاءمة للـذكاء الاصطناعـي .

٦ ـ ٥ ـ ٢ الشبكات العصبية Neural Network

هذه شبكات تحاكي العقل البشري من حيث التركيب وبعـض المواصفـات . والشبكة الواحـدة تتكـون مـن مستويـات (Layers). الاول يسمى مستوى الدخل والاخير يسمى مستوى الخرج والاخرى تسمـى المستويات المخفية وفي كل مستوى عدد من العقد التي ترتبط مع كل العقد في المستويات التي تسبقها والتـي تليها ويحتـوي كل ربـط وزن (weight) قابل للتعبير والتغير. هذه الشبكات تحاكي الكثير من طرائق الحل للمشكلات وهي تتميز بامكانات المعالجة المتوازية والتعلم .

٦ ـ ٥ ـ ٣ المنطق المضبب Fuzzy Logic

هذا المنطق الذي ظهر في عقد الستينيات والذي يعد حالة متطورة عن المنطق الثنائي المستخدم حاليا في حواسيب اليوم سيكون له الدور المهم للتعبير عن أسلوب التفكير البشري الذي يميل الى التقريب وليس الى القيم الحادة •

٦ ـ ٥ ـ ٤ البرامج الجينية Genetic Algorithms

هذه البرامج التي تستطيع تحديد الحلول المثلى من بين الكثير من الاختبارات المتاحة تعتمد على المبادىء الاساسية في علم الوراثة وتستفيد منها وهذا ما له صلة وطيدة في مجال بحوث الذكاء الاصطناعي•

٧ ـ الاستنتاجات :

مما تقدم يمكن الوصول الى بعض الاستنتاجات في موضوع الذكاء البشري والذكاء الاصطناعي أهمها :

- ان الغور في مجال الذكاء الاصطناعي يوضح حقيقة رائعة هي عظمة الله سبحانه وتعالى الذي خلق الانسان ووهب له هذا العقل الجبار الذي لاتستطيع الحواسيب الجبارة الفائقة محاكاته محاكاة كاملة وقد تعجز عن فهم بعض جوانب عمله •
- الذكاء الاصطناعي من حيث كونه فكرة ومجال بحث قد أخذ مداهما وان تطور هذا الجانب من العلم يسير بخطوات قد تكون بطيئة في الوقت الحاضر ولكن من المؤمل أن تتحسن مع تطور التقانات السائدة وظهورها •
- ان مجال البحوث في هذا التخصص ليس بالسهل أبدا وان البحث يحتاج الى الدخول في جوانب متعددة من الاختصاص فضلا عن حاجته المكثفة الى تقانات متطورة جدا •

- ان درجة محاكاة بعض جوانب العقل البشري من حيث الامكـانات قد تكون ممكنة وقد تصل الى مستوى جيد ولكن بالمقابل قد يكون من المستحيل الوصول الى درجة ١٠٠٪ في محاكاة العقل البشري .
- ماذا بعد الذكاء الاصطناعي ؟ هل نسعى على الحصول الى الحكمـة بعد أن حصلنا على المعرفة ؟ هل يكون بامكان الحواسيب القيام بالافعـال الابداعية في الفنون والشعر مثلا ؟ هل يكون للحواسيب بعض الحواس والمشاعر ؟ تساؤلات قد تكون بعيدة المدى والله أعلم .

٨ ـ المصـــادر :

1- Elaine Rich, "Artificial Intelligence", Mc-Graw Hill, 1985.

2- Alain Bonnet "Artificial Intelligence", Prentice Hall International,1985.

3- Noal Williams "The Intelligent Micro", Mc-Graw Hill, 1985.

4- George, F. Luger & William A. Stubblefield, "Artificial Intelligence", Addison - Wesley, 3rd Edition, 1997.

٥ ـ صبـاح محمد أمين الخياط وجنـان عبدالوهاب فيضي ، « الذكـاء الاصطناعي مفاهيمه تقنياته أساليب برمجته» دار حنين للنشر ، ١٩٩٨ .

الرسالة الاسلامية
ودورها في نشأة الحضارة العربية الاسلامية

الدكتور هاشم يحيى الملاح
عضو المجمع العلمي

الملخص

يتناول البحث بالدراسة والتحليل طبيعة الرسالة الاسلامية والمبادىء الاساسية التي قامت عليها • ومن ثم يسعى لتوضيح دور هذه الرسالة في نشأة الحضارة العربية الاسلامية وانتشارها الواسع بين شعوب البلاد الاسلامية «دار الاسلام» على الرغم من تباين انتماءاتها القومية والدينية السابقة •

تمهيد

تمثل الاسلام في الكلام الموحى به من قبل الله تعالى الى رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ • وقد تجسد هذا الوحي في نص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة • أما العلوم الاسلامية التي نشأت عن شرح نصوص القرآن والسنة وتفسيرها كعلم الكلام والفقه وتفسير القرآن الكريم فهي علوم انسانية ابدعتها عقول ابناء المجتمعات الاسلامية عبر العصور من اجل تقديم حلول للمشكلات والتحديات التي واجهتها هذه المجتمعات •

وقد اطلق بعض الباحثين المعاصرين على هذه العلوم وكل ماينتجه المفكرون والباحثون المسلمون انطلاقا من القرآن والسنة مصطلح «الفكر الاسلامي»• وهو فكر (اجتهادي) لايتمتع بـ (العصمة) التي تتمتع بها النصوص الصادرة عن الوحي الالهي[1]

---

(1) د. عبدالحميد ، د. محسن ، الفكر الاسلامي تقويمه وتجديده ، بغداد ، ١٩٨٧ ص٧ .

وقد كان من نتائج تمثل مبـادىء الاسـلام والعمل على تجسيدها في المجتمع على شكل نظم اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية ظهور الحضارة العربية الاسلامية .

ومن ثم فانه ليس من الصحيح الاعتقاد بوجود تطابق كامل بين الاسلام بصفته الكلام الموحى به من قبل الله تعالى والحضارة العربية الاسلامية التي هي ثمرة الاجتهاد البشري لأبناء المجتمعات الاسلامية (الامة) ، ان نصوص الوحي تبقى نصوصا مقدسة ثابتـة لايجوز تغييرها وتبديلها . أما الحضارة الناشئة عن فهم هذه النصوص أو المتأثرة بها فهي عرضة للتطور والتغير بحسب ظروف الزمان والمكان [٢] .

في ضوء ماتقدم ، فانه ليس من الصحيح أفتراض وجود نموذج حضاري اسلامي واحد صالح لكل زمان ومكان ، كما انه ليس من الحكمة في شيء ان يحتكر عصر من العصور او اقليم من اقاليـم دار الاسلام حق صياغة هـذا النموذج الحضاري وفرضه على اجيال الامة كافة لأن ذلك يتعارض مع سنة التطور في الحياة ويقود الى الجمود والتحجر .

وهكذا يكون من الضروري الاعتراف لابناء الامة واجيالها المختلفة بحقها في الاجتهاد وصياغة نماذجهـا الحضاريـة الملائمة لاحتياجاتها ، ولايجوز ان يتحول التراث الحضاري الذي انتجته الاجيال السابقة مهما كانت عظمته الى قيد على حرية الاجيال المعاصرة في العمل والابداع .

غير ان ماذكر انفا لايعنـي التنكر لتراث أمتنا المجيد بحجة انه مـاض والماضي لايعود ، او يزعم ان الحضارة كائن عضوي تنطبق عليه قوانين الاحياء من ولادة ونمو وموت ، وان حضارتنا العربية الاسلامية قد ماتت وان علينـا الالتحاق بحضارة حية كالحضارة الغربية او أن نبدع حضارة جديدة منقطعة الجذور عن التراث الحضاري للأمة .

---

(٢) للمزيد من التفاصيل يراجع الدكتور فهمي جدعان ، نظرية التراث ، عمان ١٩٨٥ ، ص ١٦ — ٢٠ .

ان الفهم العلمي للظاهرة الحضارية يشير الى خطأ مثل هذه المفاهيم لأن الحضارة ليست كائناعضويا حيا كالانسان ، وإنما هي مجموعة من الانظمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية ذات النشأة التاريخية . وهي قابلة للتطور والتغير والتأثر والتأثير على وفق أسس ومبادىء تختلف بطبيعتها عن تلك التي تخضع لها الكائنات العضوية الحية . لذا فان هنالك كثيرا من المثل والمبادىءوالعلوم والفنون ما زالت حية فاعلة منذ الاف السنين وان كانت قد تعرضت عبر حياتها لكثير من التغيرات والتفسيرات التي فرضتها سنة التطور لذا فان حق الاجيال السابقة على الاجيال اللاحقة ان تطالبها بأن تدرس تجاربها الحضارية وتستفيد منها بطريقة مبدعة خلاقة من اجل تحقيق التواصل الحضاري بين الاجيال والمحافظة على الهوية الحضارية للأمة[٣] .

في ضوء هذه المنطلقات الفكرية سيحاول هذا البحث دراسة العلاقة بين الاسلام ونشأة الحضارة العربية الاسلامية وبالنظر لسعة هذا الموضوع من الناحية الزمانية والمكانية فان الباحث سيركز جهده على رسم الملامح والخطوط العريضة لهذه العلاقة راجيا ان يتاح له أو لغيره من الباحثين المجال في مستقبل الايام لدراسة تفاصيل هذه العلاقة وما نشأ عنها من آثار حضارية متنوعة .

الاسلام دين ورسالة :

ان الدين الاسلامي يقوم على اساس الايمان بالله وحده بصفته خالق الكون والحياة والانسان ، وان من حق الله على الناس بصفته خالقهم ومربيهم (رب العالمين) ان يسلموا انفسهم لاوامره ونواهيه التي ارسلها لهم بواسطة الانبياء والرسل المتعاقبين مثل نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

---

(٣) للتفصيل يراجع د. هاشم الملاح ، الصراع بين الحضارات ومستقبل الامة ، مجلة آفاق عربية ، بغداد ايلول ١٩٩٣ ، ص ١٥ ــ ٢١ .

وقد اكد الاسلام ان الله سيحاسب الناس على اعمالهم حينما يبعثهم بعد موتهم يوم القيامة فيكافىء المحسنين بحياة خالدة في جنات النعيم ويعاقب الكافرين بعذاب الجحيم [٤] .

وقد جاء في القرآن الكريم ان جميع الانبياء السابقين على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانوا مسلمين وانهم كانوا يبشرون بالاسلام الذي يدعو الى الخضوع التام لاوامر الله . الا ان ذلك لا يعني التطابق التام في الشرائع التي جاء بها الانبياء الى قومهم وانما يعني التطابق في الاسس العامة التي قامت عليها عقيدتهم . أما النظم والشرائع فهي تتفاوت في كثير او قليل من مبادئها تبعا للأقوام والأزمنة التي وجدت فيها لذا فقد أكد القرآن الكريم ان الله لم يرسل رسولا الا رسولا الا بلسان قومه ، كما أكد ان الله قد جعل لكل نبي (شرعة ومنهاجا)[٥] . إلا ان الشريعة التي جاء بها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت خاتمة الشرائع لأنه كان خاتم الانبياء .

لقد أوضحت آيات القرآن الكريم أن الوحي الذي انزل على محمد إنما كان هدفه هداية قومه من قريش والعرب والناس كافة الى الاسلام ، فدعوة الاسلام إذَنْ ليست دعوة محلية خاصة بأهل مكة ، ولا هي دعوة قومية تقتصر على العرب ، وانما هي دعوة انسانية شاملة ، ولكن ضرورات الدعوة والتبليغ تطلبت هذا التدرج[٦] .

ويلاحظ ان دعوة الاسلام الناس الى الايمان قد قامت على اساس فردي لا جماعي ، فكل فرد بالغ عاقل مسؤول امام الله عن اعماله فمن آمن واحسن فلنفسه ومن كفر واساء فهو وحده يتحمل مسؤولية عمله «ولا تزر وازرة وزر اخرى»[٧] . وهكذا فقد انطلق محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد نزول

---

(٤) القرآن الكريم ، سورة العلق ، الاية ١ ـ ٥ ، سورة الاعلى ١ ـ ١٩ .
(٥) سورة المائدة : ٤٢ ـ ٤٨ ، سورة الشورى : ١٢ .
(٦) سورة الانبياء ١٠٧ ، سورة سبأ ٢٢ .
(٧) سورة الانعام : ١٦٤ .

الوحي عليه في مكة نحو دعوة الناس للايمان برسالته من اجل انقاذ ارواحهم من الضلال، وكانت وسيلته الاساسية في الدعوة هي العمل على اقناع الناس (بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن[٨] ، وكانت آيات القرآن الكريم ببلاغها ومعانيها المحكمة خير معين له في اقناع الناس بصدق ورسالته •

لا اكراه في الديـن :

حينما رأى زعماء مكة (رجال الملأ) ان دعـوة محمد ـ صلى الله عليـه وسلم ـ قد اخذت تجتذب افرادا من مختلف فئـات المجتمع للايمان بها ، وان المضمون الديني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي لهذه الدعوة قد اخـذ يهدد مصالحهم بالخطر ؛ بدأوا بممارسـة شتى انـواع الضغط الاجتماعي والاقتصادي لحمل المؤمنين بالدعوة على التخلي عنها ، ثم لم يلبثـوا ان أخذوا بممارسة التعذيب والاضطهاد ضد المستضعفين من المؤمنين لاكراههم على ترك دينهم والعودة الى دين آبائهم واجدادهم •

وقد حاول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ان يقنع زعماء مكـة بـأن يتركوا للناس حرية اختيار عقيدتهم لأنه (لا اكراه في الدين) ، وان للمشركين دينهم وللمسلمين دينهم (لكم دينكم ولي دين) ، الا انهم رفضوا ذلك ومارسوا القوة من اجل فتنة المسلمين عن دينهم ، بل انهم هددوا بقتل الرسول ـ صلى الله عليه الصلاة والسلام ـ ان لم يتخل عن رسالته[٩] •

من اجل مواجهة هذا الواقع الصعب ، طلب الرسول (صلى الله عليه وسلم) من بعض أصحابه ان يهاجروا الى الحبشة عسى ان يجدوا فيها مأمنا لأنفسهم، وربما انفسح المجال أمامهم لكسب بعض الانصار لدعوتهم • ولم تقدم لنا المصادر ما يشير الى ان هذه الهجرة قد حققت شيئا واضحا على مستوى انتشار الاسلام في الحبشة على الرغم من ان عدد المهاجرين قد وصل الى اكثر من مائة مهاجر •

---

(٨) سورة النحل : ١٢٥ .

(٩) الملاح ، د. هاشم ، الوسيـط في السيرة النبويـة والخلافة الراشدة ـ الموصل ١٩٩١ ، ص ١٢٥-١٣٣ .

لذا كان لامناص امام الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ من ان يواصل البحث عن موطن آخر للدعوة .. وكان هذا الموطن هو مدينة يثرب حيث آمن به بعض ابنائها في حدود السنة العاشـرة للبعثة ثم لـم يلبثوا ان بايعـوا الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ على الاسلام والهجرة الى مدينتهم على ان يسمعوا له ويطيعوا ويقاتلوا دفاعا عنه ضد اعدائه[١٠].

وهكذا هاجر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ مع اتباعه المكيين الى يثرب التي اصبح اسمها مدينة الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ ، وحيث آمن به غالبية ابناء المدينة من الاوس والخزرج . أما اليهود فقد وافقـوا على التعايش معه في اطار (الأمة) التي اعلنتها (الصحيفة) على ان يكون (للمسلمين دينهم لليهود دينهم) .

لقد غدا الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ بحكم مركزه الديني وقبول اهل المدينة لسلطته رئيسا للأمة الناشئة. ومن ثم فقد اخذ يعمل بشكل تدريجي على بناء النموذج (الحضاري ــ الاسلامـي) للامة الناشئـة فأعلن (المؤاخاة) بين المهاجرين والانصار ، واكد في (الصحيفة) أن العلاقات بين افراد الأمة تقـوم على اساس المسـاواة ، والتكافل الاجتماعي ، والاخـوة في الديـن ، كما ان جميع المنازعات التي قد تنشأ بين افرادها ينبغي ان تعرض على الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ للحكم فيها طبقا للقواعد التي وضعها القرآن الكريم ، وأن على جميع افراد الامة احترام هذه الاحكام وتنفيذها حتى لـو كانت على ولد احدهم . وبذلك لم يعد ثمة مكان لعادة أخذ الثأر عند العرب في ظل النظام الجديـد[١١] .

وكان المسجـد الـذي بناه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعـد وصوله الى المدينة بأشهر قليلة هو مركز العبادة والقيادة والحياة العامـة للأمة الناشئة .. وهكذا اجتمعت في يده الصفتين الدينية والسياسية ، فكـان

---

(١٠) المرجع نفسه ، ص ١٤١ ــ ١٥٠ .
(١١) المرجع نفسه ، ١٨٥ ــ ٢١١ .

هو الرسول والنبي الذي يتكلم بلسان الوحي ويطيعه المسلمون لأنه (من يطع الرسول فقد اطاع الله) وكان هو رئيس الأمة التي هي كيان اجتماعي ــ سياسي (دولة) •

غير ان مما تجدر ملاحظته في هذا المجال ان الصفة السياسية للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ كانت مندمجة في صفته الدينية وانه كان دائم التأكيد انه (عبدالله ورسوله)، حتى انه كان ينفي عن نفسه صفة الملك (لست بملك ولا جبار) مما يوحي بان قيادته للأمة من الناحية السياسية لم تكن هدفاً مركزياً يسعى الى بلوغه وإنما كان هدفه المركزي هو تبليغ رسالة ربه ونشر الاسلام بين الناس • أما السلطة السياسية فربما جاءته بسبب انقسام اهل المدينة وغياب السلطة السياسية الموحدة فيها بعد هجرته اليها • وقد عبر اهل المدينة عن هذه الحالة عند اول لقاء لهم به حينما قالوا له : (إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى ان يجمعهم الله بك ••) •

إن ما تقدم قد افسح المجال أمام بعض الباحثين لطرح الفرضية القائلة : ان الجمع بين الدين والدولة في الاسلام كان نتاجا لظروف تاريخية خاصة وليس جزءاً من طبيعة الدين الاسلامي واحكامه الشرعية[١٢] ، ولكن هذه الفرضية لاتصمد امام كثرة النصوص القرآنية التي تعالج الامور العامة ذات الصلة بالدولة وادارة امورها السياسية ولا سيما في الحقبة المدنية ، مما يؤكد قوة العلاقة بين الدين والدولة في الاسلام •

الجهاد في سبيل الله

بعد أن اطمأن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى قوة مركزه في المدينة في اواخر السنة الاولى للهجرة بدأ بتنظيم الجهاد من اجل ابراز قوة الأمة الناشئة امام اعدائها لغرض حملهم على التعايش معها بسلام والكف عن اضطهاد ابنائها، والسماح لهم بحرية العقيدة والتفكير • وقد عبرت الايات القرانية الاولى التي

---

(١٢) للمزيد من التفصيل يراجع : علي عبدالرزاق ، الاسلام واصول الحكم ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ١٣٩ ــ ١٦٧ •

سمحت للمسلمين بمقاتلة الاعداء عن هذه الأهداف بقولها (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوي عزيز ، الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة واتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) (١٣) .

لقد اطلق على عملية مقاتلة المسلمين لأعدائهم مصطلح (الجهاد في سبيل الله) وذلك لانه كان من واجب المسلمين في هذا المجال ان يبذلوا اقصى مالديهم من جهد وطاقة في مقاتلة الاعداء في سبيل تحقيق الأهداف العليا التي جاء من اجلها الاسلام وابرزها ضمان حرية الايمان والعقيدة للناس ومنع (الطغاة) من زعماء المشركين وغيرهم من مصادرة حريتهم بحجة الدفاع عن عقائد الاباء والاجداد .

وهكذا قدر للمسلمين ان يستخدموا (الحكمة والموعظة الحسنة) في نشر الرسالة الاسلامية وتبليغها الى الناس كافة الى جانب استخدامهم السيف والقوة في الدفاع عن حقهم في حرية الدعوة والتبليغ فضلا عن حقهم في الدفاع عن وجودهم وتنظيماتهم التي تكفل لهم وجودهم الحضاري على وفق القيم والمثل التي جاء بها القرآن (١٤) .

ان الظروف التاريخية التي احاطت باستخدام المسلمين للجهاد في سبيل الله في عهد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وعهد الخلفاء من بعده قد اثارت الالتباس لدى بعض الباحثين ، فذهبوا الى القول بأن الاسلام قد انتشر بقوة السيف وليس بقوة الحق الذي تقوم عليه مبادؤه ومثله .

ويبدو ان سبب الالتباس هو عدم وجود فصل في التجربة التاريخية الاسلامية بين الدين والدولة ، غير ان الدراسة المتأنية لتاريخ الدعوة الاسلامية

---

(١٣) سورة الحج : ٣٩ ـ ٤١ .

(١٤) الملاح ، الوسيط في السيرة النبوية ، ص ٢١٣ ـ ٢١٦ .

توصلنا الى ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والخلفاء من بعده قدالتزموا بصراحة بمبدأ (لاأكراه في الدين[١٥] اذ لم ينقل عنه وعن خلفائه من بعدهانهم اكرهوا فردا على اعتناق الاسلام وذلك لأن الاكراه لايقود الى الايمان اذ مـن المستحيل على الفرد ان يؤمن بشيء على خلاف ارادته واقتناعه • وقد جاء في القرآن الكريم انه : (لايكلف الله نفسا إلا وسعها)[١٦] •

غير ان المسألة التي قد تبدو كأنها استثناء من تلك القاعدة او ناسخة لها هي موقف الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ من مشركي العرب بعدنزول سورة التوبة في السنة التاسعة للهجرة وموقف أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ من المرتدين، اذ من المعروف ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد اعلن عن منع المشركين من الحج الى الكعبة على وفق الطقوس الوثنية كما اعلن الحرب على جميع القبائل المشركة التي لم تحترم عهودها السابقة مع المسلمين[١٧] •

أما ابو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ فقد اعلن الحرب على القبائل العربية التي ارتدت عن الاسلام او رفضت الالتزام بشيء من احكامه كالامتناع عن دفع الزكاة[١٨] •

ان هذه السوابق قد فسرت بأنهـا تعني انه ليس هنالك من خيار في الاسلام امام مشركي العرب سـوى قبـول الاسلام والرضوخ لاحكامه او انتظار عقوبة القتل سلما او حربا •

غير ان تفسير هذه السوابق علـى النحو المشـار اليه آنفا ليس تفسيرا نهائيا اذ يمكن قراءة النصوص وتفسيرهـا بما ينسجم مع موقف الاسلام في سنواته الاولى من حرية العقيدة وذلك استنادا الى الادلة الاتية : ـ

١ ـ انه في الوقت الذي امرت فيه سورة التوبة المسلمين بمقاتلة المشركين الذين كانوا يحاربون المسلمين ولا يوفون بعهودهم تجاههم حتى يتوبوا ويعلنوا

---

(١٥) سورة البقرة : ٢٥٦ .
(١٦) سورة البقرة : ٢٨٦ .
(١٧) ابن هشام ، السيرة النبوية ، مصر ١٩٥٥ ، ق٢ ص ٤٣ ـ ٤٦ .
(١٨) الملاح ، الوسيط ، ص ٣٣٨ ـ ٣٥٠ .

دخولهم في الاسلام فانها آمرت المسلمين بأن يوفوا بعهودهم تجاه المشركين الذين لم ينقضوا عهودهم معهم ولم يظاهروا عليهم أحدا من اعدائهم . كما أمرت الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يمنح الجوار لمن يطالبه من المشركين حتى يسمع كلام الله ثم يبلغه مأمنه(١٩) .

ان ما تقدم يدل على ان القرآن قد أمر بمحاربة المشركين الذين كانوا يحاربون المسلمين ويسالم المشركين الذين كان يسالمون المسلمين ، وهو ينسجم مع مايأمر به القرآن في آية اخرى : (وأن جنحوا للسلم فأجنح لها وتوكل على الله)(٢٠) .

وقد أوضح احد الباحثين أن الأمام مالك واصحابه والاوزاعي وجمعا كبيرا من الفقهاء كانوا يرون هذا الرأي ويذهبون الى ان الأمر بقتل المشركين في قوله تعالى : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم .. » في سورة التوبة ٩ : ٥ إنما هو «لوصف الحرابة فيهم لا بسبب كفرهم » ، أي ان الامر بقتلهم جاء بسبب اصرارهم على محاربة المسلمين وقتالهم لا بسبب عقيدتهم وكفرهم وذلك لأن الاصل في امر نشر العقيدة الاسلامية هو قوله تعالى: «لا إكراه في الدين»(٢١).

٢ ــ وقد ذهب عدد من الفقهاء الى ان حكم الآيات القرآنية التي تقرر حرية اختيار العقيدة وعدم جواز الاكراه على اعتناق الاسلام قد نسختها الآية الخامسة من سورة التوبة التي تأمر بقتال المشركين بعد انقضاء الاشهر الحرم من السنة التاسعة من الهجرة وكذلك حديث الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ الذي قال فيه « أمرت أن اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا أله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فان فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله »(٢٢) .

---

(١٩) سورة التوبة : ١ ــ ٤٠ .
(٢٠) سورة الانفال : ١ .
(٢١) البوطي ، د. محمد سعيد رمضان ، الجهاد في الاسلام ، كيف نفهمه وكيف نمارسه ، دمشق (ط ٢) ١٩٩٥ ، ص٥٢ ــ ٥٧ .
(٢٢) المرجع نفسه ، ص ٥٢ ــ ٥٣ .

غير ان هذا الرأي لم يلق قبولا عند اكثر الفقهاء والمفسرين ، فقالوا: «ان الآيات التي تدل على الدعوة الى الاسلام دون اكراه محكمة وليست منسوخة»، وان حديث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الانف الذكر والآية الكريمة لايتعارضان مع حكم حرية العقيدة وإنما يعنيان ان الله تعالى أمر رسوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ ان يصد أي عدوان على الدعوة الى الله ، ولو لم يتحقق صد العدوان على هذه الدعوة الا بقتال المعاندين والمعتدين فذلك واجب قد أمر الله به ولا محيص عنه [٢٣] .

وقد اشير الى ان سبب الاشكال في تفسير هذه المسألة قد نشأ « من عدم التنبه الى الفرق بين كلمتي(أقاتل)و(أقتل)مع ان بينهما فرقا كبيرا لا يخفي على العربي المتأمل . لقد كان الحديث مشكلاً حقاً لو كان نصه هكذا : (أمرت ان اقتل الناس حتى ..) ، اذ هو يتناقض عندئذ مع سائر الآيات والاحاديث الكثيرة الأخرى الدالة على النهي عن القسر والاكراه في العقيدة . أما كلمة (أقاتل) فهي على وزن أفاعل تدل على المشاركة فهي لاتصدق إلا تعبيرا عن مقاومة من الطرفين ، بل هي لاتصدق الا تعبيرا عن مقاومة لبادىء سبق الى قصد القتل وهكذا يتضح ان القتال الذي أمر الله به ليس سببه اختلاف العقيدة او رغبة المسلمين في فرض عقيدتهم على الاخرين عن طريق القوة والاكراه وانما سببه هو (المحاربة) واصرار المشركين على مقاتلة المسلمين . لذا فقد خاطبت الاية السادسة من سورة التوبة التي وردت بعد الآية الخامسة التي تأمر بالقتال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بقولها :

«وإن احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لايعلمون» . فدل ذلك على اختلاف الحكم بين المشرك الذي يقاتل المسلمين والمشرك الذي يستجير بهم ويحسن التعامل معهم [٢٤] .

٣ ــ اوردت المصادر عددا من الأحاديث التي تؤكد هذا الفهم لهذه المسألة منها : ماروواه سعيد بن جبير ، قال : جاء رجل من المشركين الى علي بن

---

(٢٣) المرجع نفسه ص ٥٣ــ٥٤ .
(٢٤) المرجع نفسه ، ص ٥٨ ــ ٦٣ .

ابي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقال : أن اراد الرجل منا ان يأتي محمدا بعد انقضاء الاربعة اشهر فيسمع كلام الله او يأتيه بحاجة قتل !؟ فقال علي ابن ابي طالب : لا ، لأن الله تبارك وتعالى يقول : « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله » .. وقد عقب القرطبي في تفسيره على ذلك بقوله : « وهذا هو الصحيح ، والآية محكمة»[٢٥] .

وروى الحاكم في صحيحه قال : قدمت قتيلة بنت عبدالعزى على اسماء بنت ابي بكر بهدايا وثياب وسمن واقط ، فلم تقبل هداياها ولم تدخلها منزلها، فسألت عائشة لها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذلك ، فتلا عليها قول الله عز وجل : لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم، انالله يحب المقسطين» ـ الممتحنة :٦٠/٨، فأدخلتها عندئذ منزلها وقبلت هداياها .

وقد أورد الامام احمد هذا الحديث بمسنده ، عن اسماء بنت ابي بكر قالت : « قدمت أمي ، وهي مشركة ، فأتيت النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقلت : يارسول الله ـ إن أمي قدمت وهي راغبة (أي في المواصلة واللقاء) افاصلها قال « نعم صلي أمك»[٢٦] .

وهنا ، قد يسأل سائل ، اذا كان الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يكره المشركين على دخول الاسلام فلما اختفى الشرك من جزيرة العرب بهذه السرعة ؟ والجواب عن ذلك .

ان ديانة المشركين كانت عند ظهور الاسلام قد تحجرت وفقدت قدرتها على البقاء . لذا فقد لجأ زعماء المشركين في مكة والطائف وغيرها الى استخدام القوة ضد الدعوة الاسلامية للمحافظة على تلك الديانة التي وجدوا آباءهم واجدادهم عليها .. فلما عجزت القوة عن دحر المسلمين وتغلب المسلمون في ساحات القتال على المشركين كان من الطبيعي ان ينفض اتباع تلك الديانة

---

(٢٥) القرطبي ، محمد بن احمد الانصاري ، الجامع لاحكام القرآن ، القاهرة، ١٩٦١ ، ج٨ ص ٧٦ ـ ٧٧ .

(٢٦) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

عنها ويدخلوا في دين الله افواجا .. ومن ثم فلم يكن في الاسلام حاجة الى استخدام القوة لاكراه المشركين على الدخول فيه .

٤ ــ اما محاربة ابي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ للمرتدين فقدكانت عمليات عسكرية ضد القبائل التي خرجت على الدولة وانتقضت على النظام العام فيها ... ومن ثم ، فان تلك الحرب لم تكن حربا من اجل فرض العقيدة بقدر ماكانت حربا من اجل المحافظة على وحدة الدولة والنظام .

وهكذا قدر للاسلام انيجتذب جميع مشركي العرب الى تعاليمه بحكم ماتنطوي عليه من قوة الحق ومن قدرة على التعبير عن احتياجاتهم وتطلعاتهم في الحياة ، فأصبحوا بنعمة تعاليم الاسلام إخواناً في امة عربية اسلامية واحدة منفتحة على الناس كافة .

الاسلام واهل الذمة :

اطلق مصطلح اهل الذمة على غير المسلمين الذين يعيشونفي كنفالدولة الاسلامية وحمايتها من غير مساس بحياتهم واموالهم وعقائدهم ، وذلك لان الذمة في اللغة العربية تعني العهد والأمان والضمان[٢٧] .

وقد تألف اهل الذمة في عهد الرسول ــ عليهالصلاةوالسلام ــ من اليهود والنصارى بصورةاساس بصفتهم (أهل كتاب) أي اصحاب دين سماوي ثم الحق بهم المجوس استنادا الى قول الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ عنهم : « سنوا بهم سمنة أهل الكتاب »[٢٨] . وقد اجتهد المسلمون في العصور التالية في تحديد مفهوم اهل الذمة فعدوا كل من لم يدخل في الاسلام من اصحاب الاديان الاخرى الذين يعيشون في حماية المسلمين أهل ذمة . وفي ذلك يقول ابو يوسف : « وجميع اهل الشرك من المجوسوعبدة الاوثانوعبدة النيران والحجارة والصابئين والسامرة تؤخذ منهم الجزية ماخلا أهل الردة من اهل الاسلام وأهل الاوثان من العرب[٢٩] .

(٢٧) ابو يوسف ، كتاب الخراج ، القاهرة ١٣٨٢ هـ ، ص ١٢٤ ــ ١٢٦ .
(٢٨) المصدر نفسه ، ص ١٣٠ .
(٢٩) المصدر نفسه ، ص ١٢٨ ــ ١٢٩ .

وقد كانت الجزية مبلغا ضئيلا من المال يدفعه الرجل الذمي القادر على القتال الى الدولة مقابل الحماية التي تقدمها له ، ومن دون ان تكلفه بواجب الجهاد الذي يقع عبء القيام به على المسلمين وقد تفاوت مقدار الجزية بين اهل الذمة بحسب قدرتهم المالية فكان الفقير منهم يدفع نحو ١٢ درهما في السنة في حين أن الغني يدفع ٤٨ درهماً (٣٠) . واذا قارنا هذا المبلغ بما يدفعه المسلم من زكاة سنوية على امواله فضلا عن التزاماته الحربية في الجهاد ادركنا مدى التسامح الذي كان يتمتع به الذميون في الدولة العربية الاسلامية .

وربما كان من اوضح الادلة على روح السماحة التي عامل بها الاسلام اهل الذمة ومدى ماضمنه لهم من حقوق دينية ومدنية ما جاء في عهد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى اهل نجران : « .. ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله ــ عليه الصلاة والسلام ــ على اموالهم وانفسهم وارضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ماتحت ايديهم من قليل او كثير ، لا يغير اسقف من اسقفيته ولا راهب رهبانيته ، ولا كاهن من كهانته ، وليس عليه دنيه ولا دم جاهلية ولا يخسرون ولا يعشرون ولايطأ ارضهم جيش ، ومن سأل منهم حقا فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين . ومن اكل ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة ، ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر ، وعلى مافي هذا الكتاب جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله ــ عليه الصلاة والسلام ــ أبدا حتى يأتي الله بأمره مانصحوا واصلحوا ماعليهم غير متلبسين بظلم »(٣١).

ويلاحظ ان المسلمين قد فرضوا على الاراضي الزراعية التي يملكها اهل الذمة في البلدان المحررة ضريبة الخراج وهي تقابل ضريبة العشر التي يدفعها

---

(٣٠) المصدر نفسه ، ص ١٢٣ ــ ١٢٤ .

(٣١) المصدر نفسه ، ص ٧٢ ــ ٧٣ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ج١ ص ٣٥٨ .

المسلمون للدولة ، وكان مقدار هذه الضريبة في كل الاحوال اقل مما كانوا يدفعونه للامبراطورية الساسانية او البيزنطية من قبل [٣٢] .

في ضوء ماتقدم ، فقد رحب كثير من سكان البلاد المحررة بالعرب حينما نجحوا في القضاء على التسلط الساساني والبيزنطي في بلادهم ونظروا الى العرب المسلمين بصفتهم محررين جاءوا الى بلادهم لاقامة العدالة واشاعة حرية العقيدة والتسامح وربما كان ماأورده مار ميخائيل الكبير في تاريخه من خير الادلة على صحة ما نقول . يقول مار ميخائيل ما نصه : «وان الله إله النقمة الذي وحده له السلطان على كل شيء وهو الذي يغير الملك كما يشاء ويعطيه لمن يشاء ، ويقيم عليه الضعفاء ، اذ رأى خيانة الروم الذين كانوا ينهبون كنائسنا وأديرتنا كلما اشتد ساعدهم في الحكم ، ويقاضوننا بلارحمة، جاء من الجنوب بأبناء اسماعيل لكي يكون لنا الخلاص من ايدي الروم بواسطتهم ، أما الكنائس التي كنا قد فقدناها بأغتصاب الخلقدونيين اياها ، فبقيت بيدهم ، لأن العرب لدى دخولهم المدينة ابقوا لكل طائفة مابحوزتها من الكنائس ، وقد فقدنا في هذه الفترة كنيسة الرها الكبرى وكنيسة حران غير ان فائدتنا لم تكن يسيرة حيث اننا تحررنا من خبث الروم ومن شرهم وبطشهم وحقدهم المرير علينا وتمتعنا بالطمأنينة[٣٣] .

وقد أورد البلاذري خبرا يعبر عن مدى تمسك اهل الذمة من نصارى ويهود بالحكم الاسلامي الذي حررهم من ظلم الروم البيزنطيين فقد ذكر (انه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع ، وبلغ المسلمين اقبالهم اليهم لوقعة اليرموك ردوا على اهل حمص ماكانوا اخذوا منهم من الخراج وقالوا : قد شغلنا عن

---

(٣٢) د. توفيق اليوزبكي ، دراسات في النظم العربية الاسلامية ، الموصل ١٩٨٨ ، ص ٣٥ .

(٣٣) تاريخ مار ميخائيل الكبير ، ترجمة المطران صليبا شمعون ، مخطوط بخط المترجم ، ج٢ ص ١٤٦ ، يراجع ايضا سهيل قاشا ، لمحات من تاريخ نصارى العراق ، ١٩٨٢ ، ص ٢٦ ــ ٣٦ حيث قدم استشهادات كثيرة عن مواقف النصارى الايجابية من حروب التحرير العربية الاسلامية .

نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على امركم ، فقال أهل حمص : لولايتكم وعدلكم أحب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفع جند هرقل عن المدينة مع عاملكم . ونهض اليهود فقالوا ، والتوراة لايدخل عامل هرقل مدينة حمص الا ان نغلب ونجهد ، فأغلقوا الابواب وحرسوها ، وكذلك فعل اهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود ، وقالوا: إن ظهر الروم واتباعهم على المسلمين صرنا الى ماكنا عليه ، وإلا فانا على أمرنا مابقي للمسلمين عدد . فلما هزم الله الكفرة واظهر المسلمين فتحوا مدنهم واخرجوا المقلسين فلعبوا وأدوا الخراج»[(٣٤)] .

وقد اشير الى ان الاسلام لم يكتف بحسن معاملة اهل الذمة وضمان حقوقهم الاساسية وحرياتهم بل وفر الظروف المناسبة لاقامة علاقات جيدة بينهم وبين المسلمين بصفتهم ابناء مجتمع واحد وحضارة واحدة . لذا فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : « لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين»[(٣٥)] .

وقد أباح القرآن الكريم للمسلم ان يتزوج من المرأة الكتابية[(٣٦)] وهو أمر تترتب عليه نتائج خطيرة ،اذ من شأن المصاهرة بين المسلمين واهل الكتاب ان تنشأ عنها روابط أسرية وثيقة بين المسلمين واهل الكتاب ، كما تنشأ عنها التزامات متقابلة في احترام حرية العقيدة وممارسة طقوسها بين كلا الزوجين[(٣٧)] .

ان هذا الموقف الانساني من اهل الذمة قد ساعد المسلمين بعد ان اتسعت دولتهم في العصر الاموي حتى غدت اكبر امبراطورية في العالم على حسن

---

(٣٤) البلاذري ، ابو الحسن ، فتوح البلدان ، بيروت ١٩٧٨ ص ١٤٣ .
(٣٥) سورة الممتحنة : ٨ — ٩ .
(٣٦) سورة المائدة : ٥ .
(٣٧) د. محمد عمارة ، الاسلام والوحدة القومية ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ١٣٣ — ١٣٥ .

التعامل مع غير المسلمين ومواجهة التحديات الفكرية التي فرضتهـا عليهـم الأديان والثقافات الاخرى •

الاسلام والتحديات الحضارية :

لقد اوضح احد الباحثين حجم التحدي الحضاري الذي واجه المسلمين بقوله « لقد واجه المسلمون يومئذ واحدا من اخطر التحديات التي واجهتهم بعد انجاز الفتوحات ••• ولقد زاد من جدية هذا التحدي وخطره ان العرب المسلمين كانوا يسعون لبناء حضارة واحدة لرعية الدولة كلها ، على اختلاف الاديان والمعتقدات ، ويسعون كذلك الى الاستفادة من المواريث الحضارية التي وجدوها في البـلاد المفتوحـة في صنع المعالـم الاساسية لهذه الحضارة الواحدة • ومن ثم فان التواصل والتزامل والتفاعل مع اهل الديانات الاخرى هو امر لامفر منه• بل هو واجب يجد اليهالمسلمون ويسعون•• وفيهذاالتلاحم والاتصال لابد ان تتصارع العقائـد وتتحـارب الافكـار • وايضا ، فأن المسلمين ، وان كانوا لايستخدمون القوة والدولة في فرض عقائدهم الدينية فهم في شوق ــ نابع من شوقهم الى الجنة ــ الى نشر دينهم الحنيف بـين ربوع كل تلك البلاد ، ومن ثم فـلا بد من الجـدل والصراع مع كل تلك الديانات ومالها من اسلحة ومؤسسات»[٣٨] •

وكان من نتائج هذا الصراع والتفاعل الحضاري ان ظهر علم الكـلام عند المسلمين وهو علم يقوم على استخدام العقل والمنطق والفلسفة فيالدفاع عن حقائق الدين ، وكان ابرز من ساهم في ابداع هذا العلم واستخدامه رواد حركة الاعتزال الاوائل [٣٩] •

وقد اشير الى ان مهمة المسلمين في الدعوة الى عقيدتهم والدفاع عنها لم تكن سهلة في عصر صدر الاسلام لأن المسلمين قد اصبحوا نتيجة للتوسع الهائل للدولة العربية الاسلامية اقلية بين السكان من اصحاب العقائد الاخرى

---

(٣٨) د. محمد عمارة ، العرب والتحدي ، الكويت ١٩٨٠ ، ص ٨٢ ــ ٨٣ .
(٣٩) المرجع نفسه : ص ١١٥ ــ ١١٨ .

على الرغم من انهم كانوا يمسكون بزمام السلطان السياسي فيها . ففي سنة ٩٤ / ٧١٢ م « كانت الفتوحات قد بلغت السند في الشمال الشرقي للقارة الهندية ، والافغان ، وما وراء النهر .. هذا في الشرق ـ ثم بلغت في الغرب الى قلب الاندلس .. وبذلك غدت اكبر امبواطوريات ذلك التاريخ .. وهي لم تضم شعوبا تتدين بكل اديان الدنيا سماوية ووضعية فحسب ، بل ضمت رعية اغلبيتها العددية من غير المسلمين .فمن رعيتها من كانوا يتدينون بكل مذاهب المسيحية يومئذ : اليعقوبية والملكانية ، والنسطورية ، ومن يتدينون بكل مذاهب اليهودية ، ربانين وقرائين ، وسامرة ، ومن يتدينون بمذاهب الفرس المجوس الدينية ... ومن يتدينون بديانات الهند ، هندوسية ، وسمنية الخ ..» [٤٠] .

وقد كان من الاثار التي نشأت عن هذا الواقع ان قام علماء الكلام بتأليف الكتب عن «الملل والنحل» التي وجدوها في دارالاسلاموفيخارجها، حيث اوضحوا طبيعة كل عقيدة وجوانب القوة والضعف فيها ، مما جعلهم بحق الرواد الاوائل في مجال تأسيس « علم الاديان المقارن » على مستوى العالم[٤١] .

وان مما يجدر ذكره في هذا المجال ان المسلمين لم ينشئوا مؤسسات كهنوتية تتولى مهمة تفسير الاسلام ونشره بين الناس كما حصل بالنسبة لبعض الاديان الاخرى كالمسيحية وإنما بقي هذا الواجب من اختصاص الافراد الذين يقومون به بدافع من ايمانهم وضميرهم لاغير»[٤٢] ومن ثم نجد اخبارا تاريخية لنشر العقيدة الاسلامية تتضمن سجلا باسماء رجال ونساء من جميع طبقات المجتمع ، من الملك الى الفلاح ، ومن كل الصنائع والحرف ، قاموا بأعمال الدعوة ابتغاء نشر دينهم»[٤٣] .

---

(٤٠) المرجع نفسه ، ص ٧٧ .
(٤١) يراجع على سبيل المثال كتاب الملل والنحل للشهر ستاني .
(٤٢) آرنولد ، سير توماس ، الدعوة الى الاسلام ، القاهرة ١٩٥٧ ص ٤٩ .
(٤٣) المرجع نفسه ، ص ٤٥٠ .

وقد ترتب على طبيعة تعاليم الاسلام ، وحماسة اتباعه في نشره بين الناس اعتناق اعداد غفيرة من اهل الذمة لعقيدتهم بمحض اختيارهم . وقد قدم لنا توماس ارنولد تفاصيل قيمة عن ذلك في كتابه (الدعوة الى الاسلام). وكان مما أورده عن طبيعة انتشار الاسلام في القرن الاول الهجري رسالة بعث بها البطريق النسطوري يشوعياق الثالث الى رئيس اساقفة فارس يشكو فيها من تحول أتباع كنيسته في خراسان الى الاسلام ، جاء فيها «.. وان العرب الذين منحهم الله سلطان الدنيا ، يشاهدون ماانتم عليه ، وهو بينكم ، كما تعلمون حق العلم ، ومع ذلك فهم لايحاربون العقيدة المسيحية ، بل على العكس يعطفون على ديننا ، ويكرمون قسسنا ، وقديسي الرب ويجودون بالفضل على الكنائس والأديان ، فلماذا هجر شعبك من اهل مرو عقيدتهم من اجل هؤلاء العرب ؟ ولماذا حدث ذلك ايضا في وقت لم يرغمهم فيه العرب ، كما يصرح بذلك اهل مرو انفسهم على ترك دينهم . بل تعهدوا لهم ان يبقوا عليه آمنا مصونا اذا هم اقتصروا على اداء جزء من تجارتهم اليهم ولكنهم هجروا العقيدة التي تجلب الخلاص الابدي ابقاء على نصيب من عرض هذه الدنيا الزائلة ..»[44].

ويلاحظ ان عملية انتشار الاسلام في دار الاسلام ، كان يصاحبها في في غالب الاحوال انتشار اللسان العربي والثقافة العربية مما يشير الى عمق الترابط بين العروبة والاسلام فكيف كانت العلاقة ؟ وكيف تطورت من اجل خدمة الحضارة العربية الاسلامية ؟

الاسلام والعروبة :

من المعروف ان القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين على محمد ـ صلى الله عليه وسلم وهو رجل من صميم العرب . وأن القوم الذين ارسل اليهم كانوا عربا . ومن ثم فقد كان اتباعه ومعارضوه من العرب . لذا فقد ارتبط

---

(٤٤) المرجع نفسه ، ص ١٠٢ .

الاسلام واحكامه الشرعية ومثله الخلقيـة بلغـة العـرب وبيئتهم الاجتماعية والثقافية (٤٥) .

وهكذا فقد تألفت(الأمة)التي نجح الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ في تكوينها من اجل حمل رسالة الاسلام الى الناس كافـة من العـرب . فلا غرابة ان ينشأ ترابط محكم بين الاسلام والعروبة حتى بدا كأن الاثنين شيء واحد . وقد عبر احد الموالي عن هذا التصور حينما قال : « ان كانت العربية لسانافقد نطقنا بها ، وان كانت دينا فقد دخلنا فيه »(٤٦) .

ويبدو ان سر هذا الترابط بين العروبة والاسلام ان الاسلام يفرض على المسلم ان يؤدي صلاته بقراءة بعض آيات القرآن الكريم ، وهي باللغةالعربية. كما انه لايستطيع فهم احكام الدين من مصادره الاولى (القرآن والسنة) مـن غير ان يتعلم اللغة العربية .

وربما كان حب المؤمنين من غير العرب لكلام الله تعالى المتمثل في القرآن الكريم وشوقهم الى تعلم سنة رسوله الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأصحابه الكرام من العوامل التي حفزت هولاء المؤمنين على تعلم العربية واتقانها .

وهكذا فقد اخذ اللسان العربي ينتشر في ربوع الدولة الاسلامية مـع انتشار الاسلام ، وكان مما شجع المسلمين على تعلم اللغة العربية والتعـرب ان الاسلام لم يَتَبَنَّ المفهوم النسبي للعروبة،وانما تبنى المفهوم الثقافي لها، فربط بين العروبة واللغة العربية وربط بين العروبة والاسلام . لذا فقد روي عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله :«ا يها الناس ان اباكم واحـد ، وان ربكم واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، انما هي اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربي»(٤٧) .

---

(٤٥) للتفصيل يراجع بحثنا : العلاقـة بين العروبة والاسلام ، مجلـة آداب الرافدين ، الموصل ، عدد ١٤ ، سنة ١٩٨١ ، ص ٣٢ ـ ٣٤ .

(٤٦) المرجع نفسه ، ص ٣٥ .

(٤٧) ابن عساكر ، تهذيب ابن عساكر ، مطبعة دمشق ، ج٢ ص ١٨٩ .

وقد ترتب على هذا الواقع ان المجتمع العربي الاسلامي اخذ يتوسع مع توسع الاسلام فشمل مساحات من دار الاسلام لم تكـن تتكلـم العربيـة او تعرف شيئا عنها حتـى غـدت اللغة العربية هي لغتها الأم التي لاتـروم عنها بديلا .

كما اصبحت اللغة العربية لغة العلوم والثقافة فدونت بها جميع العلوم الشرعية كعلوم القرآن والحديث والفقه والكلام فضلا عن العلوم العقليـة كالفلسفة والطب والرياضيات والفلك والجغرافية وغيرها .

يتضح مما تقدم عمق الترابط بين العروبة والاسلام والمجتمع العربي الاسلامي والحضارة العربية الاسلاميـة ، وقد استمر هذا الترابط قويا فاعـلا طـوال الحقبة التاريخية التي هيمنت فيها قيم الاسـلام الروحية والسياسية على دار الاسلام ، غير ان ماتقدم لايعني حتميـة هـذا الترابط فقد افسحت القيـم الاسلامية كما اوضحنا للعرب من غير المسلمين (اهل الذمة) ان ياخذوا دورهم الفاعل في المجتمع كما اتاحت المجال للمسلمين من غير العرب ان يسهموا بفعالية في اطار الحضارة العربية الاسلامية .

ولم تحاول تعاليم الاسلام وهي تبنى نموذجها الحضاري (العربي ـ الاسلامي) بصورة هادئة ومتدرجة ان تلغي وجود الحضارات الاخرى التي كانت قائمـة في دار الاسلام عن طريق القوة والقمع ، بل دخلت معها في حوار وتفاعل متصل مما افسح المجال لعوامل التأثر والتأثير وساهـم في اغناء الحضارة العربيـة الاسلامية الناشئة فاصبحت هي الحضارة الكبرى المهيمنة على المناخ الثقافي في دار السلام وغدت الحضـارات الأخرى التي استطاعت أن تحافظ على وجودها في دار الاسلام حضارات فرعية تتعايش بصـورة سلمية مع الحضارة العربية الاسلامية في اطار قانون الوحدة والتنوع في الحضارة (٤٨) .

---

(٤٨) براجع فون كروينباوم ، الوحدة والتنوع في الحضارة الاسلامية الترجمة صدقي حمدي بغداد .

القيم الانسانية في شعر الخوارج

الدكتورة امل طاهر نصير
كلية الآداب ـ جامعة اليرموك
اربد ـ الاردن

الملخص :

تناولت في هذه الدراسة معنى كلمة (القيمة) لغة واصطلاحا ، ثم عرضت لمفهومها عند بعض علماء الاجتماع ، وكذلك عند بعض الفلاسفة القدماء والمحدثين ، وبعدها استعرضت شعر الخوارج وخلصت الى ان اهم القيم الانسانية التي برزت في شعرهم كانت : الثبات على المبدأ ، والبطولة والصبر والتقوى والتعاون والزهد والوفاء والانصاف ، ولا شك في أن بعض هذه القيم كانت مستمدة من الدين الاسلامي ، فهناك علاقة واضحة بين الدين والقيم اذ انللقيم الدينية تأثيرا عظيما على أنساق القيم الاخرى ، وبعضها الاخر ورثها الخارجي عن آبائه خاصة في المجتمعات البدوية ، فكانت امتدادا للقيم العربية الاصيلة .

لقد كان الخوارج يتمتعون بشجاعة فائقة لعلها كانت نابعة من عدم اكتراثهم بالموت ، ونبذ الدنيا والزهد فيها ، فالخارجي يؤمن بحتمية الموت ، وبالتالي ان كان لابد منه ، وبما انه ليس بضامن لحياته الدنيوية لا في ديمومتها ولا في نوعيتها ، فقد سعى لضمان الحياة الآخرة بديمومتها ونوعيتها .

ان من يراقب رغبة الخوارج واصرارهم على الحرب والموت وصبرهم على ذلك لابد أن يدرك ان وراء ذلك قيما دينية تعمقت نفوسهم ، وظهرت في أشعارهم وأفعالهم ، ولعل هذا يؤكد ان الدين كان مصدرا لكثير من القيم الانسانية عند الخوارج ، أو في الاقل يمكن القول ان نسق القيم عندهم في كثير من الاحيان كان مؤسسا على الدين .

القيمة من الناحية اللغوية :الاستقامة • والقيمة : واحدة القيم ، وأصله الواو ، لانه يقوم مقام الشيء • والقيمة : ثمن الشيء بالتقويم ، وأمر قيّم : مستقيم ، وخلقك قيم ؛ أي مستقيم حسن • قال تعالى : « فيها كتب قيّمة »[1] ؛ أي مستقيمة تبين الحق من الباطل على استواء وبرهان[2]• وفي المعجم الوسيط قيمة الشيء : قدره ، وقيمة المتاع : ثمنه • ويقال: ما لفلان قيمة : أي ما له ثبات ودوام على الامر • وأمر قيّم : مستقيم وكتاب قيم: ذو قيمة[3] •

أما علم القيم أو فلسفة القيم «أكسيولوجيا» (Axiologie) فأصله الاغريقي يدل على ما هو ثمين أو جدير بالثقة[4] • وأما الاصل اللاتيني للفعل الذي يدل على معنى القيمة وهو (valeur)، فانه يعني «انني قوي ، وأنني أرفل بصحة جيدة ، ثم أصبح هذا المعنى يشير الى فكرة أن يكون الانسان بالفعل ناجحا أو متكيفا ، وما زالت كلمة قيمة في عدد من اللغات الاوروبية تحتفظ بشيء من رواسب معناها اللاتيني[5] •

هذا يعني أن كلمة قيمة مستخدمة ومعروفة منذ القديم خاصة في مجال البيع والشراء ، وكذلك في مجال الاخلاق ،وقد استخدم الناس أشياء مرادفة لها كالعرف والعادات والطرائق الاجتماعية •

والقيمة كمصطلح له معنى فني خاص حديث العهد ، وعمره لا يتجاوز الخمسين سنة في الفكر الغربي ، اذ ان فلسفة القيم من انتاج علوم العصر

---

(١) القرآن الكريم (سورة البينة) آية رقم (٣) .
(٢) ابن منظور (ابو الفضل جمال‌الدين محمد بن مكرم بن منظور) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، د.ت ، مادة (قوم) .
(٣) انيس (ابراهيم انيس) وزملائه ، المعجم الوسيط ، دار الفكر ، مصر د.ت ، مادة (قوم) .
(٤) العوا (عادل العوا) ، العمدة في فلسفة القيم ، دار طلاس للدراسات والترجمة والتوزيع ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٦ . انظر ص ٤٣، وما بعدها.
(٥) المصدر السابق ، ٢٧٠ .

الحديثة ، وكان أول من تكلم في موضوع الخير والحسن والشر بأن أطلق عليها كلمة قيم هم الفلاسفة الوضعيون في فينا بعد الحرب العالمية الاولى(٦) .

وتعرف القيمة اصطلاحا بأنها مجموعة الصفات أو الاخلاق التي يرغب بها انسان ما أو مجتمع ما . ونسق القيم : هو تلك المجموعة من المبادىء التي تربط الفرد بهويته والمجتمع بتقاليده ، وتنظم العلاقات بينهم(٧) ؛ هذا يعني أنه ليس بالضرورة ان تتفق كل المجتمعات ، وفي كل الازمان على ذات القيم ، فقد تختلف منظومة القيم من مجتمع الى آخر ، ومن عصر الى آخر ، وان بقي هناك اتفاق على كثير منها ؛ لانها في أكثر الاحيان قيما انسانية يشترك فيها الناس جميعا مهما اختلف زمانهم أو مكانهم .

والقيمة أيضا ما هو جدير بأن يطلبه الانسان ، ويجعله من طموحاته المهمة لما لها من صفة انسانية ترقى بصاحبها الى مصاف الخيريين والاخلاقيين والعظماء ، فالانسان يكون عظيما بقدر ما يملك من قيم انسانية ترقى به عن كل ما هو اسفاف او سقوط ، أو حتى كل ما هو اعتيادي غير متميز، ولعل هذا ماجعل علماء الاجتماع ومنهم (بارك وبرجس) يخلصان الى أن القيمة أي شيء قيمته قابلة للتقدير(٨) ؛ لذا فان الانسان الراقي يسعى الى وجود منظومة من القيم في حياته يصبو اليها ؛ ويسعى الى تحقيقها ، وكذلك المجتمعات المتحضرة نراها تسارع هي الاخرى الى وجود منظومة من القيم تميزها ، وتعمل جاهدة على وجودها في المجتمع ، فهي أي القيم تحدد اتجاه السلوك الانساني ، وترسم مقوماته ، وهي أي شيء ذو أهمية أو رغبة للذات الانسانية ، وأي شيء نرى فيه حيزا ، فقد عرف (توماس وزنانيكي) القيم الاجتماعية بأنها القيم الايجابية او القيم المرغوب فيها(٩) .

---

(٦) بيومي (محمد أحمد بيومي) ، علم اجتماع القيم ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ، ١٩٨٩ ، ص ٤٥ .
(٧) المصدر السابق ، ص ١٥٨.
(٨) نفسه ، ص ١٤٨ .
(٩) نفسه ، ص ١٥١ .

أما علماء النفس الاجتماعيون ، فيميلون الى الاعتقاد بأن القيم عبارة عن اتجاهات مشتركة من كونها أنساقا لقواعد معيارية أو مثل أخلاقية تؤدي دورا هاما في الحياة الاجتماعية [١٠] • وفي مجال الفلسفة القديمة يعتبر اليونانيون أول من أقام علم الاخلاق على أساس فلسفي على يد سقراط، ثم ان نظرية القيم الثابتة غير المتغيرة ، ترجع في جوهرها الى أفلاطون ،وقد تطورت هذه النظرية في القرن الحالي على يد الفيلسوف الالماني (ماكس شيلر[١١]•

أما أرسطو فانه نظر الى الاخلاق على أنها علم يبحث في أفعال الانسان من حيث هو انسان ، ويهتم بتقرير ما ينبغي عمله ، وما ينبغي تجنبه لتنظيم حياة الموجود البشري وتدبيرها على أحسن وجه ، ومن ثم يقرر ان الاخلاق نشاط انساني يتميز به الكائن الانساني بوصفه كائنا يتمتع بنعمة العقل[١٢] وفي العصر الحديث يمكن اعتبار (كانت) واضع حجر الاساس في فلسفة القيم ، وذلك حين نقل مركز الفلسفة عامة من الطبيعة الى الانسان[١٣] •

ومن الفلاسفة الوجوديين يرى (سارتر) ان القيمة أشبه شيء بالمعنى وبما وراء كل تجاوز • انها أشبه بموجود بذاته يخامر الوجود لذاته[١٤] • أما الفلاسفة الواقعيون ومنهم (رينيه لوسن) ، فيرون ان الله أو المطلق هو القيمة العليا[١٥] •

---

(١٠) نفسه ، ص ١٢٣ •

(١١) زقزوق (محمود حمدي زقزوق) ، مقدمة في علم الاخلاق ، دار القلم ، الكويت ، ١٩٨٠ ، ص ٢٥ •

(١٢) المصدر السابق ، ص ٧٠–٧١ •

(١٣) العمدة في فلسفة القيم ، ص ١٠٩•

(١٤) كومبز (يوسف كومبز) القيمة والحرية ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٥ ، ص ١٥ •

(١٥) بدوي (عبدالرحمن بدوي) ، الاخلاق النظرية ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٥ ، ص ١٢٢ •

وفي الفكر الاسلامي نجد الامام الغزالي ينطلق من اعتبار « الله » القيمة المطلقة الوحيدة[١٦] . وأما القاضي الماوردي فقد انطلق في تخطيطه القيمي من ارادة الله وفضله ، وهي الارادة المطلقة والفضل المطلق ، ويوضح أن ما يترتب على البشر العقلاء الاحرار من واجبات التكليف في حقيقة الامر هو ما يكفل لهم صلاح أمور الدين والدنيا[١٧] .

ان القيم الانسانية هي الطابع المميز للوجود الانساني ، لذا هي خاصة به دون غيره من المخلوقات ، فهي في جوهرها جزء أصيل من كيان الانسان ، وهي وثيقة الصلة بالجانب الروحي فيه ؛ لانها تصدر عن طبع كامن في السلوك البشري[١٨] .

من هنا فقد ربط بين الانسان والقيم، لانها من خصائصه التي تميزه عن غيره من المخلوقات ، فاذا كانت الانسانية تعني كل ما يختص به الانسان من الجود والمحامد[١٩] ، والقيم تعد من لوازم الانسان ، بل هو الخالق النهائي لها في هذا العالم علمنا مدى الارتباط الكبير بينهما ، فالانسان هو الكائن الاخلاقي الذي لايتحدد وجوده الا من خلال علاقته بالقيم[٢٠] ،والقيم

---

(١٦) العمدة في فلسفة القيم ، ص ٥٦٢ ، وانظر الغزالي (أبو حامد الغزالي)، تهذيب احياء علوم الدين ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ص ٢١٣ وما بعدها .

(١٧) العمدة في فلسفة القيم ، ص ٥٨٤ ، وانظر الماوردي (علي بن محمد الماوردي) ، ادب الدين والدنيا ، شرح وتعليق محمد كريم راجح ، دار اقرأ ، بيروت ، ١٩٨٦ ، انظر ص ١٤٣ وما بعدها .

(١٨) قطب ، (محمد قطب) ، دراسات في النفس الانسانية ، دار الشروق بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٢٥٠ .

(١٩) البستاني (بطرس البستاني) ، قطر المحيط ، مكتبة لبنان ، بيروت، ١٨٦٩ ، ج١ ، ص ٥٣ .

(٢٠) ابراهيم (زكريا ابراهيم) ، المشكلة الخلقية ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٣٠ .

تعمل على تأكيد انسانية الانسان والسمو بها الى العلا ، فهي تعبير عن الوجود الانساني في الوقت الذي تكون فيه حكما يصدره الانسان على العالم[٢١] .

القيم الانسانية في شعر الخوارج

الخوارج حزب سياسي ظهر بعد قبول علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — بالتحكيم في أثناء معركة صفين ، اذ رأى جماعة من أتباع علي الذين كانوا يحاربون الى جانبه بأن التحكيم خدعة من معاوية ورجاله ، فرفضوا حكم الرجال ، ونادوا بأن الحكم لله وحده[٢٢] .

والخوارج ليسوا بشعراء ، بل هم بالدرجة الاولى محاربون أشداء ، ولعل ما قالوه من شعر حسب ما وصل الينا ما هو الا خدمة لمذهبهم وافكارهم الدينية والسياسية ، لذا هو في أغلبه يتحدث عن الحروب التي خاضوها ، وصفا لها ، أو وصفا لشجاعتهم واقدامهم ، ورثاء لابطالهم ، وفخرا بقدراتهم وصبرهم ؛ لذا دار معظم شعرهم حول شجاعتهم وحبهم للموت وايثارهم للآخرة ونبذهم للدنيا ، فهو في معظمه شعر حماسي ، وهذا أمر طبيعي فالشعر انعكاس لحياة صاحبه وفكره واهتمامه، هكذا كانت حياة الخارجي ، وهكذا كانت اهتماماته وفكره ، فالبطولة هي النقطة المحورية التي تدور حولها ، بل تنطلق منها جميع القيم ، وتلتقي عندها كل الفضائل .

ويعد شعر الخوارج أصدق أدبية لمذهب ديني سياسي[٢٣] ، فهم أصحاب حزب له رأي خاص في نظام الخلافة ربما كان أقرب الاحزاب السياسية الى روح الاسلام ، وقد قدّموا مهجهم في سبيله لم يوقفهم عن

---

(٢١) قنصوة (صلاح قنصوة) ، نظرية القيم في الفكر المعاصر ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت ، ص ١٩٧ .

(٢٢) حسين (عبدالرزاق حسين) ، شعر الخوارج ، دار البشير، عمان ، ط١، ١٩٨٦ ، انظر ص ٤٩ وما بعدها .

(٢٣) الشايب (احمد الشايب) ، تاريخ الشعر السياسي الى منتصف القرن الثاني الهجري ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة،ط ٥ ، ١٩٧٦،ص٢٠٤ .

ذلك صد الامويين لهم ، او المحاولات الكثيرة لاستئصالهم ، بل كانوا كلما قضي على جماعة منهم خرجت جماعة اخرى ، مما أقلق الدولة الاموية ، وساهم في خرابها ، ومن ثم زوالها • وقد كان فيهم عدد كبير من الشعراء قاموا بتسجيل كل ما يخص هذا الحزب في المجال الحربي ، وفي المجال القيمي الانساني ، فجاء شعرهم صورة معبرة عن حالهم ، وصورة حقيقية لواقعهم في معاشهم ، وفي سلوكهم ، وفي عقيدتهم وقيمهم •

ولعل من أهم قيم الخوارج المساواة والديموقراطية فعلى أساس منهما قام هذا الحزب حتى لم يأنفوا ان يجعلوا على رأسهم خليفة من الموالي ، ولم يفرقوا بين عربي ومولى منذ ذلك التاريخ البعيد • ومن قيم الخوارج الانسانية ايضا :

الثبات على المبدا

عرف عند الخوارج صلابة في المبدأ وثبات عليه قلما وجدت في عصر من العصور ، فعلى الرغم من كل الحروب التي خاضوها ، وكل تشدد السلطان معهم ، ومحاولة قمعهم وقتلهم والتمثيل بهم الا انهم استمروا على مبدئهم من رفض التحكيم ، ورفض حكم الامويين وغيرهم • ذلك انهم رأوا ان الحياة الدنيا لا تساوي شيئا مقارنة مع الآخرة ، بل اكثر من ذلك رأوها دار ضلال يحسن الخلاص منها سريعا ، بل كرهها بعضهم كرها شديدا ، وتمنوا الموت • قال كعب بن عميرة :

لقد فاز اخواني فنالوا التي بها	نجوا من عذاب دائم لايفتر
أبى الله إلا أن أعيش خلافهم	وفي الله لي عز وحرز ومنصر
ويارب هب لي ضربة بمهند	حسام اذا لاقى الضريبة يهبر
فقد طال عيشي في الضلال وأهله	أخاف التي يخشى التقي ويحذر
أخاف صروف الدهر اني رأيتها	تروح على هذا الأنام وتبكر[٢٤]

(٢٤) الخوارج ، شعر الخوارج، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت، ١٩٢٣ ، م١/ص٥ •

لقد آمن الخارجي بسعادته في الحياة الآخرة كما آمن بأن الدنيا دار شقوة وعذاب ، وبالتالي ، فهو يعد كل العدة للحياة الدائمة الخالدة ، وما جهاده ونضاله في وجه الشر والظلم الا واحدة من الوسائل الهامة التي يرجو من خلالها رضى الله سبحانه وتعالى والفوز بالجنة . قال فروة بن نوفل غير مبال بالدنيا ولا بالموت ، او التمثيل بالجسد الفاني بعد الموت :

ما إن نبالي اذا أرواحنا قبضت ماذا فعلتم بأجساد وأبشار
تجري المجرة والنسران بينهما والشمس والقمر الساري بمقدار
لقد علمت وخير العلم أنفعه ان السعيد الذي ينجو من النار[٢٥]

ويوضح أبو بلال بن مرداس سبب كرهه للحياة بما أظهره الولاة من الجور ، واجماعهم على ظلم أهل الحق . قال :

إلهي هب لي زلفة ووسيلة اليك فاني قد سئمت من الدهر
وقد أظهر الجور الولاة وأجمعوا على ظلم أهل الحق بالغدر والكفر
وفيك إلهي أن أردت مغير لكل الذي يأتي الينا بنو صخر
فقد ضيقوا الدنيا علينا برحبها وقد تركونا لا نقر من الذعر[٢٦]

وهو في قصيدته يعلل كرهه للدنيا وحبه للموت والحرب ، فالحياة في ظل الحاكم الجائر هي دار خطيئة اذ لن ينجو احد من الصيد أو الذبح على حد قوله ، ولما كان القتل في سبيل الله أفضل من ان ينتظر الانسان الموت ليصاد كالطير الغافل ، أو ليذبح مثل نعجة ضعيفة ، فان من باب أولى أن يسارع الانسان الى الموت ، وهو محتفظ بكرامته .

ان التاريخ السياسي للخوارج بدأ عقب صفين حين أنكروا التحكيم وانحازوا الى (حروراء) ، فخالفوا علياً وخرجوا عليه ، وثبتوا على رأيهم

---

(٢٥) المصدر السابق ، م٣/ص٥ .
(٢٦)نفسه م١٦ / ص ١١ .

هذا على الرغم من كل محاولات ردهم عنه[٢٧] ولكن من الظلم للخوارج أن نرجع ظهورهم الى أزمة التحكيم فحسب ، لانهم يمثلون تيارا أصيلا في طبيعة تطور الدين ، وهو التعبير العميق والشعور الصادر عن النفوس الشديدة الايمان بازاء تباين التطبيق عن النظر الذي جاء به الدين الحق[٢٨] .

ان كثرة الحروب التي خاضها الخوارج تؤكد ثباتهم على مبدأهم من ضرورة رفض حكم الامويين ومحاربة كل الخارجين عن الحق ، وقد اختلفوا في مواقفهم من الحرب ، فمنهم من كان معتدلا في ذلك يكره أن يسفح دما حراما ، ولا يقاتل الا من يعتدي عليه الا أنهم يتفقون جميعا على أن الحكم يجب أن يكون لله لا للرجال ، قال عروة بن نوفل في ذلك :

كرهنا أن نريق دماً حراماً	وهيهات الحرام من الحلالِ
وقلنا في التي (...) بقول	معاذَ الله من قيلٍ وقالِ
نقاتل من يقاتلنا ونرضى	بحكم الله لا حكم الرجالِ
وفارقنا أبا حسنٍ عليّاً	فما مِن رجعة أخرى الليالي
فحكّم في كتاب الله عَمْراً	وذلك الأشعري أخا الضلال[٢٩]

كان الخارجي يشعر بأن حياته قد طالت ، وأنه اشتاق الى الفردوس ، والى من سبقوه اليها ، فيبحث عن موقف يبيع من خلاله نفسه لقاء الجنة ، وليس من وسيلة أفضل من خوض المعركة . قال الرهين بن سهم المرادي :

يا نفس قد طال في الدنيا مراوغتي	لا تأمننَّ لصرف الدهر تنغيصا
إني لبائع ما يفنى لباقية	إن لم يُعقني رجاء العيش تربيصا

(٢٧) انظر تفاصيل ذلك في تاريخ الشعر السياسي الى منتصف القرن الثاني الهجري ، ص ٢١٠–٢١١ .

(٢٦) نفسه م١٦/ص١١ .

(٢٧) انظر في ذلك في تاريخ الشعر السياسي الى منتصف القرن الثاني الهجري، ص ٢١٠ – ٢١١ .

(٢٨) القاضي (النعمان القاضي) ، الفرق الاسلامية في الشعر الاموي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٢١٥ .

(٢٩) شعر الخوارج، م٤/ص ٦ .

وأسأل الله بيع النفس محتسباً حتى ألاقي في الفردوس حُرقوصا
وابن المنيح ومرداساً وإخوته اذ فارقوا زهرة الدنيا مخاميصا
تخال صفّهم في كل معترك للموت سوراً من البنيان مرصوصا[٣٠]

ان موقف الخوارج من الموت مختلف عن نظرة الاخرين له ، فنحن لانرى عندهم خوفا منه أو جزعا ، ولا نرى شكوى من الزمن الذي اعتبر سبب الفناء أو الموت .. الى غير ذلك من قضايا الزمن والموت التي قد نراها عند كثير من الشعراء[٣١] ، بل هو عندهم تجربة حية ذاتية يحياها الانسان الخارجي لحسابه الخاص ، فالخارجي مؤمن بحتمية الموت ، وبالتالي ان كان لابد منه عاجلا أم آجلا ، وبما انه ليس بضامن لحياته الدنيوية لا في ديمومتها ولا في نوعيتها ، فليضمن الآخرة بديمومتها ونوعيتها ، وبالتالي هو يسارع الى قهر الموت بضمان الحياة الخالدة في الآخرة ، والى قهر الشر والظلم والضلال بضمان الخير والعدل في الآخرة ، وفي هذا فلسفة توضح رؤية الانسان الخارجي في جدله مع عالمه ، فهي مبنية على أسس دينية اسلامية صرفة ، فاتخذ من مقولة الموت منطلقا لسلوكه ، وكان لرؤيته للوجود والحياة، والفناء والموت أثر كبير في تشكيل قيمة وابداع نماذجه الانسانية التي تبدو في كثير من صورها محاولة لقهر العجز الانساني ، وهي صورة أخرى للانسان وحضوره في مقابل صورة الانسان الآخر المقهور فريسة للدهر ، انها بالنسبة للخارجي صورة الانسان المنتصر في ميدان القتال على الموت والظلم[٣٢] .

(٣٠) المصدر السابق ، م ٦١/ص ٣٢-٣٣ .
(٣١) انظر شحادة (عبدالعزيز محمد شحادة) الزمن في الشعر الجاهلي ، مكتبة حمادة للخدمات والدراسات ، اربد - الاردن ، ١٩٩٥ ، ص١١٩ ، وما بعدها .
(٣٢) يوسف (حسني عبدالجليل يوسف) الانسان والزمان في الشعر الجاهلي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ١٤٨ .

هذا أسلوب آخر في مواجهة الموت والطغيان ، فقد أدرك الخارجي أن الموت هو الحقيقة الوحيدة التي لايرقى اليها الشك ، ولكنه استطاع في الوقت نفسه أن يميط اللثان عنه بتعريته من حقيقة الخوف والفزع ، والقلق الدائم من قدومه ، فصرعه وتخلص منه قبل أن يعمد هو ؛ أي الموت الى صيده والخلاص منه ؛ لذا نراهم يقتربون من وجهة نظر الوجوديين في الموت ؛ لانهم حين يتحدثون عنه لايتجهون بأبصارهم نحو مشاهد الشيخوخة والمرض واختناق النفس والحشرجة والاحتضار وتوقف ضربات القلب[٣٣] ، بل هم يصوبون أنظارهم نحو «أسلوب» الانسان الخارجي في مواجهة الموت والسعي له ، وتقبله مقتنعا مؤمنا بضرورته حتى يتحول عنده الى مذاق جميل كالعسل • قال البهلول بن بشر الشيباني :

من كان يكره أن يلقى منيته ... فالموت أشهى الى قلبي من العسل
فلا التقدم في الهيجاء يعجلني ... ولا الحذار ينجيني من الأجل[٣٤]

ويشبهه قول الاعرج المعني الذي يعرّف الخوارج بأنهم (بنو الموت)• قال :

أنا أبو برزة إذ جدّ الوهل ... خلقتُ غير زملٍ ولا وكل
ذا قوة وذا شباب مقتبل ... لا جزع اليوم على قرب الأجل
الموت أحلى عندنا من العسل ... نحن بني ضبّة أصحاب الجمل
نحن بنو الموت اذا الموتُ نزل ... ننعى ابن عفان بأطراف الأسل[٣٥]

وقال الضحاك بن قيس في رثائه لسعيد بن بهلول يسأل الله الموت :

سقى الله ياخوضاء قبراً وحشوهُ ... اذ رحل الشارون لم يترحل
فيا ملحق الأرواح هل أنت ملحقي ... بموتى مضى فيهم سعيدُ بن بهدل[٣٦]

---

(٣٣) ابراهيم (زكريا ابراهيم) ، مشكلة الانسان ، دار مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، د.ت ، ص ١١٨•
(٣٤) شعر الخوارج ، م١٤٠/ص ٧٣ .
(٣٥) المصدر السابق ، م ١٧٧/ / ص ٩٥ .
(٣٦) نفسه ، م١٦٢/ ص ٨٢ .

ولعل الذي يطيب بهم طعم الموت مزجه بالذكر كما قال أحدهم :

وإن كريه الموت عذاب مذاقه ... اذا ما مزجناه بطيب من الذكر(٣٧)

وموقف الخوارج هذا موقف غريب لم نعهده عند العرب على هذه الشاكلة ، فعلى الرغم من كل ما عرفناه عن صمود العربي وشجاعته وبسالته في ساحات الوغى ، فان النفس تكره القتال وتعافه ، وتبعد عنه ما استطاعت الى ذلك سبيلا وقد أطلقت العرب على الحرب أسماء كثيرة توحي بكراهيتها لها مثل الكريهة ... ، وقد تصمد وتصبر ان كان لابد من ملاقاته دفاعا عن النفس ، أو الشرف أو الحقوق الانسانية من طعام وماء . قيل لعنترة ، أنت أشجع العرب وأشدها ؟ قال : لا . قيل : فبماذا شاع لك هذا في الناس؟ قال : كنت أقدم اذا رأيت الإقدام عزما ، وأحجم اذا رأيت الإحجام حزما ، ولا أدخل إلا موضعا أرى لي منه مخرجا ، وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثني عليه فأقتله(٣٨) .

لكن الخارجي كان يفعل أكثر من ذلك بكثير ، فهو يسعى الى الموت سعيا حثيثا ، بل يتمناه حقيقة ، وما كان ذلك ليصدر عنه لولا ايمانه القوي بمبدئه وثباته عليه . فايمانه جعله يؤمن بضرورة السعي للفوز برضى الله سبحانه وتعالى ، والجنة ، فطالما أن الدنيا دار غرور ، لايوجد فيها غير الظلم والضلال واختلال القيم الانسانية ، لم يبق أمامه سوى السعي للوصول الى الدار الآخرة بحثا عن دار خالدة يجتمع فيها مع الابرار والاتقياء وذوي القيم الانسانية العالية التي أكد الخارجي ضرورة تواجدها عند الانسان المؤمن التقي . قال الحويرث الراسبي يرثي صالح بن مسرح التميمي :

اقول لنفسي في الخلاء ألومها ... هبلت دعيني قد مللت من العمر

ومن عيشة لا خير فيها دنيئة ... مذممة عند الكرام ذوي الصبر

(٣٧) نفسه ، م٢٢٨ / ص ١١٨ .

(٣٨) الاصفهاني (ابو الفرج الاصفهاني) ، الاغاني ، دار احياء التراث ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ج٨ ، ص ٢٤٤ .

سأركب حوباء الامور لعلني ألاقي الذي لاقى المحرق في القصر[٣٩]

والقتل في ساحة الوغى عند الخارجي يحقق له المجد ، لذا نراه يذهب الى الحرب بصدر رحب ، وكأنه يستقبل عزيزا أو حبيبا يشتاق اليه كثيرا ، فلقد غلب على الانسان الخارجي الميل الى الحرب ، والاقتتال باستمرار حتى شهر بها ، قال الأصم الضبي وهو قيس بن عبدالله :

وإنا لخواضون للموت غمرة على كل موار رقاق ملاطمه
وإنا لتردي بالأكف رماحنا ويبني بها من كل مجد مكارمه
اذا ذعرت ذات الرماح جرت لنا أيأمن بالطير الكثير غنائمه[٤٠]

لذا تراهم يبيعون في سبيل الجنة كل غالٍ ونفيس من الاهل والولد، ومن هنا كانوا يسمون بالشراة ؛ لانهم شروا أنفسهم ، أي باعوها في سبيل الله ، وقد اتخذوا هذا الاسم من الآية الكريمة التي تقول : «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله »[٤١] . قال الصحاري بن شبيب :

لم أرد منه الفريضة إلا طمعاً في قتله أن أنالا
فأريح الارض منه وممن عاث فيها وعن الحق مالا
كل جبارٍ عنيده أراه ترك الحق وسنّ الضلالا
إنني شارٍ بنفسي لربي تارك قيلا لديهم وقالا
بائعٌ أهلي ومالي أرجو في جنان الخلد أهلاً ومالا[٤٢]

وحتى يحققوا مرادهم من الموت فقد دعوا الى الحرب بشدة وباصرار نادرين ، وتنادوا لها في كل وقت ولبوها مسرعين .

ان أنفة الخارجي وكبرياءه جعلناه يتمنى أن يقف في وجه عدوه ليقتله ، ويشفي نفسه من كل ما لحقه ولحق جماعته من خوف أو طرد أو

---

(٣٩) شعر الخوارج ، م١١٦/ ص ٦٠-٦١ .
(٤٠) المصدر السابق ، م١٠٩/ص٥٧.
(٤١) سورة البقرة ، آية ٢٠٧ .
(٤٢) شعر الخوارج ، م١٣٨/ ص٧٢-٧٣ .

قتل ، فالخارجي قلما يتسامح مع عدوه ، والاسلوب الامثل في التعامل معه لايكون الا بمهاجمته في ساحة المعركة وقتله لايهمه في ذلك شيء مهما بلغ .

والخارجي لايعتمد سوى على ذراعه في النجاة من الكرب . قال أبو الوازع الراسبي يحض نافع بن الازرق على الخروج :

لسانك لاتُنكي به القوم إنما تنال بكفيك النجاة من الكرب
فجاهد أناساً حاربوا الله واصطبر عسى اللهأنيخزيغوي بنيحرب(٤٣)

ان ظاهرة الامعان في القتل ، وكثرة خوض الحروب عند الخوارج ظاهرة بحاجة الى تفسير ، ولعل فيما ذهب اليه أنصار المدرسة الاجتماعية الفرنسية حين نظروا الى « الظاهرة الخلقية » على أنها واقعة حتمية ضرورية ، يمكن التعرف على أسبابها بالرجوع الى الظروف الاجتماعية التي أحاطت بهذا المجتمع أو ذاك في هذه الحقبة التاريخية أو تلك تعين على ذلك ، فالظاهرة الخلقية في نظر علماء الاجتماع الخلقي «واقعة موضوعية» تتصف بالشيئية والضغط والجبرية كغيرها من الظواهر الاجتماعية الاخرى ، ولكنها في الوقت نفسه ظاهرة نوعية تحتل في صميم الحياة الجمعية مكانة خاصة لما لها من سلطة وإلزام وقدسية(٤٤) .

لقد جاء الإسلام بنظام اجتماعي وسياسي واقتصادي مثالي للعرب استفاد منه الضعفاء والفقراء أكثر من غيرهم ، وبعد وفاة الرسول عليه السلام ، وتولي الخلفاء الراشدين الخلافة ، حافظوا على كثير من أسس هذا النظام لاسيما في عهد أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، ولكن سرعان مابدأت الامور تختلف منذ زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، وانتهى الامر الى قتله ، ونشوب الفتن المتتالية ، مما جعل جماعات كثيرة تجتمع حول علي بن أبي طالب لعله يكون المخلص لهم ، ولكن لما قبل بالتحكيم خرجت جماعة الخوارج عليه ، واستمر هؤلاء على موقفهم

(٤٣) المصدر السابق ، م٦٤/ ص ٣٣ .
(٤٤) المشكلة الخلقية ، ص ٧٨ .

بعد مقتل علي ، فوقفوا في وجه حكام بني أمية وقفة صارمة ، وحاربوهم بشراسة ، فالظروف السياسية من جعل الخلافة وراثية في بني أمية ، وما صاحب ذلك كله من سيطرة تامة على أموال الامة ومقدراتها ومراكزها السياسية والعسكرية شكّل صدمة كبيرة في المجتمع الاسلامي الذي أفاق من نومه المريح القصير الذي حلم فيه بالمساواة والعدل والامان المادي والنفسي ليجد أن كثيرا من مكتسبات هذاالدين ذهبت أو كادت ، فالامويون يريدون الخلافة قرشية عبشمية ، والشيعة يريدونها قرشية هاشمية ، والزبيريون يريدونها قرشية عامة ، وجميعهم في نظر الخوارج خالفوا شرع الله ، وحكم القرآن الذي رآها تجوز لأفضل المسلمين ولو كان عبدا حبشيا .

ولا شك في أن العقيدة الدينية غذت هذا عندهم بما وعدت المؤمن الذي يدافع عن حقوقه ، ويقف في وجه الظلم والطغيان بالجنة فضلا عن أن كثيرا منهم جاؤوا من مجتمعات بدوية اعتادت حياة الحرب والفروسية لذا حاول الخوارج ترسيخ مفهوم البطولة في مقاتلتهم لخصومهم ، وخوض المعارك الحاسمة مهما كلفتهم من تضحيات ؛ لانهم يعلمون أنهم في صراع من أجل الوجود ، من أجل تثبيت حقوقهم التي اكتسبوها من الدين الجديد الذي أملوا من دخولهم فيه كل خير ومساواة ، وأمان مادي ونفسي ، وثبتوا على موقفهم هذا ثباتا شديدا رغم كل محاولات قمعهم والخلاص منهم .

الصبر

تحتاج الحرب أكثر ما تحتاج الى الصبر ، والخوارج له ، فهم صابرون مرابطون ، فالصبر أحد القيم الانسانية المهمة التي برزت في حياة الخوارج وأشعارهم ، ولعل صبرهم يتناسب مع شدة ايمانهم بمبدئهم الذي عاشوا دفاعا عنه ، وماتوا في سبيله دون خوف أو فزع من نار الحرب وويلاتها .

قال نجدة بن عامر الحنفي :

وإن جرّ مولانا علينا جريرة ... صبرنا لها ، ان الكرام الدعائم(٤٥)

---

(٤٥) شعر الخوارج ، م٦٣/ ص ٣٣ .

وقال قطري بن الفجاءة في قصيدة له :

فلن تهزموه بالمنى فاصبروا له   وقولوا لأمر الله أهلاً ومرحبا
فما الدين كالدنيا ولا الطعن بالقنا   ولا الضر كالسرّ ولا الليث ثعلبا(٤٦)

وتبرز قيمة الصبر وضرورتها ، وتمسك الخوارج بها من خلال وصف المعارك الضارية التي كانوا يخوضونها الواحدة تلو الاخرى . قال ابو بلال بن مرداس بن أدية :

اذا جشأت نفس الجبان وهللت   صبرنا،ولو كان القيام على الجمر(٤٧)

والواقع ان الحرب قد حببت الى نفوس العرب من قبل الإسلام خصال الشجاعة والنجدة والبأس والقوة ، وهي صفات حميدة تتنافى وصفات الخور والضعف والجبن والهلع ، فكانوا يتمادحون بالموت في الهيجاء وميادين الحروب قطعا بأطراف الرماح ، أو سقوطا تحت ظلال السيوف(٤٨) . وبالتالي فلا غرابة ان نجد مثل هذا عند الخوارج مع ما عرفوا عنه من نذر نفوسهم للموت ، ومع ما عرفوا عليه من شجاعة وحب للقتال ، بل تهافت كثير منهم عليه . قال قطري بن الفجاءة :

فصبراً في مجال الموت صبرا   فما نيل الخلود بمستطاع(٤٩)

وقال معاذ بن جوين :

مشيحاً بنصل السيف حمس الوغى   يرى الصبر في بعض المواطن أمثلا(٥٠)

وقال آخر :

ومن يخش أظفار المنايا فاننا   لبسنا لهن السابغات من الصبر(٥١)

---

(٤٦) المصدر السابق ، م ٩٣/ ص ٤٩ .
(٤٧) نفسه ، م١٦/ص ١١ وانظر كذلك م١٩ / ص ١٢–٢٣ .
(٤٨) القيسي (نوري حمودي القيسي) ، الفروسية في الشعر الجاهلي ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ٩٠ .
(٤٩) شعر الخوارج ، م٨٢ / ص٤٣ .
(٥٠) المصدر السابق ، م١١ / ص٩ .
(٥١) نفسه ، م٢٢٨ / ص ١١٧ .

ان شعر الخوارج يتسم بالجزالة والقوة اذ انعكست فيه صلابتهم وحماستهم وقوتهم ، ومجال شعرهم السياسية الدينية[٥٢] . قال عبيدة بن هلال اليشكري مؤكدا قصر أعمار الخوارج ؛ لانهم يعيشون حياة حرب دائمة ، فهم جاهزون للموت صابرون مرابطون دائما في كل حال ؛ لانهم يخرجون من حرب فيدخلون في أخرى :

ومسموم للموت يركب ردعه   بين القواضب والقنا الخطّار
يدنو وترفعه الرياح كأنه   شلو تنشّب في مخالب ضار
فثوى صريعاً ، والرماح تنوشه   ان الشراة قصيرة الأعمار[٥٣]

أما حبيب بن خدرة الهلالي ، فقد قال قصيدة يصف مشاركته في كتيبة كثيفة ، وهو وزملاؤه يسارعون الى الموت يتسابقون اليه بأطراف الرماح مؤكدا على كرم أخلاقهم وتمسكهم بقيم الصبر والثبات والبطولة . قال :

هل أتى فائد عن أيسارنا   إذ خشينا عن عدو خُرُقا
إذ أتانا الخوف من مأمننا   فطوينا في سوادٍ أفقا
وسلي هديةَ يوما هل رأت   بشراً أكرم منا خلقا
وسليها أعلى العهد لنا   أو يصرون علينا حنقا
ولكم من خلّة من قبلها   قد صرمنا حبلها فانطلقا
قد أصبنا العيش عيشا ناعما   وأصبنا العيش عيشا رنقا
وأصبتُ الدهر إذ لا أشتهي   طبقاً منه وألوي طبقا
وشهدت الخيل في ملومة   ما ترى منهن إلا الحدقا[٥٤]

---

(٥٢) الحوفي (احمد محمد الحوفي) ، ادب السياسة في العصر الاموي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ط٥ ، ١٩٧٩ ، ص٢٢٦-٢٢٧ .
(٥٣) شعر الخوارج ، م ٩٨/ص ٥٢ .
(٥٤) المصدر السابق ، م ١٥٥/ ص ٧٩ .

هناك علاقة واضحة بين الدين والقيم عند الخوارج اذ أن للقيم الدينية تأثيرا عظيما على أنساق القيم الاخرى ، فالقيم السياسية عندهم مؤسسة في كثير من الاحيان على القيم الدينية ، والحرب لها جزاء ديني وتعتبر واجبا دينيا(٥٥) ، ولعل هذا الذي دفع الخوارج الى التشبث بالحرب والصبر على ويلاتها تعبيراً عن قيم دينية أصبحت راسخة في أذهانهم وعقيدتهم ملخصها انه لابد من تحكيم كتاب الله في الخلافة وولاية أمر المسلمين ، ولتحقيق ذلك لابد من قتال الرافضين لهذا المبدأ أو المنكرين له مهما كلف ذلك ، فهؤلاء يمثلون الظلم والجور هم وولاتهم وكل من يحارب في صفهم ؛ لذا فان من يراقب رغبة الخوارج واصرارهم على الحرب والموت وصبرهم على ذلك ، لابد أن يدرك ان وراء ذلك قيما دينية تعمقت نفوسهم ، وظهرت في أقوالهم وأفعالهم • ولعل هذا يؤكد ان الدين الإسلامي هو مصدر كثير من القيم عند الخوارج ، أو في الاقل يمكن القول بأن نسق القيم عند الخوارج في كثير من الاحيان مؤسس على الدين •

البطولة

شجاعة الخوارج وفروسيتهم تعد احدى أساطير البطولة في التاريخ العربي ، فهي شجاعة منقطعة النظير تشبه ما يسمى في أيامنا هذه بالهجمات الانتحارية على الخصم ، وما كان هذا ليكون لولا شدة ايمانهم بمبدئهم وثباتهم عليه ، وحسن ظنهم بما سيلاقونه من نعيم عند الله سبحانه وتعالى ، انها محاولة لتعجيل الآخرة ، ولو كان القيام على الجمر ، وهم يتلقون القنا بنحورهم ، وبهاماتهم يتلقون كل سيف بتار ، قال أبو بلال مرداس بن أدية :

فلسنا إذا جمّت جموع عدونا ... وجاءوا الينا مثل طامية البحر
نكف إذا جاشت الينا بحورهم ... ولا بمهايب نحيد عن البتر

---

(٥٥) انظر علم اجتماع القيم ، ص ١٨٣.
(٥٦) شعر الخوارج م١٦ ، ١١ وانظر كذلك م/١٥٥ ص ٧٩-٨٠ .

ولكننا نلقى القنا بنحورنا وبالهام نلقى كل أبيض ذي أثر
اذا جشأت نفس الجبان وهللت صبرنا، ولو كان القيام على الجمر[٥٦]

ويؤكد الشاعر الخارجي شجاعته في مواقف متعددة ، ومنها عدم التفكر في أمر جسده بعد موته ، وكل ما يمكن أن يحل به من تمثيل ، لانه مؤمن بأن روحه ستصعد الى الجنان ، ولما كان مؤمنا بقدره ، وبحسن الثواب عند الله سبحانه وتعالى ، فهو لايعرف خوفا أو اندحارا ، بل شجاعة وتقدما . قال أبو بلال مرداس بن أدية أيضا :

ما إن نبالي اذا أرواحنا خرجت ماذا فعلتم باجساد وأوصال
نرجو الجنان اذا صارت جماجمنا تحت العجاج كمثل الحنظل البالي
إني امرؤ باعثي ربي لموعده اذا القلوب هوت من خوف أهوال
وأدّت الارض مني مثل ما أخذت وقربت لحساب القسط أعمالي
نفسي فنون ولست الدهر آمنها من بعد كعب وطوّاف وغسال[٥٧]

وبعضهم كان يخرج راجلا لمحاربة السلطان مفتخرا ، ومعبرا عن شجاعة عظيمة ، وعدم خوف من موت محقق . قال حيي بن وائل :

أما أقاتل عن ديني على فرس ولا كذا رجلا إلا باصحاب
لقد لقيت إذن شرا وأدركني ما كنت أزعم في خشمي من العاب[٥٨]

فالخارجي أكثر ما يمدح به شجاعته ، فهي عنوان وجوده ودليل صدقه ، وصفة تميزه عن غيره . قال عمران بن حطان يصف رجلا من الخوارج ، وأن أمه قد أنجبت بولادته حيث جاءت به كشبا الحديد ، وهو حاذق فهم مشمر للحرب، لايثبت على ظهر دابته ، دائم الاستعداد للمعركة ، لايلهيه شيء عنها ، وسيفه حاضر للضرب دوما ، وهو يختار أدوات الحرب بدقة وذكاء اختيار العارف الخبير :

قد أنجبته وأشبته وأعجبها لو كان يعجبها الإنجاب والحبل

---

(٥٧) المصدر السابق ، م١٤/ ص ١٠ .
(٥٨) نفسه ، م ١٦٨ / ص ٩١ .

تقف حويد مبـين الكف ناصعـه ... لا طائش الكـف وقّاف ولا كفل
لم تلهه إربـة عـن رمي أسهمـه ... وسيفه لا مصـاباة ولا عطـل
عرّى الركـاب التي قد كان يعملها ... واختار أجـرد صهـالا له خُصل
كأنـه فِلكـة في كـف فارسـه ... اذا جرى وهو حامي العقب منسحل
يمشي بشكتـه في القوم مشتـرف ... كأنـه قـارح بالـدوّ مبتقـل
يثنـي الجبـال بجـوزٍ تم محزمه ... منـه فلا سخف فيـه ولا رهـل
وحارك مثل شـرخ الكور مـرتفع ... وليس في صُلبـه ضعف ولا عصل
طـوع القياد وأي تقريبه خـذمٌ ... أقبٌ كالسيـد لا رطـل ولا سغل
حتى كـأنٌ بعرشيـه ومحزمـه ... أشطان بئـر متوح غربها سجل[٥٩]

وتتبدى شجاعة الخارجي أكثر في ساحة المعركة، فهم دائمو الاستعـداد لملاقاة الموت نهارهم جلاد ، وليلهم سهاد حيث يبيتون محصنين بسلاحهـم ، ومن كان حاله كذلك فلابد ان ينشغل عن أمور الدنيا بمـا في ذلك غنائـم الحروب ، لان هول المعركة بما فيها ضرب السيوف ، وتطاير الرماح ،وأكوام القتلى تنسيه كل شيء . قال يزيد بن حبناء مخاطبا زوجته مبينا لها طبيعـة الخوارج وصفاتهم وهمومهم وطموحاتهم :

ولا تعذلينـا في الهديـة ، إنمـا ... تكون الهدايا من فضـول المغانـم
فليس بمهـد من يكـون نهـاره ... جلاداً ويُمسي ليلـه غـير نـائم
يريد ثـواب الله يـوماً بطعنـة ... غمـوسٍ كشدق العنبري ابن سالم
أبيتُ وسربالـي دلاص حصينـة ... ومغفرها والسيف فـوق الحيـازم
حلفتُ بـرب الواقفـين عشيـة ... لـدى عرفات حلفـة غـير آثـم
لقد كان في القـوم الذيـن لقيتهم ... بسابور شغـل عن بزور اللطائـم
توقـد في أيديهـم زاعبيـة ... ومرهفـة تفـري شـؤن الجماجم
ترى الخيل تردي بالتجافيف بينهم ... بفرسانها ، مـر النسـور القشاعم

---

(٥٩) نفسـه ، م٥٠/ص٢٧ ، وانظر كذلك م١٦١/ص ٩١ .

اذا انتطحت منا كراديس غادرت	جراثيم صرعى للنسور القشاعم
ولم أكُ مشغولا بسابور عنكم	وبالسفح إذنغشى صدور الغواشم[٦٠]

فالخارجي فضلا عن شجاعته عفيف لايدخل الحرب من أجل الاسلاب والغنائم وهذه أخلاق الفرسان من العرب ، وأخلاق المجاهدين في سبيل الله؛ لأنه يبغي غنيمة أسمى من كل اسلاب الدنيا . وهو يفتخر بقيمه هذه ، والفخر بالقيم العظيمة هو من موضوعات شعر الفروسية ؛ لانه يمثل تطلع النفس الى ذاتها، والوسيلة التي يستثير بها مفاخره وذكريات أيامه ، فالفخر في هذا الموضع يُعد الخط الاول للهجوم يرهب به الخصم عدوه ، ويضعف به معنوياته ، وهو يتخذ معانيه من جانب المفتخر نفسه أو جماعته بخلاف الهجاء الذي يصدر عن نفس ساخطة ، ويتخذ مادته من جانب المهجو أو قومه أو حزبه[٦١] .

والخوارج مبرؤون من كل عيب ، مكارمهم كثيرة ، وأخلاقهم عظيمة ، كرماء في تقديم نفوسهم دفاعا عن مبادئهم وقيمهم . قال عمر بن الحصين العنبري :

ومبرئين من المعايب أحرزوا	خصل المكارم أتقياء أطايب
عروا صوارم للجلاد وباشروا	حدَّ الظباة بأنفٍ وحواجب
ناطوا أمورهم بأمر أخ لهم	فرمى بهم قحم الطريق اللاحب
متسربلي حلق الحديد كأنهم	أُسد على لحق البطون سلاهب
قيدت من أعلى حضرموت فلم تزل	تنفي عداها جانبا عن جانب
تحمي أعنتها وتحوي نهبها	للهِ أكرم فتية وأشايب
حتى وردن حياض مكة قطبا	يحيكن واردة اليمام القارب
ما إن أتين على أخي جبريةٍ	إلا تركنهم كأمس الذاهب

(٦٠) نفسه ، م ٧٠/ ص ٣٦-٣٧ .

(٦١) الفروسية في العصر الجاهلي ، ص ٢٤٣ .

في كل معترك لها من هامهم قلق وأيدٍ علقت بمناكب
سائل بيوم قديد عن وقعاتها تخبرك عن وقعاتها بعجائب[٦٢]

لقد كان الخوارج يخرجون في فئات قليلة مقارنة بجيوش السلطان ، لكن شجاعتهم وايمانهم كانا يعوضانهم عن قلة العدد ، فيحققون النصر كما حدث في موقعة أسك المشهورة ، فقد غلب الخوارج وعددهم ستة وثلاثون رجلا جيشا أمويا عرموما • قال عيسى بن عاتك الخطي :

فلما أصبحوا صلوا وقاموا الى الجرد العتاق مسومينا
فلما استجمعوا حملوا عليهم فظل ذوو الجعائل يقتلونا
بقية يومهم حتى أتاهم سواد الليل فيه يراوغونا
يقول بصيرهم لما رآهم بأن القوم ولوا هاربينا
أألفا مؤمن ــ فيما زعمتم ــ ويهزمهم بأسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة غير شك على الفئة الكثيرة ينصرونا[٦٣]

ولما كان سلاح الخارجي أهم مقومات حياته ، وصديقه الملازم له ليلا نهارا ، فقد ركز على صفاته الايجابية من قوة وحدة ، فلقد كانت عدته في المعركة رمحا عظيما ، وسيفا قاطعا ، ودرعا حصينة ، وفرسا سريعة • قال عمر القنا العنبري مؤكدا اكتفاءه من الدنيا بالدرع الحصينة ، والفرس النجيبة ليجاهد أعداءه :

لا خير في الدنيا لمن لم يكن له من الله في دار العنان نجيب
فحسبي من الدنيا دلاص حصينة وأجرد خوار العنان نجيب
أجاهد أعدائي اذا ما تتابعوا وأدعى باسمي للهدى فأجيب
معي كل أواه يرى الصوم جسمه ففي الجسم منه نهكة وشحوب[٦٤]

---

(٦٢) شعر الخوارج ، م١٦٦ /ص ٩٠.
(٦٣) المصدر السابق ، م ٢٣/ ص ١٤ .
(٦٤) نفسه ، م ٧١/ص ٣٨ ــ ٣٩ .

وقال يزيد بن حبناء :

ابيت وسربالـي دلاص حصينـة ومغفرها والسيف فوق الحيازم[٦٥]

أما ابو الوازع الراسبي ، فلا يريد من الدنيا سوى الله صاحبا وسيفا قاطعا حادا :

سأشري ولا أبغي سوى الله صاحبا وأبيض كالمخـراق عضب المضارب
فقد ظهر الجـور المبـير وأجمعت على ذلك أقوام كثيرو التكاذب[٦٦]

ويشبهه قول عطية بن سمرة الليثي الذي يكفيه هو الاخر من الدنيا الدرع الحصينة ورمح ، وفرس قوية ، وعشرة من الشراة ليحقق مراده فيشفي غليله من الولاة الطغاة . قال :

وحسبي من الدنيا دلاص حصينـة ومغفرها يومـا وصـدر قنـاة
واجرد محبـوك السـراة مقلـص شديد أعاليـه ، وعشـر شـراة
فأبلـغ منه حاجتـي وبصـيرتي وأشفي نفسي من ولاة طغـاة[٦٧]

ولا شك في أن قيم الخارجي اختلفت عن قيم كثير من الناس،وباختلاف الحاجات ، فلم يعد يطمح الواحد منهم الى المال او حوائج الدنيا التي تؤدي بالانسان الى الحياة اللينة السهلة ، وانما الخارجي يرى هذه الدنيا دار عبور الى الآخرة حيث الحياة الهانئة الخالدة ، وبالتالي هو يتزود من الدنيا بما يضمن له حسن الآخرة ، ولما كان الجهاد في سبيل الله ، ومحاربة الظلم والطغيان من الوسائل المضمونة والسريعة الى الآخرة لم يعد يهمه منها الا الحصول على أدواته من سلاح ، وارادة ، وشجاعة ، وايمان بالمبدأ ، وثبات عليه . ولم يكن هذا بالنسبة للخوارج من الرجال فقط ، بل كان الامر كذلك عند النساء

---

(٦٥) نفسه ، م ٧٠/ ص ٣٧.
(٦٦) نفسه ، م ٦٥ / ص ٣٤ .
(٦٧) نفسه ، م٦٠ / ص ٣٢ .

اللواتي لم يعد همهن اللباس والزينة والحلي وانما أمور اخرى ، فهـا هـي امرأة المختار ابن عوف تستبدل السيف بسوارها ، قالت :

أنا ابنة الشيـخ الكريـم الأعلـم   مـن سال عن اسمي فاسمي مريـم
بعـت سـواري بسيـفٍ مخـذم
أضرب قـوماً حبطـت أعمالهـم   والله مولانا ولا مولـى لهـم[٦٨]

وقالت أم حكيم :

أحمـل رأساً قـد سئمـت حمله   وقـد مللـت دهنـه وغسلـه
ألا فتـىً يحمـل عني ثقله[٦٩]

واذا كانت العقيدة أساس البطولة ، لانها القوة التي تهيمن على الفكر ، وعلى العزيمة ، وتتجه بهما الى اذاعتها وحمايتها ، فيرى البطل في عزة عقيدته عزته ، وفي قوتها قوته ، ولايطيق أن يعوق عقيدته معوق ، او ينـزل بهـا ضيم ، لان في المساس بها هدما لانسانيته وتقويضا لبطولته[٧٠]. فانه يندفع الى اذاعة عقيدته غير مبال بما يعترضه ، هكذا كان الخارجي يدافع عن عقيدته، وعن قيمهالدينية بكل ما أمكنه من طاقة وعزيمة مقدما في سبيلها كـل غالٍ ونفيـس .

والشجاعة لاتقتصر على ساحة المعركة ، فالتمسك بالعقيدة مهما لحـق صاحبها من مضايقات أو تعذيب تعد شجاعة عظيمة ، ولقد بلغ الخوارج في هذا الجانب مبلغا عظيما ، ولهم قصص في الشجاعة والثبات على العقيـدة تناقلتها كتب الاخبار تبهر الانسان وتدهشه[٧١] .

---

(٦٨) نفسه ، م ٢٢١/ ص ١١٥ .

(٦٩) نفسه ، م٧٩ / ص ٤١.

(٧٠) الحوفي (أحمد الحوفي) ، البطولـة والابطـال ، المجلس الاعلـى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٧ ،ص ١٩ .

(٧١) المبرد (الامام أبو العباس المبرد) ، اخبار الخوارج من كتاب الكامـل في اللغة والادب والنحو والتصريف ، دار الفكر ، د.ت ، ص٥٩ وما بعدها ، وانظر كذلك الطبري (محمد بن جرير الطبري)، تاريخ الطبـري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٨ ، ج٣ ، ٢٤٥ .

ومن فصول شجاعة الخوارج ومظاهرها ايضا انتقاد سياسة الحكام والوقوف في وجوههم • قال عمران بن حطان يعير الحجاج بعدم قدرته على الوقوف في وجه غزالة الخارجية التي هزمته في غير معركة :

أسد علـيّ وفي الحـروب نعامـة	ربداء تجفـل من صفير الصـافر
هلا بـرزت الى غـزالة في الوغـى	بل كان قلبك في جناحـي طـائر
صدعت غـزالة قلبـه بفـوارس	تـركت منـابره كـأمس الـدابر
ألقِ السلاح وخـذ وشاحي معصر	واعمد لمنزلـة الجبان الكافـر[٧٢]

وكذلك بدت شجاعتهم في انتقادهم لكثير من الآفـات الاجتمـاعية التي كانت تنتشر بين أفراد المجتمع ، وفي مقولة حق جريئـة كانوا يقولونها للشعراء الذين يقفون على أبواب الخلفاء والامراء للتكسب في شعرهـم من أجل حفنة من الدراهم داعيا اياه الـى سؤال الله سبحانه وتعالى بدلا مـن سؤال الناس • قال عمران مخاطبا الفـرزدق منتقدا كذبه في نعت الممـدوح بصفات غير موجودة فيـه :

أيهـا المـادح العبـاد ليعطـي :	إن لله مـا بـأيدي العبـاد
فاسـأل الله ما طلبـت اليهـم	وارج فضـل المقسّـم العـواد
لا تقـل في الجـواد ما ليس فيـه	وتسمي البخيل باسم الجـواد[٧٣]

وكذلك انتقادهم لاولئك الذين كانوا يرضون بأي حاكم مهمـا كانت أخلاقه أو عقيدته طالما هو يدفع لهم العطاء • قال :

فلو بُعثت بعض اليهـود عليهـم	يؤمهم او بعض من قـد تنصـرا
لقالوا رضينـا أن أقمـت عطـاءنا	وأجريت ذاك الفرض من بُر كسكرا[٧٤]

(٧٢) شعر الخوارج ، م٥٤ / ص ٢٥ .
(٧٣) المصدر السابق ، م ٣٦ / ص٢٠ .
(٧٤) نفسه ، م٣٥/ ص ٢٠ .

من قيم الخوارج المهمة التقوى وحسن التدين ، فالخوارج حزب ديني بالدرجة الاولى ، وبالتالي ، فالشيء الطبيعي ان يكون اتباعه على درجة عالية من حسن التدين وقوته ، ومن كان يؤمن ايمان الخوارج بالآخرة ، وضرورة نبذ الدنيا يجب أن يكون تقياً . قال عمر بن الحصين العنبري يصف جماعة من الخــوارج :

متــأوهين كــأن في أجوافهــم ... نارا تسعرهــا أكــف حواطــب
تلقاهــم فتراهــم مــن راكــع ... أو ساجــدٍ متضرع أو ناحــب
يتلــو قــوارع تمتــري عبــراته ... فيجودهــا مــري المـري الحالب
سبــرٍ لجائفــة الأمــور أطبــة ... للصدع ذي النبأ الجليل مرائب[٧٥]

يعتبر شعر عمر بن الحصين العنبري من الشعر الهام التي أبــان فيها الشاعر الخارجي عن قيم جماعية ، فهم قد جعلوا همهم الحرب والدفاع عن المبدأ ، وهم صابرون ، أوفياء ، أعفّاء يلتزمون بآداب الحديث ، ويعرفون آداب المجالس ، أتقياء ، خاشعون ، ليلهم قيام ؛ ونهارهم حروب ، ومجالدة. قــال :

في فتيــة صبــروا نفوسهــم ... للمشرفيــة والقنــا السمــر
تالله ألقــى الدهــر مثلهــم ... حتى أكــون رهينــة القبــر
أوفــى بذمتهــم اذا عقــدوا ... واعــف عنــد العسـر واليســر
متأهبــون لكــل صالحــة ... ناهــون من لاقــوا عــن النكــر
صمــت اذا احتضروا مجالسهــم ... وزن لقــول خطيبهــم وقــر
ألا تجيئهــم فــانهــم ... رجف القلــوب بحضــرة الذكــر
متــأوهــون كــأن جمــر غضــا ... للموت بيــن ضلوعهــم يســري
تلقــاهــم إلا كأنهــم ... لخشوعهــم صدروا عــن الحشــر

---

(٧٥) نفسه ، م ١٦٦/ ص ٨٩–٩٠ .

فهم كأن بهم جوى مرض أو مسهم طرف من السحر
لا ليلهم ليل فيلبسهم فيه غواشي النوم بالسكر
إلا كذا خلسا وآونة حذر العقاب فهم على ذعر[٧٦]

وقال الحارث بن كعب الشني في رثائه لعون بن أحمر وقد قتل مع ابن الازرق :

أيهات ، قد أبلى عظامي وشفها وأسهر ليلي ذكر عون ابن أحمر
فتى كان لا يخشى سوى الله وحده ويطمع في معروفه كل مقتر
يجاهد في الله ابن أحمر صادقا اذا ما ارتضى بالجور كل مقصر[٧٧]

وقال فروة بن نوفل يذكر قومه وقد قتلوا مؤكدا حسن تدينهم اذ أن أجسادهم نحيلة براها الصوم ، وكأنها سيوف منجردة :

هم نصبوا الاجساد للنبل والقنا فلم يبق منها اليوم الا رميمها
تظل عتاق الطير تحجل حولهم يعللن أجسادا قليلا نعيمها
لطافاً براها الصوم حتى كأنها سيوف اذا ما الخيل تدمى كلومها[٧٨]

ان أشد ما يميز الخوارج تقواهم ، وخوفهم من الله ، وطاعتهم له، قال الأصم الضبي :

قوماً اذا ذكّروا بالله أو ذكروا خروا من الخوف للأذقان والركب
ساروا الى الله حتى أنزلوا غرفاً من الأرائك في بيت من الذهب[٧٩]

من الامور الواضحة في شعر الخوارج تأثرهم الكبير بالقرآن من حيث التعاليم ، أو من حيث الالفاظ والمعاني أو من حيث الصياغة والاسلوب ، ولا غرابة في ذلك فهم حزب ديني استقى مفاهيمه من القرآن الكريم ، وكان

---

(٧٦) نفسه ، م ١٦٥/ ص ٨٤ .
(٧٧) نفسه ، م٦٧/ ص ٣٥ .
(٧٨) نفسه ، م٥/ ص٦ .
(٧٩) نفسه ، م ١٠٨ / ص ٥٦ .

كثير منهم من القراء، ، مما أهّلهم لحفظ القرآن والعمل به ، فجـاء ثمـرة ذلك كله تأثرا واضحا به حتى لنجد كثيرا من شعرهم تضمينا لآيات القرآن الكريـم واستشهادا بها .

والخارجي لايفخر بانتمائه الى قبيلة او الى نسب شريف ، بل يفتخـر بانتسابه الى الاسلام وحده فهو أبوه حيث لا أب له سواه ، ولا نسب لـه بعده ، والتقي عندهم هو الذي ينسب الى هذا الدين العظيم الشريف لا من ينسب الى قبيلة شريفة، ولاشك في أن هذا نهج جديد أو اختلاف كبـير في الاعتداد بالقيم الانسانية والفخر بها مجسدين قوله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لتعارفـوا إن أكرمكـم عند الله أتقاكم »[80] . فميزان التفاضل بين بني البشر هو التقوى لا الحسب والنسب . قال عيسى بن عاتك الخطي :

أبـي الإسـلام لا أب لي سـواهُ ... اذا فخـروا ببكـر اوتميـم
كـلا الحيـين ينصـر مُدّعيـه ... ليلحقـه بـذي الحسب الصميـم
وما حسـب ولو كرمـت عـروق ... ولكـن التقـي هو الكريـم[81]

كذلك كان الخارجي يفخر بخارجيته كثيرا ويعتز بانتمائـه الى هـذا الحزب الديني ، وهذا نابع من ولائه لافراد حزبه ؛ لذا هو ينطق بلسانهم ، ويصف أخلاقهم ، وافعالهـم ، ويمدحهم ، وان ماتوا يرثيهم كما في قـول عبيدة بن هلال اليشكري :

أنا ابـن خيـر قومـه هـلال ... شيخ علـى ديـن أبـي بـلال
وذاك دينـي آخر الليالـي[82]

لقد تلاشت عقيدة الخارجي القبلية في عقيدته المذهبية فأحـال الفخـر الى فن ديني حزبي ، فكان الشاعر منهم يفخر بخارجيته من حيث انتمـاؤه

---

(٨٠) سورة الحجرات ، آية ١٣ .
(٨١) شعر الخوارج ، م٣١ / ص ١٣ .
(٨٢) المصدر السابق ، م١٠١/ص٥٣ .

الى هذا الحزب ، ومن حيث صفات الخارجي وقيمه التي كانت تميزه في كثير من الاحيان عن قيم الاحزاب السياسية الاخرى ، فانتماؤه الى الاسلام حسب، لا الى قبيلة ماجدة ، ولا الى جنس عريق ، دستوره القرآن يعمل على وفق منهجه ، وشعره ثمرة لفهمه هذا ، وانعكاس لقيمه الفريدة التي رآها كثير منهم خدمة لإنسانيته ، ووجوده في ظل الحكم الجائر ، الخارج عن الحق ؛ لذا جاء شعرهم انعكاسا لنهجهم السياسي خاصة وان كثيرا منهم كانوا من الزعماء البارزين للحزب ، ولم يكونوا متبرعين أو مأجورين للترويج له أو الدفاع عنه ، فجاء شعرهم معبرا تعبيرا صادقا عن عقيدتهم التي قدموا في سبيلها كل غال ورخيص •

الزهد

زهد الخارجي في الحياة الدنيا كثيرا ، بل كرهها وتمنى الخلاص منها • ولم يكن هذا من فراغ ، بل هو من صلب فلسفة الخارجي الذي اعتقد ان الدنيا غرور ،مملوءة شرورا ، وبالتالي فلا تستحق منه أي اهتمام ، ولاتستحق أن يضحي بالآخرة من اجلها ، وقد رأى الخارجي أن الزهد في الدنيا يسهل عليه الخروج لمحاربة الطغاة ؛ لذا ربما كانت كثرة حديثه عن عدم جدوى التمسك بالدنيا محاولة منه لاقناع نفسه والاخرين من الخوارج بأنه لا شيء يستحق أن يوقفه عن الجهاد في هذه الحياة • قال عمران بن حطان :

وليس لعيشنا هذا مهاة — وليست دارنا هاتا بدار
جماد لايراد الرسل منها — ولم يجعل لها درج الظئار
وإن قلنا لعل بها قرارا — فما فيها لحي من قرار
لنا إلا ليالي هيّنات — وبلغتنا بأيام قصار
أرانا لا نمل العيش فيها — وأولِعنا بحرص وانتظار
ولا تبقى ولا نبقى عليها — ولا في الامر نأخذ بالخيار
وما اموالنا إلا عوار — سيأخذها المعير من المعار

ولكــن العــداة بنــو سبيــل ... على شــرف ييســر لانحـــدار
كركب نازلـين علــى طريـــق ... حثيث ، رائــح منهــم وســاري
وعــاد إثرهــم طربـــا اليهـــم ... حثيث السـير مؤتنـف النهار(٨٣)

وعمران بن حطان من الخوارج الذين نازعهم حب الدنيا اذ كانت تنتابه رغبات في الحياة الدنيا والتمسك بها ، بل كان في صراع بين الدنيا والآخرة ، وبين القعود والخروج ، قال منتقدا الذين لايسأمون من الدنيا ، ولعلـه قصد نفســه :

أرى اشقيــاء النــاس لا يسأمونها ... على انهــم فيهــا عــراة وجــوع
أراهــا وان كانــت تحب فانهــــا ... سحابة صيف عن قليــل تقشع(٨٤)

لذا كان كثير المقارنة بين الدنيا والآخرة من حيث نعيم كل منهما ، ولقد أبان عن كره نفسه للموت في مناسبات كثيرة ، ولكن رحيل اصدقائه واحبائه كان يدفعه للخروج ثأرا لهم ، وزهدا بالحياة بعدهم ، كما في قولــه في رثاء أحد أمراء الخوارج مخاطبا زوجته جمرة . قال :

إن كنــت كارهة للموت فارتحلــي ... ثم اطلبي اهــل ارض لا يموتونــا
فلستِ واجــدة أرضا بهـــا بشر ... ألا يــروحون افواجا ويغدونا (٨٥)

ولعل جمرة هذه هي نفس الشاعر لا زوجته وابنة عمه جمرة الخارجية، التي دفعته للخروج وأصرت عليه في ذلك ، وهي نفس تفهم حقيقة الانسان ورغبته في حب البقاء ، فهي أخص غرائز الانسان(٨٦) .

ولعل رغبته في البقاء للتمتع بالدنيا وعدم الخروج يبدو ظاهرا في قوله:

اذا ما تذكــرتُ الحياة وطيبهـــا ... اليّ جرى دمع من العين غاسق(٨٧)

---

(٨٣) نفسه ، م ٣١/ ص ١٨ .
(٨٤) نفسه ، م ٣٠/ ص١٧ .
(٨٥) نفسه ، م ٢٧/ ص ١٦ .
(٨٦) الانسان والزمان في الشعر الجاهلي ، ص٢١ .
(٨٧) شعر الخوارج ، م ٣٩ / ص ٢١ .

لقد كان عمران بن حطان في صراع بين الخروج والقعود ، فهـو من من جهة مؤمن بمبدأ الخوارج يرى رأيهم في ضرورة محاربة الظلم والطغيان، وله أسوة في أصحابه الذين ساروا على هذا الدرب لاسيما بلال بن مرادس الذي اتخذه إماما ومثلا أعلى ، فيدفعه هذا للخروج ، ولكن حب الدنيـا يشده الى القعود والتمسك بالحياة . فأثر صراعه هذا في فكره وشعـره ، اذ تلمح عنده خطرات فلسفية ممزوجة بالحزن والدموع ، وربمـا كانـت له أسباب للقعود فقد ذكر أبو الفرج الاصفهاني انه كان من القعـدة لأن عمره طال فضعف عن الحرب وحضورها ، فاقتصر على الدعوة والتحـريض بلسانه[88] ، وإلا كيف سيقبل منه تحريضه الاخرين على الخروج في حين كان هو قاعدا بلا سبب موجب ؟! ولا اعتقد ان حبه لبنت عمـه جمـرة الخارجية هو الذي دفعه الى القعود كما يقول الدكتور نعمان القاضـي ؛ لانها كانت السبب في خروجه[89] .

لقد جمع الخارجي بين رغبة التقوى والزهد كما في قول قطـري بن الفجـاءة :

حتى متـى تخطئنـي الشهـــادة والمـوت في أعناقنـا قـــلاده
ليس القـرار في الـوغى بعـــاده يا رب زدنـي في التقـى عبـاده
وفي الحيـــاةبعدها زهاده[90]

لقد زهد الخارجي ، في الحياة بعد ما رآه في الدنيا من ظلم الحكام ، وسياسة التجويع والكذب والنفاق الى غير ذلك من الشرور الاجتماعيـة، فإحساس الانسان بأن الدنيا دار شقاء لا محال راحل عنها ، وهو فيهـا ليس

---

(٨٨) انظر الاغاني ج١٨ ، ص ١٠٩ .
(٨٩) الفرق الاسلامية في العصر الاموي ، ص ٦٤١.
(٩٠) نفسه ، م٨٨ / ص ٤٦–٤٧ .

سقط متاع يشرد ويطرد ويقتل من قبل فئة يراها طاغية ظالمة يـزيده زهدا في الدنيا ، وتمسكا بالآخرة كما في قول معاذ بن جوين :

ألا أيها الشـارون قد حان لامرىء ... شـرى نفسه لله أن يترحـلا
أقمتـم بـدار الخاطئـين جهـالة ... وكل امرىء منكـم يصاد ليقتـلا
فشدوا على القـوم العُداة فانمـا ... إقامتكم للذبـح رأيـا مضلـلا
إلا فاقصدوا يا قـوم للغاية التـي ... اذا ذُكـرت كانت أبـر وأعـدلا
فيا ليتني فيكم على ظهـر سـابح ... شديد القصيرى ، دارعا غير أعزلا
ويا ليتني فيكـم أعـادي عدوكم ... فيسقينـي كأس المنيـة أولا
يعز عليّ أن تخافـوا وتُطـردوا ... ولما أجـرر في المحلين مُنصـلا[91]

وكذلك قول قطري بن الفجاءة :

وما للمـرء خـير في حيـاة ... اذا مـا عـد من سقط المتـاع[92]

ولما كان الزهد في متاع الدنيا من قيم الخوارج الهامة ، فاننا نراهـم يمدحون به كما في قول زياد بن الاعسم في رثائه داود بـن النعمان العبدي الخـارجي • قـال :

فان يـكُ داود مضـى لسبيلـه ... فقد كان ذا شـوق الى الله تاليـا
وقد كان ذا أهـل ومـال وغبطـة ... وكان لمّا يفنى من العيش قاليا[93]

ولكن لم يكن الخوارج كلهم على درجة واحدة من الزهـد في الحياة، والرغبة في الموت اذ كان لدى بعضهـم أسبـاب تجعلهم يحبون الحيـاة ، ويتمسكون بها كما هو حال عيسى بن عاتك الخطي ، وذلك لتعلق بناته به عند الخروج • قـال :

لقـد زاد الحيـاة اليّ حبـاً ... بناتـي انهـن مـن الضعـاف
مخافـة أن يريـن البـؤس بعدي ... وان يشـربن رنقـاً بعـد صـاف

(٩١) نفسه ، م ١١/ ٨ـ٩ وانظر كذلك ، م ١٦٧/ص ٤٣ .
(٩٢) نفسه ، م ٨٢ / ص ٤٣ .
(٩٣) نفسه ، م ١٢٥ / ص ٦٦.

وأن يعـرين إن كُسي الجـواري   فتبنو العـين عـن كـرم عجـاف
وأن يضطرهـن الدهـر بعـدي   الـى جلـف من الأعمـام جـاف
فلـولا ذاك قد سومـت مهـري   وفي الرحمـن للضعفـاء كـاف
تقول بنيَّتـي أوصـى الموالي أبانا   وكيف وصـاةُ من هو عنك جاف
مـن لنـا إن غبـت عنـا   وصار الحي بعدك في اختلاف (٩٤)

ومن شعراء الخوارج الذين قالوا في الزهد أيضا الطرماح اذ قال :

عجباً ما عجبـت من جامـع المـا   ل يبـاهي بـه ، ويرتفـده
ويضيـع الـذي يُصيره اللـ   ـه اليه ، فليـس يعتقـده
يـوم لاينفـع المخـول ذا الثر   وة خُلاُنـةُ ولا ولَـده
ثم يؤتى به ، وخصمـاه ، وسط الـ   جن والإنس ، رجلـه ويـده
خاشع الطرف ، ليـس ينفعـه ثـ   ـم أمانيـه ، ولا لـدَدُه (٩٥)

لقد اختلف الطرماح عن كثير من شعراء الخوارج ، فقد عاش حياتـه مثل غيره من الناس حياة طبيعية اذ لم يرِ الخروج ولم يدع له ، كما انـه كان معجبا بنفسه وبقومه كثير الفخر بها وبهم ، وهذا ما لم نجده عند غيره من الخوارج الذين جعلوا الفخر في الدين والانتماء الى الحزب الخـارجي حسب ، فضلا عن أنه طلب الدنيا بكل ما فيها فمدح واشتكى ، وتغزل.. ، ويبدو أن عقيدة الخوارج لم تتمكن منه كما تمكنت من غيره من الخوارج ، بل ان الهم الخارجي كان هامشيـا في حياته مع ايمانه به ، وله شعر يتمنـى الخروج كما تمنى أن يمـوت قطعا تحت مقارعة السيوف ، وضرب الرماح ، كما أنه كان يمدح الخوارج بالشجاعة والتقوى الا انه لم يكـن متشددا

---

(٩٤) نفسه ، م ٢٢ / ص ١٣-١٤ .
(٩٥) الطرماح ، ديوان الطرماح بن حكيم ، تحقيق عزة حسن ، دار الشـرق العربي ، بيروت ، ط-٢ ، ١٩٩٤ ، ص ١٣٩ وما بعدها .

في ايمانه ولا في سلوكه ، بل افترق عن الخوارج بحبه للمال والدنيا رغم شعره السابق في الزهد ، وكذلك اختلف عنهم بالفخر بنسبه وقبيلته[٩٦] .

التعاون :

التعاون من القيم العربية الاصيلة التي اعتز بها العربي وافتخر لاسيما في مجال التعاملات المالية . ومع أن الخوارج لم يركزوا على قيمة الكرم كثيرا لعدم تفرغهم لمواطن الجود والعطاء ، لانهم حملة سلاح ، ورجال حرب قضوا أعمارهم القصيرة في أغلب الاحيان في ساحات الوغى ، زاهدين في الحياة الدنيا وممتلكاتها ومفاخرها الا ان بعض شعرائهم لم يفوّت فرصة التنويه بهذه القيمة عندهم ،فهي تعكس تدينهم وتطبيقهم لأمور الشريعة من التعاطف والتراحم فيما بينهم كما في قول عمرو بن الحسن الاباضي موضحا ان الغني فيهم يساعد الفقير في حين ان الفقير يمتاز بالعفة والتجمل . قال :

في فتية شرطوا نفوسهم ... للمشرفية والقنا السمر
متراحمين : ذوو يسارهم ... يتعطفون على ذوي الفقر
وذوو خصاصتهم كأنهم ... من صدق عفتهم ذوو وفر
متجملين بطيب خيمهم ... لا يهلعون لنبوة الدهر
فكذاك مثريهم ومقترهم ... أكرم بمقترهم وبالمثري[٩٧]

وعفتهم تكون عند العسر واليسر . قال عمر بن الحصين العنبري :

أوفى بذمتهم اذا عقدوا ... وأعف عند العسر واليسر[٩٨]

وكذلك قول أيوب بن خولى يصف أخلاقهم بما فيها الكرم :

فإن يك خلي هدية اليوم قد مضى ... فاني بآلاء الفتى أنا نادبه
فيا هدب للهيجا ويا هدب للندى ... ويا هدب للخصم الالد يحاربه[٩٩]

---

(٩٦) انظر المصدر السابق ، ص ١٦٥ وكذلك ص ٢٠١ وما بعدها وص ٣١٥.
(٩٧) شعر الخوارج ، م ١٦٤/ ص ٨٣.
(٩٨) المصدر السابق ، م ١٦٥/ ص ٨٥ .
(٩٩) نفسه ، م١٣٥/ص ٧١ .

وقد أبان بلال بن مرداس عن معنى الاخوة والحب في العقيدة من خلال اظهار الود لأخيه الخارجي ، والمشاركة المادية بينهما . قال :

من كان من أهل هذا الدين كان له ودّي وشاركته في تالد المال[100]

والخارجي عفيف النفس ، يترفع عن الدنايا جميعها ؛ لان هدفه في الحياة أسمى من كل امر مادي ودنيوي ، وهذه لعمري قيم تناسب فكر الخوارج وفلسفتهم الخاصة في أمر الدنيا . قال يزيد بن حبناء يفخر بأخلاقه أمام زوجته وقد عيّرته بالشيب :

أعوذ بالله من امر يزين لي لوم العشيرة أو يدني من العار
وخير دنيا ينسي شر آخرة وسوف ينبئني الجبار أخباري
لا أقرب البيت أحبو من مؤخره ولا أكسر في ابن العم أظفاري
أن يحجب الله أبصاراً أراقبها فقد يرى الله حال المدلج الساري[101]

الحلم

من قيم الخوارج الهامة الحلم الذي يحتاج من صاحبه سعة الصدر ، ووضوح الرأي والفهم الثاقب الذي ينم عن ذكاء وطول تفكر في أمور الدنيا، ومن ثم اتخاذ الرأي الصائب . قال الجعد بن ضمام الذهلي في رثائه لصالح بن مسرح :

وقد كان ذا رأي مبين ورأفة صفوحا عن العوراء يدفعها عمدا[102]

والخارجي طلق اللسان يقول الحق ، يرئب الصدع ، مصلح لذات البين عفيف الهوى ومتثبت في كل أفعاله وأقواله .كما في قول عمر بن الحصين :

طلق اللسان بكل محكمة رأب صدع العظم ذي الكسر

---

(١٠٠) نفسه ، م١٤ / ص ١٠ .
(١٠١) نفسه ، م ٧١/ ص ٣٨ .
(١٠٢) نفسه ، م١١٩ / ص ٦٢ .

قـوال محكمـة وذو فهـم عفّ الهـوى متثبـت الامر [١٠٣]

ومن صفاتهم المنطق الحسن وهو انعكاس للذكاء الجم والفهم الحاذق. قال سلامة بن عامر القشيدي في رثائه للخطار النميري :

يذكّرني الخطـار كـل منطـق يجول بـه عنـد اللقا حضنان[١٠٤]

وقال عبيدةبن هلال اليشكري :

أدبـاء أمـا جئتهـم خطبـاء ضمنـاء كـل كتيبـة جـرار[١٠٥]

وهو كذلك يسبر غور الامور كما في قول عمر بن الحصين أيضا :

سبـرٍ لجائفـة الامور أطبّـة للصدع ذي النبأ الجليل مراتب[١٠٦]

الـوفاء والانصـاف

ومن قيم الخوارج الوفاء للآخرين ممن لهم يد بيضاء عليهم ، فهـم يعرفون حق اليد التي أصابتهم بمعروف أو دفعت عنهم الاذى ، ويحفظون الجميل لأصحابه حتى لو كانوا من الاعداء أو الحكام الذين كانوا يـرونهم طغاة ويخاصمونهم ألد خصام ، فقد قال عمـران بن حطـان السـدوسي بعد ما أطلقه الحجاج :

أأقـاتل الحجـاج عـن سلطانـه بيـدٍ تقـر بأنهـا مولاتـه
اني إذن لأخـو الدنـاءة والـذي عفـّت علـى عرفـانه جهـلاته
ماذا أقـول اذا وقفت موازيـا في الصـف واحتجت لـه فعـلاته
وتحـدث الأكفاء أن صنائعـا غُرست لـدي فحنظلـت نخلاته
أأقـول جـار علـيّ انـي فيكم لأحـق من جـارت عليـه ولاتـه
تالله مـا كـدت الأمـير بـآلة وجوارحـي وسلاحها آلاتـه[١٠٧]

---

(١٠٣) نفسه ، م١٦٥/ ص ٨٦–٨٧ .
(١٠٤) نفسه ، م ١٠٣ / ص ٦٨ .
(١٠٥) نفسه ، م ٩٨ / ص ٥٢ .
(١٠٦) نفسه ، م ١٦٦ / ص ٩٠ .
(١٠٧) نفسه ، م ٥٨ / ص ٣١ .

وكما كانوا أوفياء لخصومهم ، فانهم كانوا ينصفونهم ، والانصاف أحد القيم الخلقية الهامة التي تصدر عن نفس انسانية شفافة ، وبطولة نفسية حقة . فقد قال قطري بن الفجاءة في المغيرة بن الملهب شعرا مدحه فيه، فلما سمعه الخوارج ، قالوا له : لأشد ما مدحت الرجل يا امير المؤمنين . فقال : ما أثنيت عليه بشيء في دينه ، ولكني أذكر ما فيه . ومن شعره هذا قوله :

لعمري لئن كان المزوني فارسا ... لقد لقي القرم المزوني فارسا
تناولته بالسيف ، والخيل دونه ... فبادرني بالجرز ضربا مخالسا
فوليت عنه خوف عودة جرزه ... وولى كما وليتُ يخشى الدهارسا
كلانا ، يقول الناس ، فارس جمعه ... صبرت فلم أحبس ولم يك حابسا
فدونكها يا ابن المهلب ضربة ... جدعت (بها) من شانئيك المعاطسا
وأقسم لو أني عرفتك ما نجا ... بك المهر أو تجلو علينا العوابسا
فتعلم إذ لاقيتيني أن شدتي ... تخاف ، فسل عني الرجا الأكايسا
يقولوا بلا منه المغيرة ضربة ... فأصبحت منها للغضاضة لابسا
فقلت بلى ما من اذا قيل من له ... تسم له لم أغضض الطرف ناكسا
فتى لايزال ، الدهر ، سنَّة رمحه ... اذا قيل هل من فارس، أن يداعسا(١٠٨)

وهذه القصيدة تندرج تحت ما يسميه العرب « المنصفات » ، وقد عرف الادب العربي مجموعة من القصائد التي حملت هذا الشكل الانساني الأخلاقي المتميز ، وأطلق عليها «منصفات أشعار العرب» ، والخوارج كانوا امتدادا في بعض قيمهم لما عرف عند العرب من الوفاء والانصاف للاصدقاء وللاعداء على السواء ؛ لان الابطال ومن موقع القوة ينصفون خصومهم ويعترفون لهم بالبلاء في الحرب والقدرة على خوض المعارك الحامية الوطيس،

---

(١٠٨) نفسه ، م ٩٢/ ص ٤٩ .

ولأن البطولة الحربية كانت تقترن بالبطولة الخلقية عند هؤلاء الابطال في كثير من الاحيان[١٠٩] .

وهكذا يصور لنا شعر الخوارج طبيعة حياة الخارجي ، كيف كانت، وما فيها من طموحات وبطولات خارقة ، كما رسم لنا مجموعة القيم التي سادت حياتهم ، وانتشرت بين مقاتليهم ، والتي كانت في أغلبها قيماً مستمدة من الشريعة الاسلامية معينة على أساس منها ، كما كان بعضها قيماً ورثها العربي عن آبائه لاسيما في المجتمعات البدوية ، فكانت امتدادا للقيم العربية الاصيلة التي توارثها الانسان جيلا بعد جيل كالشجاعة والكرم والتعاون والعفة ، وبعضها قيم اختص بها الخوارج دون غيرهم ؛ لانها خاصة بحزب سياسي له تقاليده واسلوبه ، ورأيه في شؤون الحياة ، ومن ثم قيمه التي كانت تقوم على الفروسية ومحاربة الظلم والطغيان لا يأملون من ذلك سوى رضى الله سبحانه وتعالى ، والفوز بالجنة ، وهم ان بالغوا في بعض المواقف ، فلعلهم لم يكونوا الوحيدين ؛ لان الحروب كثرت في هذا العصر ، وكثر فيها القتل والصلب والتمثيل . فطبيعة العصر ، والبيئات التي كان يأتون منها لاسيما البدوية، وفهمهم لبعض مناحي الدين ربما كان وراء مغالاة بعضهم في القتل واستعراض الناس ، ولولا هذه المبالغات ، وما كان لديهم من تطرف في بعض الاحيان لكانوا أكثر اقناعا للناس ، فقد كان الحزب الخارجي أقرب الاحزاب السياسية في العصر الاموي الى روح الاسلام ، ومن أشدها تأثرا به ، والتزاما بمبادئه من نبذ الدنيا ، والتمسك بالآخرة ، ورفض تهافت الناس من شعراء وغير شعراء على أبواب الملوك يتملقونهم من أجل حفنة من الدراهم ، وكثير منهم يعلم علم اليقين بأنهم

---

(١٠٩) القيسي (نوري حمودي القيسي) ، البطل في التراث ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ص ٤٢ .

لايقولون الحقيقة ، ويخالفون أبسط قواعـد الشرع من ضرورة الصدق ، والوقوف في وجه الباطل ، وعـدم المساومة في حقوق الاخرين ، وتوزيـع موارد بيت المال في وجوهها الحقيقية ، وعدم التهافت في اللذات، وضرورة تطبيق شرع الله في جميع مناحي الحياة بدءا من الخلافة وانتهاء بالمسـاواة بين الناس في الحقوق والواجبات الامر الذي لم يرض الخوارج ، فتصـدوا له بنحورهم وهاماتهم مقدمينها رخيصة في سبيل مبدئهم الذي ثبتوا عليه طيلة حياتهم فامتزجت دماؤهم الغزيرة بقيمتهم العالية الى ان انتهـى أمرهـم في الخلافة العباسية .

شكـر : اشكر مجلس البحث العلمي في جامعة اليرموك ، اربد ـ الاردن ، على المساهمة في دعم نشر هذا البحث .

المصـادر والمراجـع

١ ـ القـرآن الكريم .
٢ ـ ابراهيم (زكريا ابراهيم) ، مشكلـة الانسان ، مكتبـة مصـر للطباعـة والنشر ، القاهرة ، د.ت.
٣ ـ ابراهيم (زكريا ابراهيم) ، المشكلة الخلقية ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
٤ ـ أنيس (ابراهيم أنيس) وزملائه ، المعجم الوسيط ، دار الفكر ، مصر ، د.ت.
٥ ـ البستاني (بطرس البستاني) ، قطر المحيط ، مكتبة لبنان ، بيروت، ١٨٦٩ .
٦ ـ بدوي (عبدالرحمن بدوي) ، الاخلاق النظرية ، وكـالة المطبوعـات ، ط١ ، ١٩٧٥ .
٧ ـ بيومي (محمد أحمد بيومي) ، علم اجتماع القيم ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندريـة ، ١٩٨٩ .
٨ ـ جفـال (علي جفال) ، الخوارج تاريخهم وادبهم ،دار الكتب العلميـة ، بـيروت ، ط١ ، ١٩٩٠ .
٩ ـ حسين (عبدالرزاق حسين) ، شعر الخوارج ، دار البشير ، عمـان ، ط١ ، ١٩٨٦ .
١٠ ـ الحوفي (احمد محمد الحوفي) ادب السياسة في العصر الامـوي دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ط٥ ١٩٧٩ .
١١ ـ الحوفي (أحمد محمد الحوفي) ، البطولة والابطال ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلاميـة ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
١٢ ـ زقزوق (محمود حمدي زقزوق) ، مقدمة في علم الاخـلاق ، دار القلـم، الكويـت ، ١٩٨٠ .
١٣ ـ السقا (أحمد حجازي السقا) ، الخوارج الحروريون ، مكتبة الكليـات الازهرية ، ١٩٨٠ .
١٤ ـ الشايب (أحمد الشايب) ، تاريخ الشعر السياسي ، مكتبـة النهضـة المصرية ، القاهرة ، ط٥ ، ١٩٧٦ .
١٥ ـ الطبري (محمد بن جرير الطبري) ، تاريخ الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٨ .
١٦ ـ الطرماح ، ديوان الطرماح ، تحقيق عزة حسن ، دار الشرق العـربي ، بـيروت ، ط٢ ، ١٩٩٤ .
١٧ ـ العوا (عادل العوا) ، دراسات اخلاقية ، المطبعة الجديدة ، دمشق، ١٩٨٢ .
١٨ ـ العوا (عادل العوا) ، العمدة في فلسفة القيم ، دار طـلاس للدراسـات والترجمة والتوزيع ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٦ .

١٩ـ الغزالي (ابو حامد الغزالي) ، تهذيب إحياء علوم الدين ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، طـ١ ، ١٩٨٨ .

٢٠ـ فلهوزن (يوليوس فلهوزن) ، الخوارج والشيعة ، ترجمة عبدالرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت طـ٣ ، ١٩٧٨ .

٢١ـ القاضي (النعمان القاضي) ، الفرق الاسلامية في الشعر الاموي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

٢٢ـ قطب (محمد قطب) ، دراسات في النفس الانسانية ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨١ .

٢٣ـ قنصوة (صلاح قنصوة) ، نظرية القيم في الفكر المعاصر ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ، د.ت.

٢٤ـ القيسي (نوري حمودي القيسي) ، البطل في التراث ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، طـ ١ ، ١٩٨٨ .

٢٥ـ القيسي (نوري حمودي القيسي) ، الفروسية في الشعر الجاهلي ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٤ .

٢٦ـ كومبز (يوسف كومبز) ، القيمة والحرية ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٥ .

٢٧ـ الماوردي (علي بن محمد الماوردي) ، ادب الدين والدنيا ، شرح وتعليق محمد كريم راجح ، دار قرأ ، بيروت ، ١٩٨٦ .

٢٨ـ المبرد (الامام ابي العباس المبرد) ، أخبار الخوارج من كتاب الكامل في اللغة والادب والنحو والتصريف ، دار الفكر ، د.ت.

٢٩ـ النجار (عامر النجار) ، الخوارج عقيدة وفكرا وفلسفة ، مكتبة القدسي ، د.م، طـ١ ، ١٩٨٦.

٣٠ـ يوسف (حسني عبدالجليل يوسف) ، الانسان والزمان في الشعر الجاهلي، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٨ .

الأدويــة النباتيــة في العــراق القديــم

الدكتور عبداللطيف البدري

الملخــص :

النباتات الطبية في العراق القديم :

من بين الحضارات القديمة عرف العراقيون عددا كبيرا من الاعشاب الطبية ، ففي مكتبة اشور بانيبال وجد ريجينالد ثومبسون أسماء (٢٥٠) دواءا نباتيا مازال بعضها معروفا ومتداولا حتى الحاضر •

العراقيون أول من وضع دستورا للنباتات الطبية مرتبا بحسب مفعول النبتة على جسم الانسان ، ومع ان هذا التصنيف لايجمع نباتات الفصيلة الواحدة معا ، الا انه يحقق وصف الخاصية العلاجية للعديد من تلك النباتات•

اقتصر هذا البحث على ذكر ثلاث مجموعات منها ، وهي المسهلات والسموم والمخدرات •

تمهيــد :

في قراءة لـ (٦٦٠) رقيما طبيا من مكتبة اشور بانيبال التي ترجم نصوصها السيد (ثومبسون) وقراءة ترجمة بعض الرقم الاخرى ورد ذكر (٢٥٠) دواءا من أصل نباتي (٤٦٠٠) مرة و (١٥٠) دواءا معدنيا (٦٥٠) مرة و (١٣٠) دواءا غير مصنف (١٨٠) اضافة لذكر كحول السكر (٣٠٠) مرة وكحول الكرونو ــ الكروم ــ (١٠٠) ومختلف أنواع الدهون (١٧٠) والزيوت (٣٤٠) والعسل (٨٠) والشمع (٣٠) والحليب (٤٠) •

وضع السيد (ثومبسون) قائمة بالادوية النباتية وسلسلها حسب عدد مرات ذكرها ثم أسقط الاسماء التي وردت أقل من (٥) مرات فبقيت أسماء (١١٣) دواءا ، أسماء العشرة الاولى منها هي : زيت الصنوبر وقد

ورد ذكره (٢٠٢) مرة وزيت الارز (١٩٣) ثم الورد (١٨١) وخشب الارز (١٤٨) فالشيلم (١٣٤) فعباد الشمس (١١٤) فعفص الطرفاء (١١٢) فالميعة السائلة (١٠١) فالهليون (١٠٠) فالخردل (٩٦) •

ورد في هذه الرقم كل دواء باسمه مقرونا بسابقة أو أكثر ، الاولى على أن الكلمة اللاحقة هي نبتة طبية والثانية ان وجدت فهي لجزء النبتة الحاوية على الدواء المستعمل • من هذه الاسماء مازال مستعملا في يومنا هذا مثل: العنب ، الخيش ، الطرطع ، الكمون ، السمسم ، انحلبة ، السعد ، الصبر ، الزعفران ، العنبر ، الارز ، الخروب ، القطن ، اللوز ، المرة ، المشمش ، السرو ، الشنان ، البابونج ، العناب ، البسلة ، الخباز ، الشيلم ، الصنوبر ، الشيح ، السوس ، الغار ، الثوم ، والكراث ، ومنها ما انتقل الى الاجنبية بتحوير بسيط ، مثل :

ander	الى	Ander
carob	الى	Harob
arzallu	الى	Azarolus
asafetida	الى	As
saffaron	الى	Asupiranu
cumin	الى	Kamunnu
curcumas	الى	Karkanu
cherry	الى	Karsu
lard	الى	Lardu
myrra	الى	Murru
nux	الى	Nushu
papaverine	الى	Papa
seasame	الى	Samassamu

للسوابق واللواحق في النباتات الطبية المدلولات الآتية :

١ ــ السابقة Sam تدل على ان الاسم لدواء •

٢ ــ و U على ان الاسم لدواء أيضا •

٣ ــ و gis على أن الدواء مستخلص من نبتة عطرية •

٤ ــ و hil للدواء المستخلص مــن صمغ النبتة .

٥ ــ و pa من نبتة قصبية .

٦ ــ و as من براعم النبتة .

٧ ــ و arqu من ورق النبتة

٨ ــ و inbu من ثمرة النبتة .

٩ ــ و me من ماء النبتة .

١٠ــ و isdu من جذور النبتة .

وقد يعمد الكاتب أحيانا الى ذكر شكل النبتة أو لونها للتعريف بهــا ، كأن يقول النبتة ذات اللون الاحمر ، أو ان الثمرة عنبية ذات لون أســود ، وفي أحيان قليلة يصف مفعولها للدلالة عليها ، فيقول ان دواءها ينفع النفس الحزينة ، أو أن دواءها يقلل الانجاب .

لم يعتمد طبيب تلك العهود الاسلوب المتبع حاليا في تصنيف النباتــات الطبية لان اهتمامه الرئيس كان في الدواء وليس في النبتة ذاتها ، لذلك صنفها في مجاميع ليس فيها من خصائص مشتركة الا المفعول الطبي لكل منهــا . يؤخذ على هــذا التصنيف انه لايجعــل الفصائــل المتقاربــة (Families) في مجموعة واحدة أو انه يجعل نباتات الفصلية الواحدة مبعثــرة في عــدة مجموعات ، لهذا جاءت الخشخاشيات (papavareceae) في نفس المجموعة مــع الباذنجانيــات (solanaccac) وجــاءت القنبيــات (filinaccac) مع الســدريات (conifcrac) والبابونجيات (camamollies) مع الشفويــات (labiatae). ان هذا التصنيف ومع ما يبدو فيه من سطحية وعلى الرغــم ممــا يحتاجه من جهد كبير لكتابته ،الا انه كان عاملا مساعدا على وضع دستــور لخصائص كل نبتة وتدوين اثر الدواء المستخلص منها على مختلف أجهــزة الجســم .

قائمة هذه الادوية كما وصلت الينا طويلة سنختص في هذا البحث على الاستعمالات الطبية لثلاث مجموعات منها وهي المسهلات والسموم والمخدرات •

المسهلات :

١ ـ الصبر sibru : ويستعمل خارجا لحكة الرأس وتقوية الشعر ، يمزج بالزيت ويطلى به (AM 5,5,4) •، ولوجع الاذن مع الزيت على قطنة توضع في الاذن (AM 3,5,9)• ، وللقدم يحمص ويمزج بالزيت ويطلى به ولتسمم اللحم ، مع زيت الارز يعمل كمادات (AM 74,3,4) (RA 1930,30). ويستعمل الصبر داخليا للبخر (النفس المنتن) يشرب وحده (AM 36,2,10) ولاحتقان الرئة وحرقة الفؤاد وحرقة البول يشرب مع البيرة(RA 1929,78) وللدم مع الغائط يشرب قاطع النزف (KM 3,4,3) أو يعمل به حقنة شرجية ؛ وتدق البذور مع الشحوم وتعمل ابوسات لنفس الغاية •

٢ ـ السوس Susu: يستعمل للتورم بسحق أوراقه الطرية ولفها على الورم (AM 73,1,31) وللحمل تغسل البطن بمائه سبع مرات (Kar 195,20)• وتستعمل البراعم للاقدام التي لا تتمكن من المشي (AM 69,79) وللشكوى من الشرج (AM58,2,7) وللامراض الجنسية (Kar 193,23)• ، أما الجذور فتستعمل خارجيا للجرح تسحن وتعمل مرهما يضمد به ، ولقروح الفم والقرح التناسلية يذر مسحوقها • تستعمل الجذور داخليا للمعدة واليرقان ، تسحن وتشرب من الماء (Ku 1,1,8) وللسعال تشرب مع البيرة (Kar 203,4,45) وللربو وألم الصدر كذلك ، ولألم المثانة والمجاري البولية تشرب مع النبيذ القوي (Kar 203,4,46) وتستعمل البذور للطمث وتشرب مع الحلتيت والبيرة • والرحيق يستعمل داخليا في أمراض الكبد •

٣ ـ الخـــروع sagabcgalzu وقد عرف منه ثلاثة أنواع :

(أ) الخروع الابيض AG - PAR: تستعمل نبتته خارجيا لحكــة الرأس، تسحن مع الزيت ويدهن بها الرأس ومثله لجفاف فروة الــرأس وضعف الشعر • تستعمل لطنين الاذن مع زيت الصنوبر على قطنة (AM 33,1,24) ولتشقق الاقدام تسحن وتعمل لبيخــة على القدم (AM 75,1,21) ولتسمم اللحم تمزج بـزيت الوج ويدهــن بــه (AM 9,24,10)، وداخليا للبخر تشرب مع عصير العنب والبــيرة ، وكذلك لحرقــة الفؤاد (AM 48,1,5) وعندما ينـزل الدم مــن الشرج ، يمزج مع قاطعات النزف ويشرب أو تعمل به حقنة شرجية (AM 41,1,26). تستعمل البذور لقشرة الرأس يمزج زيتها بالاشنان القلوي ويغسل به الرأس ثم يدهن بعد ذلك بزيتها (BMP No. 237)، وللشرج يعمل منها لبوسات مع الشحم •

(ب) الخــروع الأظلــم sam ahlamee sagabagalzu : للامعــاء المريضة يشرب مــع النبيذ (Kar 203,4,49) وللزحار مــع النبيــذ القوي (AM 59,1,36)

(ج) خــروع الـ AT-KAN: وهو نوع لايعرف نوعه ويستعمــل لآلام الحوض والورك يعمل لبائخ مع الذرة المحمصة والزيت ،أما بذوره فتستعمل للانجاب تسخن وتمزج مع الـ ••• والبيرة وتــوضع داخل الرحــم (Kar 203,1,19)

السمــوم :

وفيها الشقر والمغد والحوذان والزوان واليتوح والخربق ، وقد صنفت كسموم لان بعضها فضلا عن استعماله دواء يقتل اذا زادت الجرعة على المقدار المحدد لها ، كما ان بعضها الاخر لايستعمل للتداوي نظرا لسميته الشــديدة أو لآثاره الجانبية غير المستحبة •

١ ــ الشقــر Ar: وفيه ستة أنواع :

(أ) شقر النضــاب nusabu: ويستعمل موضعيــا للاسنــان والفــم وللامراض التناسلية ، وهو من احد (١١) دواءا (AM 78,1,20) توضع على رأس الاحليل ، وداخليا للانسداد المؤلم في البطــن شــــربا (BAB 1943,119) ولآلام الخصية شربا (AM 40,5,3) وللشرج يحمص ويشرب مع البيرة •

(ب) شقـــــر zim kaspi وهذا غير معروف لنا يشرب لآلام الكليــة (AM 39,9,2)

(ت) شقر التلول العاليــة Ar Kaspi يشــرب مــع البـيرة للشغــي (AM 59,5,3)

(ث) شقــر الحراج (الغابات) ar hurasi وهو أحد الادويــة الواحدة والخمسين لفك السحر •

(ج) شقــر الورود الحمــراء illuru samu لوجــع الــرأس شـــربا (AM 6,1,4)

(ح) الشقر الوردي ويستعمــل لانزال الطمث بأن يشرب مــع البـيرة (Kar 192,2,4)

٢ ــ المغد (عنب الثعلب) Karan selabi: تستعمل خلاصــة العنــب خارجيا تضمــد بها العيون (AM 12,6,4) وتغســل بهــا الاقدام المتشققــة (Kar 203) وتمــزج بالزيــت ويدهــن بهـــا الوجــه (AM 69,2,8) ولعضلات الرقبة تمزج مع خلاصة ورد لسان الثــور ويدهــن بهمــا (AM 97,4,22) وللشرج يدهن بها محمية وللكدمات وتسمــم اللحــم يضمــد بهـــا (Kar 197,13) ولحرقة البول والولادة المتعسرة تمزج مع البيرة والزيت وتشرب (KU 3,4,23) وللسعة العقرب تشرب مع بيرة الكــورنــو (KU 283,14) وللامراض البوليــة تدخل في الاحليــل

(AM 62,1,2) تستعمل البذور للشغى شربا وللبثور تدلك بهـا حتى تدمى ثم تضمد • الازهار تشرب لآلام المعدة ، وتستعمل الاوراق الغضة لمرض العين يغسل بخلاصتها ثم يرش غبار النحاس بعد ذلك •

٣ ــ الحوذان (قدم الغراب) : وقد عرف منه ثمانية أصناف :

(أ) ســم الإلهــاب sam ellibu لانه يلهب البطن اذا دخلها ، ويسمــى عدو الخبز لان سميته تولد العزوف عن الطعام وحتى الخبز •

(ب) الســم الاكــال sam akalc لانه يقرح الانسجة اذا لامسها •

(ت) السم الحنــز sam ensu ويسمى السم اللاذع •

(ث) السم المورم sam erimu لانه يلهب الجلد ويولد النفطات فيه •

(ج) سم الهرش sam hurastu ويستعمل للحكة والبثور (AM 2,3,4)

(ح) سم العبس sam a-absa لانه يولد تشنجا عضليا ويسمــى عــدو العضلــــة•

(خ) سم الاخراج sam argu ويعرف الان بحب الملوك ويولد اسهــالا شديدا عند بلع بذوره •

(د) ســـــم MAAZ MAAZ وهو دواء لا تعرف ماهيته •

٤ ــ الزوان (الشيلم او الدوسر) disaru : يجفف ويسحن ويمزج مع البــول لمعالجــة الجــرب (AM 84,4,6) ومع الماء والعسل كحمام لعرق النساء ومع الملح والفجل في علاج الجذام (Calpeper 1814,110).

٥ ــ اليتـــــوع hasaratum ومنـــه الطرثوث atirtum ولبــلاب الحقــــل Kamti eqli واللؤلؤة الحمراء lulutu وهذه الاخـيرة تنفـع لعــلاج وجــع الاسنــان (K 259,4) وتشرب بذورها مــع البيرة لوجع البطن (Kar 200,3)

٦ ـ الخـريـق qarbahu: وفيه أربعة انواع :

(أ) البؤسـان busanu ويستعمل للتورم (AM 100,3,20)

(ب) قـدم الكلب Kalab meme وينفع مسهلا ولانقطاع الطمث ووجع الاذن والاسنان ، وقد وصف بأنه نبـات الحكمة لان تعـاطيه ينشط الفكر ويجعل الشخص حكيماً •

(ت) الخريق الابيض : يستعمل خارجيا لطنـين الاذن يدخـل فيهـا على قطنـة (AM 33,1,24) وللسعال والرئتين مروخا (AM 28,8,9) ولتسمم العضـلات مروخـا أيضا ، ولبـد الشبح (الصـرع) يدلك بـه الرأس (AM 94,2,13)، ويستعمـل داخليـا لافـراز اللعـاب المفـرط ، يشـرب مع البـيرة ، وللمعـدة يشرب مع البيرة فاما يولد القيء أو يولد الاسهال (KU 2,1,48)

(ث) العطيـس atisu ويستعمل شربا لاحداث القيءأو كمرازج لقتل الجنين ، وكلا الخربقان الابيض والعطيس ينفعـان في معـالجة المـرض العقلـي المسمـى الهـوس.(Cyclop. Of botany 570) لم يعرف لماذا سمي هذا النوع من الخربق بالعطيس الا بعد تجربة جامعة فلادلفيا حيث اصيب جميع التلامذة المتطوعين بالعطـاس بعـد تنـاوله •

المخـدرات :

ومنها البنج واللقاح والقنب والخشخاش والشكران •

١ ــ البنـج tibuti eqli: ويستعمل خارجيا للسعة العقرب مع زيت الصنوبر ويدهـن بـه (AM 91,1,5) وللتورم بصورة لبائـخ (AM 64,2,8)، وداخليا للمعدة يشرب مع البيرة (AM 48,1,9) وللشرج يسخن ويمـزج بالدهن ويطلى به (KAR 193,7) وللـربو شربا (SMI 2,217)

٢ ــ اللقـــاح pillu: ويستعمل خارجيا لألم الاسنان بوضعه على المكـــان المـــؤلم (K 259,3) او على قطعة قماش يطلى بها الموضع (AM 28,1,3) ولامراض القدم يسخن ويصفـــى ويربط على القـــدم (AM 74,1,24) وللولادة الصعبة يسخن ويمزج بالـــزيت وتطلـــى بـــه السرة ولشكوى الشرج يسخن الجذر ويمزج مع الذرنـــوح (AM 67,71,12) والزيت ثم يطلى به الموضع (AM 75,5,14) أو يعمل لبوســـات للشـــرج (AM 4,6,11) ولتسمـــم اللحم يبخـــر بـــه (AM 91,1,11) وتستعمل زهوره للعين (AM 16,3,5) والاوراق للقدم المشققة تلف عليها (AM 69,5,2).

٣ ــ القنـــب qunnabu: وأشهر انواعه القنب الهندي وقد سماه قـــدماء العراقيـــون ــ دواء الحزن ــ وقائط الروح ــ وسارق العقل • يستعمل خارجيا للصداع بصورة لبائخ (AM 102,39) وللتورم مع النفط ابائخ أيضا ، وللكدمات يخلط مع الطحين الناعـــم ويلبخ به (KAR 192,34)، وداخليا لقنوط الروح ويؤكل ويشرب من دون طعام (KAR 203,1,39)، ويمزج ويشرب مع البيرة • ولحصاة الكلية مع بيض النعـــام والشقر الحـــرجي ومـــاء التمـــر والبـــيرة شـــربا (Lutz AJSL 1919,81,76)، أما بذوره فتستعمل لانحباس الطمث تشرب مع الزعفـــران والنعنـــاع وكحجاب تلظم على خيط أبيض وتعلق على الرقبة • (KAR 194,4,1)

٤ ــ الخشخـــاش irru: يستعمل رحيقـــه خـــارجيا للعـــين (AM 17,4,9) وللقدم يسخن ويمزج بالزيت ويطلى به (KAR 192,1,2)، وداخليا للمعدة شـــــربا (KAR 157,1,2) ولحصاة الكليـــة يشـــرب مـــع البـــيرة أو مع زيت كليـــة الكبـــش لعمـــل لبوســـات (Lutz AJSL 1919,81) أو مع زيت الجبال (النفط) واللقـــاح (AM 57,1,7) (KAR 201,40)

أو حقنة شرجية للبطن المنتفخة (KAR 157,1,21)، تستعمل البذور خارجيا للشعر الضعيف يحلق الرأس ويلبخ بها (AM 4,1,26) وداخليا لاضطرابات البول تشرب منقوعة (AM 59,1,18) وللمعدة مع الخردل في البيرة (KU 1,2,31) وتستعمل البراعم للمعدة تشرب مع مع الخردل والبيرة (KU 1,2,31) أو مع الزيت والنبيذ (KU 3,1,36)، تستعمل الجذور للرأس المليء بالمرض تجفف وتسخن وتلبخ (CT 23,50,22) ولتقوية الباه (AM 65,7,5) يستعمل الرحيق للتورم مع الدقيق الناعم يعمل لبائخ (AM 73,1,22) ولوجع بطن الحامل يشرب مع البيرة والزيت (KAR 4,49,2) تستعمل الازهار لتشقق الجلد بصورة لبائخ (AM 32,5,7) والثمار للمعدة المريضة تشرب مع البيرة (KU 4,49,2)

٥ ــ الشكران sakiru: وقد ذكر منه نوعان ، الاسود والسرمد :

(أ) الشكران الاسود : ويستعمل خارجيا للاسنان على أن يكون ما زال أخضر (AM 47,4,5) وللتورم يجفف ويسحن ويعمل لبائخ (KAR 192,1,24) وللارتخاء بعد الولادة يوضع في المهبل مع أربعة أدوية أخرى ، وداخليا لليرقان شربا مع البيرة (KU 2,4,14) وللمعدة يشرب بالبيرة مع دوائين آخرين (KU 2,1,45) وتستعمل البذور لحكة القدم كلبائخ (AM 74,3,9) ولإنزال الطمث شربا مع حب الغار وحب الشوك في البيرة (KAR 194,1,8)، وتستعمل الجذور لألم الرقبة تسخن وتخلط بالزيت ويطلى بها (KAR 70,63)

(ب) السرمد asarmadu: لنخر الاسنان يوضع في النخر (AM 78,1,29) وتستعمل بذوره لوجع الرأس تسحن وتمزج بالزيت ويدهن بهاء

ايضاح :

ان ما ورد في المتن من ذكر للمراجع بحروف وارقام فهي ، لمن لم يألفها ، لها الدلالات الآتية :

الحروف الاولية هي لقاريء الرقيم (AM=Assyrian medical text)
و (KAR = Kraus A.K.) و (KU = Kuchler) و
(RA = Robinson) ••• الخ•

أما الارقام فالاول لتسلسل الرقيم والثاني لتسلسل بنوده والثالث ان وجد فهو للاسطر •

مسـألة الميـــــاه
في مفاوضات التسوية العربية ـ الصهيونية

الدكتور غازي اسماعيل الربابعة
قسم العلوم السياسية ـ الجامعة الاردنية

الملخص :

استحوذت قضية المياه على اهتمـام السياسة الاسرائيلية عبر جـولات المفاوضات المتعددة الاطراف ، وقد أظهرت تلك المفاوضات تمسك الجـانب الاسرائيلي بالسيطرة على مصادر المياه في الاراضي المحتلة وطرح مشروعـات تعاون اقليمي تحصل اسرائيل بموجبها على المزيد من المياه في الدول العربية المجاورة وفي هذا السياق عملت اسرائيل جاهدة من أجل الحصول على مياه نهر النيل لري النقب الشمالي ولكنها لم تفلح حتى الآن في اقنـاع السياسة المصرية بسبب الوعي العام على المستوى الرسمي والشعبي •

وقد سمعت اسرائيل الى توقيع معاهدة سلام مع كل من سورية ولبنان بهدف تكريس شرعية الاستغلال الاسرائيلي لمصـادر المياه في هـذه الدول ولم تنجح في ذلك • وقد نجحت في توقيع اتفاقية غير متكافئـة حول المياه مع الاردن • ثم جاء اتفاق اوسلو ليحقق لاسرائيل السيطرة الكاملـة على مياه مناطق الحكم الذاتي ولم تلتزم اسرائيل بتزويد السلطة الفلسطينيـة بأية معلومات حول المياه كما لايحق للفلسطينيين المشاركة بأية صلاحيـات للتخطيط حول امكانية الاستغلال المائي •

اهمية الدراسة

تأتي أهمية الدراسة في تناولها لقضية المياه في المفاوضات متعددة الاطراف ، بما يبرز آلية التفاوض الاسرائيلي ومراميها وأهدافها وأثر ذلك على الحقوق العربية ولاسيما المائية منها ، وتسليط الضوء على الطروحات العربية عبر المسارات التفاوضية في مواجهة سياسة اسرائيل المائية .

اهداف الدراسة

تهدف الدراسة الى التعريف بالتصورات الصهيونية بشأن الموارد المائية التي تسيطر عليها اسرائيل ، ومدى استعدادها للتخلي عنها لصالح الجانب العربي ، وبيان تطلعات اسرائيل المستقبلية وخططها للسيطرة على المياه العربية كما عبرت عنها في مسيرة التفاوض العربي الاسرائيلي حول قضايا المياه ، وخلق الوعي لدى صانع القرار والمفاوض العربي والرأي العام العربي بأبعاد المخطط الصهيوني بشأن قضايا المياه ووسائل مواجهته .

فرضية الدراسة

تدور فرضية الدراسة حول فكرة رئيسة تقول ان قضية المياه يمكن أن تكون نذير حرب أو أداة تعاون بين الدول العربية والكيان الصهيوني .

حدود الدراسة

تبحث هذه الدراسة بالطروحات الاسرائيلية التفاوضية مع الاطراف العربية حول قضايا المياه على المسارات التفاوضية ، المصرية ، اللبنانية ، الاردنية ، السورية ، والفلسطينية منذ مؤتمر مدريد ١٩٩١ حتى الوقت الحاضر مع عرض للمواقف العربية على تلك المسارات .

إشكالية الدراسة

تدور اشكالية الدراسة على الاجابة عن عدد من التساؤلات ، ما التصورات الاسرائيلية بشأنقضايا المياه ؟ وما مدى استعداد اسرائيل

لاعادة المياه العربية المسروقة الى الاقطار العربيـــة في ظل أية تسويـــة سلمية ؟ وما مضمون الاتفاقيات التي توصلت اليها اسرائيل مع بعض الاقطار العربية ؟ وما الآثار السلبية والايجابية التي ترتبت على ذلك ؟

منهجية الدراسة

يعتمد المنهج المتبع على أسلوب تحليل المعلومات التي تـم الاطـلاع عليها واستخدامها من مختلف الدراسات والبحـوث وأوراق العمـل ولعـل أهم المسوغات لذلك حداثة الموضوع وأهميته مما يستدعي المزيد من الدراسة، وقد توخت الدراسة مراجعة المصادر والدوريات وعـدد من المقـالات العلمية المنشورة في دوريات متخصصة فضلا عن الكتب المتوفرة في هذا المجال .

اولا : التصور الصهيوني لقضية المياه

أدرك مخططو الاستراتيجيـة الصهيونية أهمية المياه في التخطيـط الصهيوني وبرامجه قبل قيام الكيان الصهيوني ولاتزال المياه العامـل الهام في قرارات الحرب الاسرائيلية وفي الجهـود السلمية التفاوضية[1] واستمرت الجهود التفاوضية حول قضية الميـاه محل خلاف بـين الكيان الصهيوني والاطراف العربية[2] على الرغم من توقيع معاهدات سلام . وقـد سعـى الكيان الصهيوني ومنذ مؤتمر مدريد عام ١٩٩١ وعبر مسـار المفـاوضات الى الضغط على الاطـراف العربيـة المفاوضة لعقـد اتفاقيات ثنائية مـع كل طرف عربي على حـدة وصولا الـى تنفيذ المشـروع الصهيوني الرامـي الى السيطرة على المياه العربية ويندرج هذا المشـروع في اطار عمليات التطبيـع

(١) العبدالله حسن ، الامن المائي العربي ، مركز الدراسات الاستراتيجيـة والبحوث والتوثيق ، بيروت ١٩٩٢ ص (٥) .

(٢) السباهي زكريا ، الميـاه في القانون الدولي وازمة المياه العربية ط١ ، دار طلاس دمشق ، ١٩٩٤، ص (١٢١) .

المقترحة[٣] ، وتحقيق مشاريع التعاون الاقليمي بين جميع دول الشرق الاوسط ومنذ مؤتمر مدريد وتصريحات المسؤولين والخبراء الاسرائيليين تدعو الى عدم اعادة الارض المحتلة ولاسيما الضفة الغربية لما يمثله من خطورة على كمية المياه المتدفقة لاسرائيل من الضفة الغربية ، اذ يأتي أكثر من ثلث المياه المتدفقة لاسرائيل من الضفة الغربية ويأتي تمسك اسرائيل بأجزاء من قطاع غزة لان التخلي عن هذه المناطق لسيادة أخرى من شأنه حسب التفسير الاسرائيلي أن يعرض المياه في الكيان الصهيوني لأخطار النضوب وزيادة الملوحة في حالة ازدياد الاستهلاك المائي في المناطق المحتلة بعد عدوان ١٩٦٧[٤] .

ثانيا : المفاوضات العربية الاسرائيلية بشأن المياه

يمثل مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١ بداية المسار التفاوضي العربي الاسرائيلي ففي الخطاب الافتتاحي للمؤتمر خص اسحاق شامير رئيس وزراء الكيان الصهيوني مسألة المياه اذ دعا الى ضرورة العمل المشترك لحماية مياه العقبة والبحر الاحمر من التلوث وأن يشارك في هذه الجهود حسب رأيه كل من اسرائيل والاردن ومصر مشيرا الى ان مشروع المياه الاستهلاكي في اسرائيل قد كلف (٤٠٠٠) مليون دولار في الوقت الذي كلف فيه السد العالي في مصر عشرات المليارات من الدولارات وملمحا الى ان هذا المشروع يشكل حدود اسرائيل مع الاردن في الشمال والجنوب[٥] .

وبعد سنوات من التفاوض بين اسرائيل والدول العربية المجاورة توصلت بعضها الى عقد اتفاقية سلام مع اسرائيل ولايزال بعضها الآخر في مرحلة التفاوض وبعد أشهر من توقيع منظمة التحرير على اعلان المبادىء فيواشنطن

---

(٣) الزعبي الارقم ، الغزو الصهيوني للمياه العربية ، ط ، دار النفائس ، بيروت ١٩٩٢ ص ص (٧٤-٧٥) .

(٤) تشرين ، دمشق ١٩٩٠/١٢/٣٠ .

(٥) السباهي زكريا ، مصدر سبق ذكره ، ص ص (١٦٦-١٦٧) .

في ١٣ أيلول ١٩٩٣[٦] ، وقعت المنظمة واسرائيل الاتفاق الخاص بتطبيق الحكم الذاتي في قطاع غزة وأريحا (اتفاق غزة أريحا اولا) وكان من النتائج المباشرة لمؤتمر مدريد للسلام تشكيل خمس مجموعات عمل ، الاولى لجنة الحد من التسلح والثانية لجنة المياه واللجان الثلاث الاخرى تتعلق باللاجئين والبيئة والتنمية الاقتصادية ، وترأس الولايات المتحدة مجموعة المصادر المائية في حين تقوم المجموعة الاوربية واليابان بدور المنسق التنظيمي[٧] .

وعندما بدأت مجموعات المفاوضات الاقليمية متعددة الاطراف عملها في نهاية أبريل ١٩٩٢ وهي المرحلة الثالثة من مفاوضات السلام العربية الاسرائيلية من أجل التسوية النهائية في الشرق الاوسط كانت المياه على قمة جدول الاعمال[٨] .

لقد واجهت لجنة مصادر المياه مصاعب جمة منذ بدء تشكيلها في مؤتمر موسكو التحضيري للسلام في الفترة من (٢٨ــ٢٩ كانون الثاني ١٩٩٢) بين الجانبين العربي والاسرائيلي بشأن أهداف المباحثات وحتى موعدها . وانتهى اللقاء من دون أي تحديد لمكان موعد اللقاء القادم . ولم تتمكن الاطراف البدء بصورة جدية في المباحثات الا بعد ثلاثة شهور من الترتيبات لانعقاد الجولة الاولى في فينا (١٢ــ١٤ كانون ١٩٩١) ، وتوالت الجولات اللاحقة على الوتيرة نفسها من التناقضات . فمن ٦ــ١٧ أيلول عقدت الجولة الثانية في واشنطن وعقد الجولة الثالثة في واشنطن وعقد الجولة الثالثة في جنيف ٢٧ــ٢٩ نيسان ١٩٩٣ ، فيما عقدت الجولة الرابعة في بكين ٢٦ــ٢٨ تشرين الاول ١٩٩٣ أما الجولة الخامسة فقد عقدت في مسقط في

---

(٦) صحيفة الدستور ، عمان ، العدد (٩٣٦١) ١٩٩٣/٩/١٤ ص .

(٧) علي للو ، المفاوضات المتعددة الاطراف ، صحيفة الخليج ، الامارات ، ١٩٩٧/٦/٢٩ ص٧ .

(٨) فارس نبيل ، حرب المياه في الصراع العربي الاسرائيلي ، دار الاعتصام، القاهرة ١٩٩٣ ص ٢٦٥ .

الفترة من ١٧–٢٠ نيسان ١٩٩٤ ودعت لها عمان ٢٤ دولة الى جانب ممثلين عن البنك الدولي والامم المتحدة[٩] .

ثالثا : الموقف العربي التفاوضي بشان المياه

تركزت مواقف الخلاف بين الجانب العربي والاسرائيلي ونقاطه في كل الجولات السابقة وبصورة علمة على النقاط التالية[١٠]:

١ – رفض الجانب العربي محاولات اسرائيل اشراك أطراف غير عربية لتأمين حصولها على المياه تجنبا لاثارة أية صراعات جديدة في المنطقة على مصادر المياه وعدم استعداد الجانب العربي لتحمل مسؤولية توفير المياه لاسرائيل مع تمسك الجانب العربي باستعادة موارده المائية المحتلة على نهر الاردن واليرموك والليطاني والموارد المائية الاخرى .

٢ – قاطعت سورية المفاوضات وأعلنت موقفها برفض استخدام أراضيها لأية مشاريع مائية تخدم اسرائيل .

٣ – أكد الفلسطينيون موقفهم لحل مشكلة المياه بصورة كاملة دون فصل الجوانب الفنية عن القضايا السياسية حسب المطلب الاسرائيلي .

٤ – اقترحت اسرائيل انشاء بنك اقليمي للمعلومات عن مصادر المياه تقدم المعلومات لكل الاطراف المعنية لتكون صيغ التعاون المشترك .

ويمكننا أن نوجز مواقف اسرائيل والدول العربية المعنية مباشرة في مفاوضات المياه المتعددة الاطراف كما يأتي :

---

(٩) بور حمة ، حمد ، ادارة ازمة المياه في الشرق الاوسط ، واقع وآفاق ، رسالة ماجستير مقدمة الى معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر ، ١٩٩٤ ، ص٨٧ .

(١٠) صبحي مجدي ، ازمة المياه المفاوضات المتعددة الاطراف ، السياسة الدولية العدد (١٤٤) اكتوبر ، تشرين ١٩٩٣ ص ١٩٢ .

١ • الموقف المصري من المطالب الاسرائيلية بمياه النيل

لم يعد لمصر أراضٍ أو موارد مائية تحت السيطرة الاسرائيلية ، ولكن ما يواجه مصر هو ضغوط اسرائيل للحصول على مياه النيل •

لقد تعددت المشروعات على محور النيل بغرض الحصول على مياه النيل لري النقب الشمالي مما يسمح بالتوسع في أعمال الاستيطان • حيث يزعم المشروع أن كميات ضئيلة من المياه بالمقياس المصري (٥ر٠ـ١٪) من الاستهلاك لاتشكل عنصرا مهما في الميزان المائي المصري)[١١] •

وترى اسرائيل أن مصر تعمل بالفعل على اقامة مشروع لنقل مياه النيل الى سيناء ، وأن نقل المياه لاسرائيل هو مجرد توسعة لشبكة المياه المصرية في سيناء خاصة وأن فوائد المشروع ليست موجهة للاسرائيليين • فقط بل يمكن استفادة الفلسطينيين منها • ومن الناحية المادية فان نقل مياه النيل الى النقب أقل كلفة من تزويدها بمياه بحيرة طبريا التي يمكن أن تحول مياهها الى الضفة الغربية[١٢] •

ان المزاعم التي تروجها اسرائيل من ان مصر لديها فوائض مائية مرتقبة غير صحيح حيث أن المياه التي تضحي بها مصر لتذهب الى البحر المتوسط ترجع الى ثلاثة أسباب رئيسة[١٣] •

١ ـ الحاجة الى المحافظة على التوازن الملحي في الدلتا وذلك بالتخلص من الاملاح في شكل ملح مذاب في الماء •

٢ ـ أن هناك اتصالا بين مياه البحر المالحة والمياه الجوفية الموجودة تحت الدلتا • فمياه البحر أما أن تدخل أو تقف أو تطرد للخارج • وتقوم

---

(١١) مخير سامر ، حجازي خالد ، أزمة المياه في المنطقة العربية ، الحقائق والبدائل الممكنة ، مطابع السياسة ، الكويت، ١٩٩٦ ، ص ٨٧ •

(١٢) فتحي • علي حسين ، المياه في المفاوضات المتعددة الاطراف ، السياسة الدولية ، عدد ١٠٨ نيسان ١٩٩٢ ، ص٢١٣ •

(١٣) أبو زيد محمود ، حوار اجرته معه سلوى ابو سعدة ، مجلة المصور ، ١٠/١/١٩٩٢ •

ميا ءالخزن الجوفي بالاتجاه شمالا لاعاقة ميـاه البحـر المـالحـة .
(نحو ٥ر٠ مليار م٣ سنويا) .

٣ ـ لو لم يتـرك جـزء من مياه فرع الرشيد ليذهب الى البحر فهذا مـن شأنه أن يدفعها للارتداد للدلتا واحداث آثار تدميرية .

ان المشروع الاسرائيلي يتجاوز عن كـون مصر دولة من دول حـوض النيل وهي تلتزم بناء على ذلك بألا تأتي بأي تصرفات تؤدي الى الاضـرار بسائر دول الحوض . كما أن مصر تلتزم بقواعد القانون الدولي التي لاتسمح بمثل هذا التصرف . وأن الغرض من المشروع الاسرائيلي اثارة مخاوف دول الحوض واستثمار هذه المخاوف لتهديد أمن مصر القومي(١٤) .

وما تزال مصر تعلن عن رفضها للمطالب الاسرائيلية لنقل مياه النيـل، وهو ما صرح به وزير الخارجية عمرو موسى قبيل افتتاح مؤتمر وزراء خارجية منظمة الوحدة الافريقية في أديس أبابا في ٢٢/٢/١٩٩٢(١٥).

وهناك من يعتقد أن موقف مصر هذا يعود الى سببين :

١ ـ تحذيرات أثيوبيا ودول حوض النيل الاخرى من ان مصر لا تعاني نقصا بالمياه لاسيما اذا قامت بتزويد اسرائيل بمياه النيل وهو ما يقتضـي تخفيض حصتها مع تزايد حاجات دول المنبع والمسار . في الوقت الذي تعمل فيه مصر للوصول الى اتفاقيـة جديدة لدول حوض النيل تزيـد من حصتها أوتحافظ على نصيبها حسب اتفاقيتـي ١٩٢٩ و ١٩٥٩ ، لذلك فان المشروع الاسرائيلي يضعف موقفها .

٢ ـ الرأي العام المصري الذي أصبح يرفض بشدة أي حـديث عن تـزويد اسرائيل بمياه النيل ، لاسيما بعد ازمة نقص المياه عام ١٩٨٨ بمصر(١٦)، فنقص المياه بات يهدد كل مواطن مصري في جميع القطاعات .

---

(١٤) مخيمر سامر ، حجازي خالد ، مصدر سابق ذكره ، ص ١٩٧ .
(١٥) فتحي علي حسين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١٤ .
(١٦) حدثت ازمة في مصر عام ١٩٨٨ ، عند انخفاض مستوى مياه النيل بسبب قلة سقوط الامطار على هضبة الحبشة .

ربصورة عامة يظهر الموقف المصري بشكل تضامني مع الجانب العربي، وتنسيقي مع الاطراف المعنية ، لتحقيق التقدم المطلوب في قضيـة الميـاه والقضايا الاخرى المرتبطة بها • ان آمال اسرائيل في الحصـول على ميـاه النيل قد أصبحت ضعيفة بسبب التصريح الحازم الذي أصدرتـه مصر بعدم اعطاء اسرائيل قطرة واحدة من مياه النيل ، وازدياد المعارضـة الشعبيـة المصرية لبرنامج السادات لاعطاء اسرائيل مياه النيل • فقد اتجهت اسرائيـل الى مياه نهر اليرموك الذي تحتاج منه الى ٢٥ـ٤٠ مليون متر مكعب حسب مشروع جونسون وحسب ادعاء اسرائيل ويقول الاسرائيليون اذا لـم يقبل الطرف الاخر ـ المقصود سورية والاردن ـ بمطالب اسرائيل فيها ، فـان اسرائيل تحتفظ لنفسها بحق اتخاذ اجراء يرغم الطرف الاخر بالقـوة على التعـاون معها •

ويميل الاسرائيليون الى الربط بين تحقيق السـلام وانهاء حالة الحرب بينهم وبين الاطراف العربية من جهة واقرار مشروعهم المائي من جهة أخرى ، وفي هذا الصدد يشير البروفوسور «دان سالارفسكي» مفـوض الميـاه في اسرائيل وأحد اعضاء الوفد الاسرائيلي في لجنة المياه بالمباحثات متعـددة الاطراف في فيينا عام ١٩٩٢ الى أنه[١٧] «اذا كان أحد يقصـد السـلام فينبغي أن لايجادل بشـأن المياه وعليه أن يجلس لمحاولـة البحث عـن حلول فنية فاذا كانوا يقولون (يقصد العرب) أنه لايمكننا التحـدث اليكـم عـن المياه لاننا لانزال أعداء فانهم لايقصدون السلام » •

ومن الجدير بالذكر أن معظم جولات المفاوضات لم تحقق أي تقـدم ملموس لحل التناقضات والخلافات بين الطرفين العربي والاسرائيلي حـول مسألة المياه فضلا عن عدم اتسامها بالتوازن بين الاطراف المشاركة بها • فقد

---

(١٧) بيرو فيزو بلارد ، المياه في الشرق الاوسط مصـدر للحرب المقبلـة ام فرصـة للتعاون الاقليمي ، هنـا لنـدن ، العـدد ٥٣٣ مارس آذار ١٩٩٣ ، ص ٩ •

كانت الاجتماعات شاملة وركزت على مسائل تتعلق بالبدائل الفنية اللازمة مثل تحلية المياه ولاتركز على جوهر المشكلة •

٢• قضية المياه على المسار اللبناني – الاسرائيلي

تؤكد اسرائيل ان مياه الليطاني تذهب هدرا الى البحر وهي زائدة عن حاجة لبنان ومن هنا تتابعت المحاولات الاسرائيلية للسيطرة عليه •

تتضمن أركان المشروع الاسرائيلي بالنسبة الى لبنان الاستغلال الكهربائي لنهر الحاصباني ، ونقل مياه الليطاني الى اسرائيل واستغلاله كهربائيا[١٨] •

لقد أعلنت اسرائيل رسميا في ١١/٥/١٩٩١ أنها لن تنسحب من لبنان حتى تضمن حصتها من مياه الليطاني وأنها لن تتخلى عن الحزام الامني الا بعد ضمان حصتها من المياه ، ولم تترك اسرائيل وسيلة الا وأوحت فيها بحتمية وضرورة الاستثمار المشترك مع لبنان لمياه هذا النهر وتنطلق في موقفها هذا من ادعاء مفاده أن لبنان يمتلك فائضا من المياه وأن لا حاجة له بالتالي لكل الموارد المائية المتاحة في الليطاني[١٩]•

وفي رأي الكثير من المعلقين والمراقبين الذين تابعوا أعمال مؤتمرات السلام المائية ومباحثاته الثنائية والمتعددة أن ما تسميه اسرائيل بالحزام الأمني الذي أقامته في جنوب لبنان عام ١٩٨٢ هو حزام مائي وليس حزاما أمنيا فحسب لان داخل هذا الحزام يقعحوض الحاصباني بكامله نبعا ومجرى ويصب في بحيرة الحولة بعد التقائه بنهر بانياس • كما يقع ضمن هذا الحزام أيضا نهر الوزاني ومجرى بما يضمن لهـا تصريف حوالي ٣٢٠ مليون م^{3} من المياه العذبة الخالية من الاملاح المعدنية • ولهذا وذاك فان اسرائيل تربط انسحابها من جنوب لبنان عاجلا أم آجلا بالحل السلمي الشامل للنزاع

(١٨) مخيمر سامر ، حجازي خالد ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩٦ •
(١٩) المصري جورج ،الاطماع الاسرائيلية في المياه العربية ، ط١ ، مركز الدراسات العربي الاردني ، ١٩٩٦ ، ص ٤٩•

العربي الاسرائيلي وبما يتضمنه هذا الحل من تضمينات وتعهدات اقليمية وأقاليمية بتأمين حصة اسرائيل من مياه تلك الانهار[٢٠]•

ان ما يطالب به لبنان تحديدا هو تنفيذ قرار مجلس الامن رقم (٤٢٥) القاضي بانسحاب اسرائيل من جنوب لبنان • وكان لبنان يرفض حتى المشاركة في مباحثات السلام محذرا من أن قراري مجلس الامن ٢٤٢ ، ٣٣٨ لاينطبقان عليه ، وأن ما يتعلق في لبنان هو قرار ٤٢٥ ويتخوف لبنان من تأجيل انسحاب القوات الاسرائيلية أو دمجه في تسوية شاملة للسلام قد تكون على حساب أراضيه المحتلة بالجنوب أو ربط انسحاب اسرائيل بتنفيذ قرار مجلس الامن رقم (٥٢٠) الداعي الى انسحاب جميع الجيوش الاجنبية من لبنان ، ولكن لبنان شرع بالفعل في مباحثات السلام على الرغم من مقاطعته للجولات المتعددة الاطراف الخاصة بالمياه[٢١] • لقد دخل لبنان مسيرة التسوية السياسية لانه يعلق الاهمية على تنفيذ القرار (٤٢٥) اذ ان اتفاق الهدنة لعام ١٩٤٩ ما زال يحكم الوضع بينه وبين اسرائيل •

وتسعى الحكومة الاسرائيلية الى تجزئة القضية على مراحل تحاول فيها اخبار اللبنانيين الى ان مشكلة الانسحاب من الجنوب ستظل عالقة حتى الوصول الى التطبيع الكامل بين الطرفين ، علما بأن القرار ٤٢٥ هو قرار مستقل متكامل يتضمن آلية ذاتية مفصلة • ولا يرتبط بأي شكل من الاشكال بالمساعي القائمة لتطبيق القرارات الدولية المتعلقة بالاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ • وهذا كله لمواصلة استغلال مياه الجنوب الحيوية التي ستحدد مسار الكثير من القضايا الاستراتيجية الاخرى وخاصة مسألة التعاون بين دول الشرق الاوسط •

---

(٢٠) السباهي زكريا ، مصدر سبق ذكره ، ص‌ص ١٦٧-١٦٨ •

(٢١) بو رحمة ، حمد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩١ •

٣ ـ قضية المياه على المسار السوري ـ الاسرائيلي

تعد هضبة الجولان أحد المصادر الرئيسة للحياة في فلسطين . اذ يأتي نحو (٣٠٪) من المياه الاسرائيلية منها . ويوجد في الهضبة حوالي (١٠٠) نبع تنبع كمية مياه تتراوح ما بين (٥ـ٦٠) مليون متر مكعب سنويا . وأعلنت اسرائيل عن ضمها للمنطقة المحتلة من الجولان لاعتبارات مائية واستراتيجية . فهي تشرف على سهل الحولة ومنطقة بحيرة طبريا ووادي اليرموك . كما انها تشتمل على روافد لنهر اليرموك وعلى جزء مهم من مواقع العمل في المشروع العربي لاستثمار نهر الاردن وروافده . لذا فان سيطرة اسرائيل على الجولان يعني الاستفادة من مصادر المياه القريبة منها في منطقة جبل الشيخ حيث المنابع الرئيسة لنهر الاردن وفي بحيرة طبريا حيث يوجد خزان المياه الطبيعي لنهر الاردن وفي وادي اليرموك الادنى حيث توجد منشآت الري الاسرائيلية في مثلث اليرموك[٢٢] .

ومنذ عام ١٩٧١ بدأت السلطات الاسرائيلية باستغلال مياه الجولان من خلال شركة ميكوروث التي قامت بحفر مجموعة من الآبار الارتوازية لصالح المستعمرات الصهيونية في الجولان . كما اقامت الشركة محطة لضخ المياه من بركة رام التي تقع على أقدام جبل الشيخ الى المستعمرات حيث تستقبل هذه البركة مياه للسيول الناجمة عن ذوبان الثلوج فوق الجبل بطاقة سنوية تبلغ (٧٥) مليون م٣[٢٣]، وتغري أهمية الجولان المائية الاسرائيليين بالتشبث بها واحتلالها فنجد بعض خبراء المياه يعلنون استبعاد سورية من أية تسوية اقليمية للمياه . ويقول اليشع كالي « أن سوريا قد خرجت عن صورة قطاع المياه الاقليمي كليا تقريبا ، وذلك نتيجة السيطرة الاسرائيلية على مرتفعات الجولان » ويؤكد اليشع كالي هذه الرغبة

---

(٢٢) فارس نبيل ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢٦٣ـ٢٦٤ .

(٢٣) عبدالقادر صالح حسن ، حرب المياه بين العرب واسرائيل ، شؤون عربية ، ٥٤ ، ١٩٨٨/٩/٩ ، ص ٥٦ .

الاسرائيلية لدى حديثه عن المنطقة التي تشملها التسوية الاقليمية للمياه (مصر ، اسرائيل ، الاردن ، لبنان) • « استثنيت سوريا على الرغم من حدودها المشتركة مع الاسرائيليين اذ ليس لها في التشكيل السياسي الحالي مشاركة مائية ذات صلة مباشرة بالموضوع الذي يتم فيه البحث[٢٤] » •

وتعد المسألة المتعلقة بالمياه من أشد النقاط خلافا بين سورية واسرائيل• فالجانب الاسرائيلي يطالب بتعهد سورية بعدم القيام بتحويل مياه الجولان الى أراضيها ، في حين يرى المفاوض السوري أن من حقه المطالبة بالانسحاب واسترداد مصادر المياه في مناطق بانياس والحمة واستخدام هذه المصادر كما تشاء وترى سورية ان التسوية الشاملة لكل الاطراف وعلى الجهات هي الحل المطلوب[٢٥] •

وترى سورية ان التفاوض حول التعاون الاقليمي كتوزيع مصادر المياه والاتفاق على صيغة لاستخدامها لايمكن ان يتم قبل تحديد ملكية مناطق هذه المياه وتسوية وضع الاراضي المحتلة من قبل اسرائيل كهضبة الجولان السورية التي لاتكتسب أهمية استراتيجية عسكرية وأمنية فقط بل دورا رئيسا في نزاع المياه مع اسرائيل[٢٦]•

ونقل عن وزير الاعلام السوري قوله « بوجوب تأجيل التفاوض على المصادر المائية العربية الى مجموعة العمل على المياه ، في المفاوضات المتعددة الاطراف التي تضم جميع الاطراف العربية واسرائيل اذا كان الموقف في مصلحة الاطراف العربية فان الاستفادة منه تتطلب في أقل تقدير تنسيق المواقف فيما بينها ، ويحتاج الى ذلك الاردنيون والفلسطينيون الذين عليهم أن يحصلوا على حقهم ليس فقط بموافقة اسرائيل بل أيضا بموافقة سوريا

---

(٢٤) كالي اليشع ، المياه والسلام من وجهة نظر اسرائيلية ، ط١ ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ، ١٩٩١ ، ص ٢٦ .

(٢٥) المصري جورج ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٩٧ـ٩٨ .

(٢٦) صحيفة البيان ، ١٣/٥/١٩٩٢ .

خصوصا اذا استعادت الجولان ، ومن المهم ان يبدءوا حوارا مع سوريا في أقرب وقت ممكن[٢٧] » .

وفي حال عودة الجولان الى سورية ، فان اسرائيل ستفقد السيطرة على مصادر تغذية نهر الاردن موردها المائي الرئيسي ، كما ان السيطرة الاسرائيلية على الجولان تعطيها قدرة أكبر على تحقيق اطماعها في مياه نهر الليطاني أيضا[٢٨] .

ولا مبالغة في القول ان سورية تستطيع نشر الجفاف في اسرائيل اذا ما عادت سيطرتها على الجولان ، لذلك فانه ليس في التفكير الاستراتيجي أو التفاوضي الاسرائيلي ما يفيد بامكانية التخلي عن الهضبة ومواردها المائية ليس فقط لاحتياجاتها الشديدة لها وانما لان مياه الجولان في حال عودتها الى السيادة السورية ستؤدي الى تنمية منطقة حوران جنوب البلاد التي ستصبح منطقة زراعية تهدد الاقتصاد الاسرائيلي بمنتجاتها الرخيصة الثمن والعالية الجودة[٢٩] .

ويقول (ابراهام كيتس عوز) رئيس مجموعة العمل حول مشاكل المياه في المفاوضات المتعددة الاطراف حول مصير المصادر المائية في هضبة الجولان في حالة الانسحاب الاسرائيلي « ان المياه المتدفقة الى بحيرة طبريا بصورة طبيعية ستبقى على ما هي عليه في المستقبل ولن نسلم السوريين مصادر نهري دان وبانياس[٣٠] » . فضلا عن ان انسحاب اسرائيل من الجولان سيسفر عن انتقال ٤٠ مليون م٣ من السيطرة الاسرائيلية الى السيادة السورية ، وان هذا الانسحاب سيحرم اسرائيل من بعض روافد نهر الاردن . وعلى

---

(٢٧) نقلا عن الموسى شريف ، من اجل تجنب حروب على الماء بين العرب ، جريدة القدس ، ١٩٩٦/٣/٢٩ .

(٢٨) فارس ، نبيل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣٩ .

(٢٩) المصري ، جورج ، مصدر سبق ذكره ، صص ٩٩-١٠٠ .

(٣٠) كوهين ، عده ، المياه العنصر الاهم في معادلة الصراع العربي-الاسرائيلي، معريف ١٩٩٣/٥/٦ ، ترجمة دار الجليل .

الرغم من ذلك فهناك بعض الطروحات حول الانسحاب جزئيا من الجولان باتباع أحد خطين : فاما خط انسحاب يمر بالقرب من القنيطرة ويمتد حتى الحمة وأما خط انسحاب يضمن لاسرائيل سيطرة على جزء يسير ومتفق عليه من الجولان[٣١] .

ان الولايات المتحدة تريد اتفاق سلام بين سورية واسرائيل في أقرب وقت ممكن . كما ان اصرار سورية على انسحاب الاسرائيلي من الجولان ليس مطلبا تعجيزيا وقد لا ترفض المتطلبات الموضوعية للسلام ، وأن دمشق ستبذل كل جهد ممكن من أجل انجاح المسيرة السلمية[٣٢] .

٤ ـ قضية المياه على المسار الاردني ـ الاسرائيلي

أفضت عمليات السلب والنهب المائية التي تقوم بها اسرائيل الى مفاقمة الازمة المائية الاردنية الى مدى يهدد بنضوب موارد الاردن المائية على المدى المتوسط ويقوم الاردن بسد عجزه المائي المتزايد عبر ضخ كميات من المياه لايمكن تعويضها من آبار قديمة في جنوب البلاد ، مما ألحق أضرارا بمصادر المياه السطحية اذ ظهرت علامات الملوحة في مياه واحة الازرق التي تمون عمان[٣٣] .

ولأهمية مسألة المياه في العلاقات الاردنية ـ الاسرائيلية فقد تم تشكيل هيئة فرعية داخل المسار التفاوضي تختص بالمياه والبيئة والطاقة . وهذا اقتراح أردني وافق عليه الاسرائيليون . فالمنطقة ما بين شاطىء البحر المتوسط وبادية الشام فقيرة بالمياه وليس لديها مواردها الذاتية من الطاقة . فأسرائيل تحتكر منذ الستينات استعمال مياه نهر الاردن بكامله في حدود ٦٣٠ مليون م^{3} سنويا[٣٤] .

---

(٣١) زئيف شيف ، هارتس ، ١٩٩٣/١٠/٨ .
(٣٢) صحيفة الدستور ، عمان ، عدد ٩٧٦٣ ، ١٩٩٤/١٠/٢٧ ، ص١ .
(٣٣) فارس نبيل ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢٣٨ـ٢٣٩ .
(٣٤) المصري ، جورج ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٦٩ـ٧٠ .

وبعد ثلاث سنوات من التفاوض تم التوقيع على اتفاقية السلام ما بين الاردن واسرائيل يوم الاربعاء الموافق ٢٦ تشرين الاول ١٩٩٤ • وقد تم تخصيص المادة السادسة من الاتفاقية لموضوع المياه وقد نصت على مايأتي[٣٥]:

١ ــ يتفق الطرفان بشكل متبادل بتخصيصات عادلة لكل منهما وذلك من مياه نهري الاردن واليرموك ومن المياه الجوفية لوادي عربة وذلك بموجب المبادىء المقبولة والمتفق عليها وبحسب الكميات والنوعية المبينة في الملحق رقم (٢) والتي يصار الى احترامها والعمل بموجبها على الوجه الأتم •

٢ ــ انطلاقا من اعتراف الطرفين بضرورة ايجاد حل علمي عادل متفق عليه لمشكلاتهما المائية ، اذ يشكل موضوع المياه أساسا لتطوير التعاون بينهما فان الطرفين يتعهدان معا العمل على ضمان عدم تسبب ادارة وتنمية الموارد المائية لأحدهما في الاضرار بموارد الطرف الاخر بأي شكل من الاشكال •

٣ ــ يعترف الطرفان بأن مواردها المائية غير كافية للايفاء بحاجاتهما الامر الذي يتوجب من خلاله تجهيز كميات اضافية بغية استخدامها وذلك عبر وسائل وطرق مختلفة بما فيها مشاريع التعاون على الصعيدين الاقليمي والدولي • ومنها بناء السدود التحويلية والتخزينية والخطوط الناقلة للمياه •

وقد ورد في المعاهدة وفي المادة نفسها وفيما يتعلق بالمياه فيما يخص نهر اليرموك ونهر الاردن ما يأتي :

المياه من نهر اليرموك :

فترة الصيف من ١٥ أيار حتى ١٥ تشرين اول من كل عام تضخ اسرائيل ١٢ مليون م^{3} • ويحصل الاردن على باقي التدفق •

---

(٣٥) انظر معاهدة السلام بين المملكة الاردنية الهاشمية ودولة اسرائيل واللجنة الاعلامية كانون اول ١٩٩٤ ، عمان صص (٦٤ــ٧٠) •

فترة الشتاء ١٦ تشرين أول حتى ١٤ أيار من كل عام تضـخ اسرائيل ١٣ مليون م٣ وللاردن الحق في باقي التدفـق مع مراعاة الترتيب المبين أدناه :
يوافق الأردن على أن تضخ اسرائيل كمية اضافية مقدارها ٢٠ مليون م٣ من نهر اليرموك شتاء مقابل موافقة اسرائيل على النقل للأردن ما هـو مبين في الفقرة (أ) من نهر الأردن •

المياه من نهر الاردن :

فترة الصيف من ١٥ أيار حتى تشرين أول من كل عام ، مقابل موافقة الاردن لاسرائيل بضـخ الكمية الاضافية شتاء المبينة في الفقرة (١ ـــ ب) أعـلاه توافق اسرائيل على نقل مياه للاردن خلال فترة الصيف مقدارها ٢٠ مليون م٣ من نهر الاردن •

فترة الشتاء ١٦ تشرين أول حتى ١٤ أيار من كل عام يحـق لـلاردن أن يقوم بتخزين معدل أدناه ٢٠ مليون م٣ •

وقد ورد في كتيب حول معاهدة السلام الاردنية وما اذا كان الاردن قد أعاد حقوقه المالية أم لا ما يأتي(٣٦) : « جاءت معاهدة السلام لتعطي الاردن نصيبه الشرعي من المياه ، في نهر اليرموك ونهر الاردن على النحو الآتي :

أ) نهر اليرموك قبل معاهدة السلام :ـ
١٢٠م٠م٣ من المياه سنويا •

ب)نهر اليرموك بعد معاهدة السلام :
١٢٠م٠م٣ سنويا كما هو أعلاه
٤٥م٠م٣ مستردة من اسرائيل •
٥٠م٠م٣ شتاءا
المجموع ٢١٥م٠م٣ من نهر اليرموك •

ج) نهر الاردن قبل معاهدة السلام :
لم يأخذ الاردن شيئا من مياه نهر الاردن قبل معاهدة السلام •

---

(٣٦) معاهدة السلام بين الاردن واسرائيل ما هي ، اللجنة الاعلامية الاردنية، مؤلف رقم ١٨ ، عمان ١٩٩٤ ، صص ١٥ــ١٦ .

د) نهر الاردن بعد معاهدة السلام

١٠م٠م٣ من مياه النهر ومياه الفيضانات والسدود بما في ذلك فيضانات نهر اليرمــوك .

سيأخذ الاردن من نهر الاردن ٧٠م٠م٣ سنويا بعد المعاهــدة بينما لــم يكن يحصل على شيء من قبلها .

ه) مياه من مصادر اضافية

سيحصل الاردن على ٥٠م٠م٣ سنويا من ميــاه الشرب مــن مصــادر اسرائيلية سيتم تحديدها والاتفــاق عليهــا خلال سنة واحــدة من تاريــخ نفــاذ الاتفاقيــة .

ان اسرائيل تتصرف كالمالك لمياه نهر الاردن ، أمــا الطرف الاردني فيحق له(٣٧) الكمية نفسها مع شرط مستحيل التحقيق وهو عدم الاضــرار بالمستهلك الاسرائيلي . لقد تمكنت اسرائيل بموجب اتفاق السلام الاردني ـ الاسرائيلي من الابقاء على مستوطنة (تسوفار) بوادي عربة الاراضي الزراعية المتاخمة لها تحت السيادة الاسرائيلية عبر استئجارها لمدة ٢٥ عامــا قابلــة للتجــديــد(٣٨) .

أما بالنسبة للآبار التي حفرتها اسرائيل واستخدمتها والتي تقــع على الجانب الاردني من الحدود فان اسرائيل تقر بخضوعها للسيادة الاردنية ، ولكن المعاهدة تعطي لاسرائيل الحق في استعمالها وتمنع الاردن من اتخــاذ أي اجراء من شأنه التأثير بشكل ملحوظ من تقليل انتاج هــذه الآبار أو في نوعيتها . وتلقــي اسرائيل بثقــل المسؤوليات الاداريــة على الجــانب الاردنــي(٣٩) .

---

(٣٧) المصري ، جورج ، المصدر نفسه.
(٣٨) مخيمر سامر ،حجازي خالد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣٠ .
(٣٩) المصري ، جورج ، المصدر نفسه .

وهناك من يرى أن المفاوض الاردني قدم لاسرائيل في مسألة المياه التنازلات الرئيسية الآتية :

١ ــ التنازل للطرف الاسرائيلي عن اقتسام مياه نهر الاردن على أساس مبدأ وحدة حوض النهر وبالتالي التنازل عن حقوق الاردن الشرعية في مياه أعالي نهر الاردن وروافده شمالي بحيرة طبريا •

٢ ــ ان القبول الاردني باقتصار التفاوض على المياه اعتبارا من جنوبي طبريا معناه التنازل التام عن كل حقوق الاردن في المياه العذبة من نهر الاردن لان مياه النهر جنوبي طبريا حتى المصب هي مياه شحيحة ومالحة ملوحة عالية •

٣ ــ ان الحصة المائية الاردنية التي وافقت عليها اسرائيل تأتي من مصدرين مياه الاودية في الضفة ومياه نهر اليرموك (حصة الاردن منها ٣٣٠ مليون م٣) فماذا أعطت اسرائيل الاردن طالما أنها تستخدم مياه أودية تقع في أراضيها ، وطالما أن نهر اليرموك هو نهر سوري ــ أردني بالكامل وليس للاراضي الفلسطينية عليه أية حقوق باستثناء حقوق مثلث اليرموك ومقدارها (١٧ مليون م٣) من المياه ، قام المفاوض الاردني بزيادتها الى (٢٥ مليون م٣) بدون مقابل • في حين جعل من اسرائيل بدون مبرر طرفا في نهر اليرموك وفي التفاوض عليه ، وهو الامر الذي عقد المفاوضات الاردنية مع سوريا التي ترفض مشاركة اسرائيل في اليرموك •

٤ ــ تجاهل المفاوض الاردني نهائيا الحقوق المائية في نهر الاردن لمليوني لاجيء ونازح فلسطيني يعيشون في الاردن وقدموا اليه أصلا بسبب العدوان الاسرائيلي عام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٧ وشكلوا عبئا ديمغرافيا على مصادر المياه الاردنية •

٥ ــ ألزم المفاوض الاردني الاردن الزاما دائما غير مقيد بتخزين المياه الاردنية الفائضة في الشتاء (حوالي ٢٠ مليون م٣) لدى الجانب

الاسرائيلي بدون الاشارة الى بحيرة طبريا أو الى حقوق الاردن فيها في نص المعاهدة . بالاضافة الى ذلك فان المياه المرسلة للتخزين في اسرائيل شتاءا هي مياه عذبة يستردها الاردن صيفا بنوعية اقل جودة بالاضافة الى الكلفة العالية التي يتحملها الاردن في ضخ المياه من محطة دجانيا في اسرائيل .

٦ ــ تم اهداء الجانب الاسرائيلي كميات اضافية من المياه العذبة تصل الى (١٤٫٥ مليون م³) و (٤٫٥ مليون م³) من المياه لارواء أراضي الغمر المستأجرة من قبل الاسرائيليين و (١٠ مليون م³) من المياه الجوفية العذبة من وادي عربة .

استطاعت المعاهدة تمكين اسرائيل من استمرار استغلالها للمياه الاردنية وتقليص السيادة الوطنية للاردن على مياهه بالحد من قدراتها على اتخاذ قرارات مناسبة تتعلق بالتصرف بعيدا عن الوصاية الاسرائيلية . فالحل الاسرائيلي لمشكلة المياه في وادي عربة لايهدف الى اقتسام مصادر المياه المشتركة بين اسرائيل والاردن بل الاستيلاء على كل المياه المتوافرة في المنطقة والسعي للتحكم بها وتحميل الطرف الاردني مسؤوليات تأمين الاحتياجات الاسرائيلية من المياه[٤٠] .

وتضمنت الاتفاقية قيام اسرائيل بتزويد الاردن والمساعدة على توفير مصادر اضافية للمياه له تمكن في نهايتها من توفير (١٥٠ مليون م³) من المياه سنويا لهذا البلد شبه الصحراوي والشحيح بموارده المائية .

لقد بدأت المرحلة الاولى مباشرة بعد توقيع السلام حيث بدأت اسرائيل بتزويد الاردن بـ (٥٠ مليون م³) من المياه سنويا ، ولكن الخلافات برزت بينهما حول جدولة المرحلة الثانية التي تتضمن تزويد الاردن بـ (٥٠ مليون م³) اضافية وتم التوصل الى تسوية لهذه المسألة خلال لقاء سري عقد في العقبة

(٤٠) المصري جورج ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٣ .

بين الطرفين وتم الاتفاق على اعطاء الاردن (٢٥ مليونم٣) من بحيرة طبريا والباقي سوف يتم تحديده بعد ٣ سنوات حتى يتم اكمال منشآت تحلية البحر •

وتسعى اسرائيل من اتفاقها مع الاردن الى تعزيز وجودها الاقليمي على مستويين أولهما تكثيف التعاون مع الطرف الاردني وثانيهما تهميش الاطراف الاقليمية الاخرى الفاعلة وتم لها ذلك في النص بتأكيد « عدم اجراء أي تغيير اصطناعي في مجرى نهر الاردن أو نهر اليرموك الا بالاتفاق الثنائي » وهو ما يشير الى تجاهل سورية التي تستخدم النهرين • ان براعة السياسة الاسرائيلية في تعميق الانقسام العربي واضحة في قضية المياه تمهيدا للسيطرة على الشرق الاوسط بموارده الطبيعية الغنية وقطع الطريق على أي تنسيق عربي محتمل بين سوريا والاردن[٤١]• يضاف الى ذلك أن الاتفاق قد تجنب ذكر حصة الجانب الفلسطيني في مياه نهر الاردن ، مما قد يؤدي الى نشوب الخلاف ما بين الجانب الاردني والجانب الفلسطيني ، وبالتالي تدهور العلاقات الاردنية الفلسطينية ، مع أن المطلوب هو توحيد السياسات والجهود العربية ضمن مسارا وسياسة عربية واحدة تكون كفيلة بمواجهة التحديات الخارجية •

٥ ـ قضية المياه على المسار الفلسطيني ـ الاسرائيلي

لقد أثار الوفد الفلسطيني في أثناء اجتماع لجنة المياه في مؤتمر فيينا قضية سرقة المياه الفلسطينية الجوفية التي تضخ من الضفة الغربية وغزة الى المجرى المائي الاسرائيلي الذي يغذي صحراء النقب •

وفي جولة واشنطن الثانية للجنة المياه التي عقدت في ١٦ـ١٧/٩/١٩٩٢ طالبت «حنان عشراوي» ممثلة الوفد الفلسطيني الامم المتحدة بارسال بعثة تقصي حقائق الى الاراضي المحتلة لتطلع ميدانيا على الوضع الصعب هناك، واتهمت اسرائيل بالاستيلاء على اكثر من ٨٠٪ من احتياجاتها من المياه الفلسطينية بالضفة الغربية وقطاع غزة كما رفض الجانب الفلسطيني مقترحا اسرائيليا مدعوما من الولايات المتحدة بانشاء بنك للمعلومات حول موارد

---

(٤١) المصدر السابق .

المياه وذلك لعدم مشاركة سوريا ولبنان ، وتقدم الجانب الفلسطيني بورقة تضمنت امكانية مسألة اقتسام المياه مع اسرائيل في حالة التوصل الى سلام عادل ودائم وتحدد الورقة بأن الاحواض المائية في المنطقة المتاخمة للحدود مع اسرائيل ستكون موضع البحث في هذه القضية(٤٢) .

ولم يتطرق اعلان المبادىء (اتفاق غزة أريحا) الذي وقع في ١٣/٩/١٩٩٣ الى قضية المياه بصورة مباشرة ، وانما تمت الاشارة اليها في الملحق الثالث الخاص بالتعاون الاسرائيلي-الفلسطيني في بروتوكول البرامج الاقتصادية والتنمية .

وتنص المادة الاولى من هذا البروتوكول على «التعاون في مجال المياه بما في ذلك مشروع تطوير المياه يقوم باعداده خبراء من الجانبين ، والذي سيحدد شكل التعاون في ادارة موارد المياه في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وسيتضمن مقترحات لدراسات وخطط حول حقوق المياه لكل طرف ، وكذلك حول الاستخدام المنصف لموارد المياه المشتركة وذلك للتنفيذ خلال وما بعد الفترة الانتقالية(٤٣) .

كما تنص الفقرة (أ-٣) من المادة الثانية في البروتوكول الرابع الخاص بالتعاون الاسرائيلي حول برلمج التنمية الاقتصادية للضفة الغربية وقطاع غزة على عناصر أهمها برنامج تنمية البنية التحتية (المياه ، الكهرباء ، النقل ، الاتصالات)(٤٤) . ويربط اتفاق غزة - أريحا في النهاية بين التعاون الاسرائيلي - الفلسطيني على المستويين الداخلي والخارجي في قضية المياه .

لقد جاء اتفاق أوسلو ليحقق لاسرائيل السيطرة الكاملة على مياه مناطق الحكم الذاتي وليؤكد ضرورة الابقاء عليها لارتباطها بجوهر العقيدة الامنية للدولة(٤٥) .

---

(٤٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٧ - ١٢٩ .
(٤٣) ملحق رقم (١١١) من اتفاق غزة - اريحا ، منظمة التحرير الفلسطينية ، تونس ، ١٣ سبتمبر ١٩٩٣ .
(٤٤) ملحق رقم (١٧) اتفاق غزة اريحا .
(٤٥) المصري جورج ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٦ .

ان اتفاق أوسلو يفتقد الى السيادة الفلسطينية الوطنية لان السلطة الفلسطينية الحالية تتسم بالطابع الاداري من حيث وظائفها الادارية دون الطابع السيادي وتتسم بالطابع السياسي لكونها سلطة تمثيلية تستمد شرعيتها من سابق العلاقة بين منظمة التحرير والشعب الفلسطيني ، ولم يتعرض الاتفاق الى ادعاء اسرائيل بأنها ليست في وضع احتلال مما يعني ان الاراضي ليست محتلة بل أنها أراضي اسرائيلية أو متنازع عليها ومن حقها الوجود فيها [٤٦] .

وفي الجولة الخامسة للجنة المياه التي عقدت في عمان ١٧-٢٠ نيسان ١٩٩٢ تم الاعلان عن انشاء سلطة فلسطينية تكلف مسائل المياه في اطار الحكم الذاتي الفلسطيني في غزة وأريحا [٤٧] .

لقد جاء في اتفاقية القاهرة بتاريخ ٤/٥/١٩٩٤ في البند أ (الفقرة الفرعية) من المادة (٢/ب/٣١ من الملحق الثاني) ان السلطة الفلسطينية ستدير وتشغل مصادر المياه والمجاري في غزة - وأريحا باستثناء المنشآت الموجودة في المستوطنات ومعسكرات الجيش الاسرائيلي .

وتلتزم السلطة الفلسطينية بتزويد مستوطنة كفار وردم بالمياه . وستدفع السلطة الفلسطينية لشركة ميكوروث ثمن المياه التي ستزودها بها من اسرائيل . وستنظم جميع العلاقات التي ستقوم بين السلطة الفلسطينية وشركة ميكوروث بعقود تجارية . وطبقا للاتفاقية لايحق للفلسطينيين اجراء بحوث وفحوص حول مصادر المياه حتى في مناطق الضفة الغربية . ولم تلتزم اسرائيل أيضا بتزويد السلطة بأية معلومات بشأن المياه ولا يحق للفلسطينيين تعيين مسؤول في شعبة المياه أو ادارة لادارة هذه الشعبة [٤٨] .

ان السلطة الفلسطينية لاتمتلك أية صلاحيات للتخطيط حول امكانية الاستغلال المائي وكيفيته ان مهمة شعبة المياه في غزة تتمثل في قراءة

---

(٤٦) المصدر نفسه ، ص ٦٠ .
(٤٧) صحيفة الاتحاد الخليجية ، ٢٢/٤/١٩٩٤ .
(٤٨) المصري جورج، مصدر سبق ذكره ، ص ٦١ .

المعطيات الموجودة . فضلا عن أنه كان يجب أن تتم الاتفاقيات بشأن المياه بين السلطة الفلسطينية ومسؤول شعبة المياه في اسرائيل ، فشركة ميكوروث لاتمتلك أية صلاحيات بشأن اتخاذ القرارات المائية ، وما هي سوى شركة لتوزيع المياه .

لقد أبقى اتفاق واشنطن ١٩٩٥/٩/٢٨ السيطرة الاسرائيلية على موارد المياه وأجل بحث نقل هذه السيادة للفلسطينيين الى مفاوضات الحل النهائي . وأصر الاسرائيليون على استمرار سيطرتهم على ٨٣٪ من مياه الضفة ورفضوا من حيث المبدأ مناقشة السيطرة عليها لانها ضمن المرحلة النهائية ، وفصل الاتفاق بين السيطرة على الارض والمياه تحتها . وقال وزير الزراعة الاسرائيلي : «ان المياه لاتعرف ما يدور فوقها ولا علاقة لها بمشكلات الارض والحدود »[٤٩] .

ان اسرائيل لن تسلم زمام الامور فيما يتعلق بأهم موارد المياه في فلسطين بسهولة الى سلطة الحكم الذاتي ، اذ تعتمد اسرائيل على موارد المياه الفلسطينية بشكل ليس بالقليل

وقد أشار ألياهو بن أليسار رئيس لجنة المدراء العاملين في تقرير له يقول فيه « ستواصل اسرائيل التمسك بالسيطرة على مصادر المياه في الضفة الغربية حتى بعد اقامة الحكم الذاتي[٥٠] .

رابعا : الطروحات الاسرائيلية لقضية المياه عبر مسيرة التسوية السلمية

ربط الاسرائيليون التسوية السلمية المطروحة منذ مؤتمر مدريد دائما بالموارد المائية وهذا ما اكده تقرير أعده مركز الدراسات الاستراتيجية في جامعة تل أبيب عام ١٩٩١ ، حيث ذكر ان على اسرائيل الاحتفاظ بسيطرتها

---

(٤٩) نقلا عن المصري جورج ، المصدر السابق ، ص‌ص ٦٠ ، ٦١ .

(٥٠) نقلا عن الفاعوري رائد محمد ، المياه موضوع للتعاون والنزاع بين دول الشرق الاوسط ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الحقوق والعلوم السياسية والادارية ، الجامعةاللبنانية ١٩٩٦ ، ص ٤٣ .

على مصادر المياه في الاراضي العربية المحتلة في حال قيامها بأية انسحابات، وأوضح أن الترتيبات الامنية مستحيلة من دون حل لمشكلة المياه ، وأرفق التقرير خرائط مفصلة لخطوط انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية ومرتفعات الجولان . وهذه الحدود مرسومة بشكل يتيح استمرار السيطرة الاسرائيلية على مصادر المياه العربية[٥١] .

والملاحظ أن اسرائيل لاتسير في طريق السلام مع معظم الدول العربية، الا اذا كانت تنوي من وراء السلام السيطرة على المياه واستقرارها في بحيرة طبريا ومن ثم توزيعها . والجدير بالذكر أن هناك عدة سلبيات على فكرة تخزين المياه في بحيرة طبريا مما يجعلها غير مجدية وغير مقيدة ، فنسبة التبخر في هذه البحيرة عالية جدا ، فضلا عن أن نسبة الملوحة فيها عالية بالمقارنة بغيرها وخاصة نهر اليرموك[٥٢] .

ولم يسفر مؤتمر فيينا عن نتائج بسبب تعنت اسرائيل ورفضها المواقف العربية المبدئية تجاه أزمة المياه ووسائل حلها واصرار الجانب العربي على حقوقه كاملة في المياه العربية في اطار القرارات الدولية[٥٣] .

وقد تركزت ورقة العمل الاسرائيلية التي قدمت الى مؤتمر فيينا في محاور ثلاث هي[٥٤] :

١ ــ ان قضية المياه ليس لها علاقة بالوضع السياسي العام والقضية تتلخص في محدودية المصادر في المنطقة .

٢ ــ ان مشكلة الفلسطينيين المائية هي جزء من المشكلة الاسرائيلية وحلها يتم بحل المشكلة المائية الاسرائيلية .

---

(٥١) المصري جورج ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣ .

(٥٢) الجمعية والعربية ، مؤتمرات حول مياه نهر الاردن ، دار الوحدة للنشر والتوزيع ، دمشق ، ١٩٦٠ ، ص٥٤ .

(٥٣) صحيفة الدستور ، ١٩٩٢/٩/١٣ .

(٥٤) عبدالرحمن سليم التميمي ،ملامحمن ورقة العمل الاسرائيلية لمفاوضات المياه ، صحيفة الاسبوع الجديد ، ٩٢/٦/١٥ .

٣ ـ ان التعاون والدخول في مشاريع مشتركة مع دول المنطقة هي الضمانة الوحيدة للخروج من النفق المظلم .

وفي الجولة الثانية للجنة المياه التي عقدت في واشنطن في ١٥ـ ١٦/٩/١٩٩٢ سعت الورقة الاسرائيلية الى منح اسرائيل دورا مركزيا في قضايا المياه الاقليمية من خلال اقتراح الاستفادة من التقنية الاسرائيلية في هذا المجال على نطاق اقليمي . كما ان الورقة ركزت على أن الهدف من المفاوضات هو زيادة مصادر المياه في المنطقة بينما يرى الجانب الفلسطيني أن المشكلة هي سوء توزيع وسوء استخدام اسرائيل للمياه . وتم الاتفاق على ارسال خبراء في تحلية مياه البحر ومعالجة مياه الصرف وبحث امكانية انشاء مصانع نموذجية ولا سيما في الاردن وقطاع غزة[٥٥].

وقد نسبت صحيفة دافار الاسرائيلية الى «جدعون تسور» المندوب الاسرائيلي للجنة المياه في الحادثات المتعددة الاطراف قوله : «لن نسمح للفلسطينيين في الحكم الذاتي أن يضخوا مترا مكعبا واحدا من المياه أكثر مما يضخونه اليوم» ، وقال « ان أي ضخ اضافي للفلسطينيين في المناطق من المياه الجوفية المشتركة ، سيكون على حساب اسرائيل » وقال « ان اسرائيل لاتستطيع التنازل عن متر مكعب واحد من المياه العذبة وان جميع المياه الزائدة التي سيحتاجها سكان المناطق والقطاع يجب أن يزودوا بها من مياه المجاري أو المحلات ومن مياه الفيضانات أو استيراد المياه من البلاد المجاورة »[٥٦] .

وكتب « مايكل غيركي » مقالا جاء فيه : « ان المسألة السياسية التي يتعين تناولها في مفاوضات الحكم الذاتي هي كيف يمكن الاحتفاظ بالسيطرة الاسرائيلية على عمليات الحفر ؟ وهل سيتم التوصل الى اتفاق في هذا الموضوع مع ادارة الحكم الذاتي أم ان اسرائيل ستضطر الى الاحتفاظ

---

(٥٥) صحيفة الحياة ، ١٧/٩/١٩٩٢ .
(٥٦) دافار ، ١٢/٦/١٩٩٣ .

بالسيطرة المادية على الموارد المائية التي بين يديها مما ستدعي أيضا وجود جهاز عسكري خاص »[٥٧] .

وفي اطار المحادثات المتعددة الاطراف توصلت لجنة مشتركة فلسطينية ـ أردنية ـ اسرائيلية في أوسلو في ١٩٩٤/٧/٢٦ الى اتفاق جوهري حول اقتسام موارد المياه في المنطقة وتقرر القاء مسؤولية فحص جميع قوانين المياه ومؤسسات المياه في المنطقة على عاتق لجنة من النرويج ، وتم الاتفاق على استخدام التقرير النرويجي كقاعدة لاستمرار الحوار حول موضوع المياه[٥٨] .

وقد جاء على لسان «يوسي بيلين» رئيس الوفد الاسرائيلي في الجولة الخامسة من المحادثات متعددة الاطراف بشأن المياه والتي عقدت في عمان ١٧ـ١٩٩٤/٤/٢٠ حينما دعا الى نبذ الحديث عما أسماه « حقوق الماضي » والتي تتمثل في المياه التي اغتصبتها اسرائيل والانطلاق من الامر الواقع الحالي وهو من منظوره وجود نقص في المياه لدى الدول العربية واسرائيل معا مما يطرح ضرورة تعاونهما لزيادة الموارد بدلا من التركيز على حقوق الفلسطينيين والسوريين وغيرهم في مصادر المياه الموجودة[٥٩] .

ويمكن الكشف عن ثلاثة أبعاد للموقف الاسرائيلي في المفاوضات المتعددة الاطراف نوجزها بما يأتي[٦٠] :

١ ـ ان تحقيق المشاريع المشتركة لنقل المياه يوفر لاسرائيل احتياجاتها المستقبلية من المياه ، فالتوقعات تشير الى تصاعد العجز المائي لاسرائيل عام (٢٠٠٠) الى (٨٠٠ مليون م٣) ، مع تزايد عدد السكان الى نحو ٩ر٤ مليون نسمة سواء بسبب الزيادة الطبيعة أو من الهجرة المتوقعة لليهود الروس والفلاشة من أفريقيا ، وهذه المشاريع ينتظر تمويلها من صناديق وأطراف دولية وعربية مما يوفر على اسرائيل ميزانية قد تخصصها لتنمية مواردها المائية في المستقبل .

---

(٥٧) يديعوت احرونرت ، ٢١ / ٨ / ١٩٩٤ .
(٥٨) يديعوت احرونرت ، ٢٧ / ٧ / ١٩٩٤ .
(٥٩) مخيمر سامر ، حجازي خالد ، مصدر سبق ذكره ، ص١٩٥ .
(٦٠) بو رحمة ، حمد ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٩٤ـ٩٥ .

٢ ـ البدائل التي تقدمها اسرائيل للجانب العربي تعني توفير المياه مما يغني عن الضغط عليها للانسحاب من مصادر المياه العربية التي تحتلها وهي تعمل على اقناع الاطراف الدولية بأن أساس المشكلة هي العجز المائي في بعض دول المنطقة .

٣ ـ يظهر من اصرار اسرائيل وضغوطها لسحب المياه من النيل وتنفيذ مشروع أنابيب السلام مع ضرورة أن يمر عبر أراضيها ، ما ترمي اليه اسرائيل من بعد استراتيجي ودور حيوي لها بالمنطقة مستقبلا ، والمكسب الامني لاسرائيل من هذه المشاريع هو تحصينها من المخاطر في حالة الازمات أو الحروب لان الضرر سيصيب كل الدول المشتركة بالمشروع ، وأية فوائد منتظرة لهذه المشاريع سوف تنعكس على اسرائيل ايجابيا نحو تعاونها في قطاعات اخرى زراعية أو صناعية وهي خطوة نحو التطبيع مع الدول العربية بالمنطقة

وترى اسرائيل أن مفاوضات المياه مع العرب يجب أن تنطلق من مبدأ أساسي هو مبدأ «الحاجة» وليس «الحق» ـ أي الحاجة الى المياه وليس الحق فيها ، وأن أسلوب التفاوض الثنائي يعطي تفوقا لاسرائيل على كل الاطراف العربية[٦١] .

ان مصطلح السلام يقابله ترجمة تتضمن « مقايضة الارض بالسلام » ومن خلال المفاوضات الاسرائيلية ـ الفلسطينية يلاحظ محاولة اسرائيل لتغيير الترجمة لتصبح : (« بعض الارض » قليل من المياه وسيادة وطنية فلسطينية منقوصة ، وذلك مقابل كل السلام وأغلب الارض ومعظم المياه لاسرائيل)[٦٢] .

---

(٦١) صحيفة الاسواق ٩٧/٥/٢١ .

(٦٢) اسحاق جاد ، عزوز هاشم ، مشكلة المياه في ا لشرق الاوسط ، مخططات اسرائيل المائية ، مركز الدراسات والبحوث والتوثيق ، بيروت ، بلا ، ص ١ .

اذا كانت اسرائيل تسير نحو السلام مع الدول المجاورة فـان اختيارها لابد أن يختلف ويكون مميزا ، ولو اتخذت «الوفرة» معيارا لصلاحية الخيار أم لا ، لكانت مشاريع تحلية المياه أفضل خيار لاسرائيل ، خاصـة وأنهـا تعتبر من الدول المتقدمة في هذه التقنية ، ويكفي ذكر ان رصد ثلاثة مليارات دولار للتحليـة يكفـي لسـد حـاجـات اسرائيل المائية لعشرين سنـة مقبلـة ، وهـذا ليـس بالثمـن الباهـض للسـلام ان كـان السـلام ما تسعى اليه اسرائيل حقا[٦٣] .

ويقول «ابراهام شامير» الذي عمل سنوات طويلة في تخطيط ترتيبات السلام المستقبلية ورئيسا لشعبة التخطيط فـي الجيش الاسرائيلي : « ان الموضوع الوحيد في الشرق الاوسط الذي يستلزم وضع نظام له بين الدول هو موضوع المياه ، فمشكلة المياه هي بالضبط معضلة السلام والحـرب . ومن الممكن أن تختار اسرائيل سياسة السيطرة على مصادر الميـاه مما يعني الحرب ، أو نختار سياسة توزيع الميـاه بين دول المنطقـة وهو ما يعنـي السـلام[٦٤] .

ان مجمل المحادثات التي تجريها اسرائيل مع المفاوضين العرب في اطار المفاوضات الراهنة ، تدور بشكل مباشر وغير مباشر حول سؤال تطـرحه اسرائيل ، ما هو استعداد الدول العربية المجاورة لاعطاء اسرائيل كميات من المياه تدفعها الى التخلي عن الوضع القائم الراهـن وتفسـح المجال أمـام تقدم فعلي للمفاوضات ؟ والمقصود نوع من التقدم الجوهري لا الشكلـي وحسب . ان المفاوضات تبدأ فعلا اذا صبت على موضوع تقاسم المياه بشكل يضمن احتياجات اسرائيل المائية ، فاسرائيل لاتريد مقايضة الارض بالسلام بل مقايضة الاراضي المحتلة بمياه هذه الاراضي المحتلة .

---

(٦٣) الفاعوري ، رائد محمد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٠ .

(٦٤) نقلا عن المصري جورج، مصدر سبق ذكره ، ص‌ص ٣٦-٣٧ .

الاستنتاجات والتوصيات

في ضوء دراسة قضية المياه في مفاوضات السلام العربية الاسرائيلية ، يمكن القول أن المواقف الاسرائيلية بشأن قضايا المياه قديمة جديدة حملها الحلم الصهيوني تاريخيا وتمكن من السيطرة عليها بالقوة العسكرية • وسعى الى تكريسها عبر مفاوضات السلام العربية الاسرائيلية لاضفاء الشرعية على ما اغتصبه الكيان الصهيوني من المياه من خلال اتفاقيات سلام مع دول الجوار العربي ، وأن الذرائع الاسرائيلية الامنية ليست الا غطاء لتغليف المطامع الاسرائيلية في المياه العربية وضمان تدفقها الى الكيان الصهيوني دون عوائق عبر اتفاقات السلام ، فضلا عن اضفاء صفة الشرعية على اغتصاب مصادر المياه العربية •

ولما كانت حاجات اسرائيل المائية في تزايد فانه من غير المتوقع أن تعيد اسرائيل الى الاقطار العربية في كل من سورية ولبنان والاردن وفلسطين أية مصادر مائية استولت عليها فضلا عن تطلعات اسرائيل المستحيلة التي تهدف الى الوصول الى بقية المصادر المائية في الوطن العربي والعالم الاسلامي عبر تعاون اقليمي ، وعبر مفاوضات متعددة الاطراف ولاسيما مياه النيل لري النقب الشمالية في اسرائيل •

وفي ضوء ما سبق توصلت الدراسة الى التوصيات الآتية :

١ ــ ان على الدول العربية أن تدرك انها لاتستطيع تحقيق أية مكاسب مائية عبر مسيرة التفاوض مع الكيان الصهيوني •

٢ ـ ان اسرائيل لن تتخلى عن الضفة الغربية وهضبة الجولان والشريط الحدودي في لبنان الا اذا ضمنت السيطرة الكاملة على المياه .

٣ ـ ان ايداع مياه اليرموك وتخزينها في بحيرة طبريا شتاء واستعادته صيفا من قبل الاردن يضع سكان العاصمة عمان تحت رحمة العدو الصهيوني في أي نزاع قادم هذا فضلا عن امكانية قيام اسرائيل بتلويث المياه فضلا عن ارتفاع نسبة الملوحة في بحيرة طبريا في الاعوام قليلة الشتاء حيث ان في طبريا (٢٦) نبع مالح .

٤ ـ لابد من توحيد الموقف العربي حربا كان ذلك أم سلما وعدم السماح لاسرائيل بالانفراد بكل جهة عربية على حدة.

المصـــادر

اولا : الوثائق

* معاهدة السلام بين المملكة الاردنيـــة الهاشمية ودولة اسرائيل واللجنـة الاعلامية كانون اول ١٩٩٤ ، عمان .
* معاهدة السلام بين الاردن واسرائيل ما هي ، اللجنة الاعلاميـــة الاردنية ، مؤلف رقم ١٨ ، عمان ١٩٩٤ .
* ملحق رقم (IV) اتفاق غزة اريحا .
* ملحق رقم (١١١) من اتفاق غزة ـ أريحا ، منظمة التحرير الفلسطينية، تونس ، ١٣ سبتمبر ١٩٩٣ .

ثانيا : الكتب

* العبدالله حسن ،الامن المائي العربي ، مركز الـدراسـات الاستـراتيجيـة والبحوث والتوثيق ، بيروت ١٩٩٢ .
* اسحاق جاد ،عزوز هاشم ، مشكلة المياه في الشرق الاوسط ، مخططات اسرائيل المائية ، مركز الدراسات والبحـوث والتوثيـق ، بـيروت ، بدون سنة نشر .
* مخير سامر ، حجازي خالد ، ازمة المياه في المنطقـة العربية ، الحقـائق والبدائل الممكنة ،مطابع السياسة ، الكويت ، ١٩٩٦ .
* الجمعية والعربية ، مؤتمرات حول مياه نهر الاردن ، دار الوحدة للنشـر والتوزيع ، دمشق ، ١٩٦٠ .
* فارس نبيل ، حرب المياه في الصراع العربي الاسرائيلي ، دار الاعتصـام، القاهرة ١٩٩٣ .
* المصري جورج ، الاطماع الاسرائيليـة في المياه العربيـة ، ط١ ، مـركز الدراسات العربي الاردني ، ١٩٩٦ .
* كالي اليشع ، المياه والسلام من وجهة نظر اسرائيلية ، ط١ ، مـؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٩١ .
* الزعبي الارقم ، الغزو الصهيوني للميـاه العربية ، ط ١ ، دار النفـائس، بيروت ١٩٩٢ .
* السباهي زكريا ،المياه في القانون الدولي وازمة المياه العربية ط١ ، دار طلاس دمشق ، ١٩٩٤ .

ثالثا : الدوريـات

* أبو زيد محمود ، حوار اجرته معه سلـوى أبو سعدة ، مجلـة المصـور، ١٩٩٢/١/١٠ .

* بيرو فيزو بلارد ، المياه في الشرق الاوسط ، مصدر للحرب المقبلة ، ام فرصة للتعاون الاقليمي، هنا لندن ، العدد (٥٣٣) مارس آذار ١٩٩٣.
* صبحي مجدي ، ازمة المياه المفاوضات المتعددة الاطراف ، السياسة الدولية العدد (١٤٤) اكتوبر ، تشرين ١٩٩٣ .
* عبدالقادر صالح حسن ، حرب المياه بين العرب واسرائيل ، شؤون عربية ، ٥٤ ، ١٩٨٨/٩/٩.
* فتحي ، علي حسين ، المياه في المفاوضات المتعددة الاطراف ، السياسة الدولية ، عدد ١٠٨ ابريل ١٩٩٢ .

رابعا : الرسائل

* الفاعوري رائد محمد ، المياه موضوع للتعاون والنزاع بين دول الشرق الاوسط ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الحقوق والعلوم السياسية والادارية ، الجامعة اللبنانية ١٩٩٦ .
* بو رحمة ،حمد ، ادارة ازمة المياه في الشرق الاوسط ، واقع وآفاق ، رسالة ماجستير مقدمة الى معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، جامعة الجزائر ، ١٩٩٤ .

خامسا : الصحف

* الموسى شريف ، من أجل تجنب حروب على الماء بين العرب ، جريدة القدس ، ١٩٩٦/٣/٢٩.
* تشرين ، دمشق ، ١٩٩٠/١٢/٣٠ .
* دافار ، ١٩٩٣/٦/١٢ .
* زئيف شيف ، هارتس ، ١٩٩٣/١٠/٨.
* صحيفة الاتحاد الخليجية ، ١٩٩٤/٤/٢٢.
* صحيفة الاسواق ٩٧/٥/٢١ .
* صحيفة البيان ، ١٩٩٢/٥/١٣.
* صحيفة الحياة ، ١٩٩٢/٩/١٧.
* صحيفة الدستور، ٩٢/٩/١٣ .
* صحيفة الدستور ، عمان ، العدد (٩٣٦١) ١٩٩٣/٩/١٤ .
* صحيفة الدستور ، عمان ، عدد ٩٧٦٣ ، ١٩٩٤/١٠/٢٧ .
* عبدالرحمن سليم التميمي ، ملامح من ورقة العمل الاسرائيلية لمفاوضات المياه ، صحيفة الاسبوع الجديد ٩٢/٦/١٥ .
* علي للو ، المفاوضات المتعددة الاطراف ، صحيفة الخليج ، الامارات ، ١٩٩٧/٦/٢٩ .
* كوهين ، عده، المياه العنصر الاهم في معادلة الصراع العربي ، الاسرائيلي، معاريف ١٩٩٣/٥/٦، ترجمة دار الجليل .
* يديعوت احرونرت ، ٢١ / ٨ / ١٩٩٤ .
* يديعوت احرونرت ، ٢٧ / ٧ / ١٩٩٤ .

المصطلحات والتعابير بين لغـة اهل العلم ولغة اهل الأدب

الدكتور مثنى عبدالرزاق العمر
كلية التربية للبنات / جامعة بغداد

خلاصـــة :

من الحقائق المقبولة منطقيا بأن اللغة تستعمل لايصال الافكار والمفاهيم من خلال استعمال تعابير وكلمات ومصطلحات مقبولة وصحيحة قواعديا ، ولكن على الرغم من ذلك فان بعض مختصي اللغة يقومون بتصحيح بعـض التعابير العلمية اعتماداً على مذاهب فلسفية متعمقة وخاضعة للنقاش • يتناول هذا البحث هذه المشكلة في اللغة العربية كما يراها أهل العلم ، ويهدف الـى تأكيد أهمية الاتساق والنظرة العلمية في المصطلحات •

المقـدمـة

يراود العلميين سؤال ، غير معلن ، يدور حول أسباب تخطئتهم لغويا من قبل أهل اللغة وهل تنال بعض تعبيراتهم من سلامة اللغة العربية حقا • هـذا البحث يدور على هذه التساؤلات وهو لم يُعَدّ للحصول على ترقيـة علمية أو فائدة مادية ، بل هو نداء من أهل العلم الى أهل اللغة ، لتقريب وجهـات النظر ، وفرصة لايضاح المقاصد والمبررات ، اذ ان استمـرار التخطئـة في صغائر الامور ، قد بدأ يصرف العلميين عن كتابة بحوثهم باللغة العربيـة الى اللغة الانكليزية ، والى التحدث بمفردات أجنبية بين الحين والاخـر عنـد بعضهم ، وبشكل متواصل لدى بعضهـم الاخر بما يهـدد بالفعل سلامة لغتنا العربية المعطاء • كما ان كثرة تبدل المصطلحات المعرّبة أو التراجع عنها صار يضعف الثقة بالعملية برمتها، ستقتصر حدود هذا البحث على مبررات استعمال

بعض المعاني أو الادوات أو التعبيرات اللغوية دون غيرها وهي التي تبدو غريبة في نظر أهل اللغة ، وآمل أن تكون لي عودة ـ بإذن الله ـ الى بعض المفردات العلمية الصادرة رسميا التي ثبت عدم دقتها أو عدم صوابها

اللغة هي تعبير عن حاجة معينة في نفس الانسان ، ويتفق العديد من المفكرين والعلماء ، على ان اللغة هي أداة التعبير عن الافكار ، ووسيلة التخاطب والتواصل الفكري (١) ويفرق الدكتور محمود الجليلي(١) بين لغة أهل العلم ولغة اهل الادب بقوله : « ان لغة العلم تتصف بميزات تختلف عن لغة الادب من حيث الالفاظ والاسلوب » ، وفي جميع الاحوال تتطور وتتبدل مفرداتها باستمرار ، وهذه السمة لاتقتصر على اللغة العربية وحدها فاللغة الانكليزيةالقديمة هي غير اللغة المستعملة في الوقت الحاضر ، واللغة الفرنسية اليوم هي غير ما كانت عليه قبل مائة عام او أكثر ، وهكذا باقي اللغات أيضا . ويتميز الجنابي(٣) الى أن عوامل التطور قد أثرت في اللغة العربية في جانبين ، أدى أولهما نشوء اللهجات ، وهي اللغة التي يتحدث بها العرب في الشؤون العامة والخاصة ، وثانيهما أدى بمرور الزمن الى نشوء اللغة العربية الفصحى وهي لغة الشعر التي تعرف أيضا باللغة العربية المشتركة (٣) .

يحتاج المتخصص بشؤون اللغة (أو الاديب أو الشاعر) الى اللغة ، للتعبير عن قدراته الادبية ، أو لاثبات جدارته اللغوية او البلاغية ، او لتوثيق أخبار الاولين او أمجادهم ، مستخدما اكثر ما يمكن من المفردات النادرة وربما يبتدع من التشبيهات والاوصاف ما ليس معروفا من قبل ، داخلا بذلك ما شاء من المداخل الفلسفية ، ليصل بمستوى عمله الى مستوى الاصالة ، وهذه هي اللغة المشتركة ، لغة اهل الادب او اللغة الادبية ، والاعمال المدونة بهذه اللغة هي التي تروي أصالة اللغة على مر العصور ، وحينما نستذكرها أو نستقري الفصاحة والحكمة من خلالها يجب أن نورد نصوصا كما هي من دون أي تحريف او اختصار او تحوير ، بل ان هذه

الاعمال ، هي التي تمثل التراث اللغوي لأي لغة في العالم ، وتطورها وسلامتها • ومع ذلك فان اللغة الادبية ، عرضة للتغيير على مر الزمن ، وخاضعة لسنّة التطور ، وتوقفها عن النمو يعد سبيلها الى الفناء (٤) ، فاللغة لابد أن تتأثر بالتغيرات الحياتية المعاصرة على الرغم من وجود الميل الشديد للتمسك بالمفردات والتعابير القديمة• وللشعراء على وجه الخصوص الحرية أو الحق في تحوير الكلمات تحت باب الضرورة الشعرية واستخدا ممفردات في غير مكانها أو معناها المألوفين تحت باب التورية او الكناية او غير ذلك ، مما يدل على المطاوعة الكبيرة التي امتازت بها اللغة العربية قديما ، وحاضراء

وفي حياتنا المعاصرة يحتاج الصحفيّ والاعلاميّ الى اللغة ، للتعبير عما يجري من أخبار وأحداث ، بأكثر المفردات شيوعا وانتشاراً في المجتمع وأسهلها فهما ، ليقرؤها الى مستوى المتلقي ، اي القارىء او المشاهد او المستمع ، بمختلف مستوياتهم الثقافية أو الفكرية ، ويجب ان يتبعد عن المفردات المنمقة قدر الامكان ، والا لما قرأ مقالته أحد ، أو استمع الى ما يقدمه احد ، وهذا واقع حال ولنا ان نطلق على هذه اللغة مجازا ـ لغة الاعلام ـ التي تمتاز ببساطتها والتي قد تعرف أحيانا باللغة العربية الميسّرة كالتي تستخدم في اغلب البرامج التلفازية والاذاعية والصحف والمجلات والاناشيد • تعاني (لغة الاعلام) من تغلغل المفردات العاميّة والاجنبية بشكل كبير فيها وتتأثر باللهجات المحلية والعربية •

في حين يحتاج المتخصص العلمي الى اللغة ، ليصف ما وصلت اليه تجاربه أو دراسته أو ليصف منظومة تقنية ، او نظرية ، أو فكرة جديدة ، لكي يقربها الى مستوى ذهن المتلقي (الطلاب او الباحثين الاخرين وغيرهم) ، ومع ذلك فانه يستخدم رصيده (المتواضع) من التعابيروالالفاظ والتسميات بأفضل مايمكن • وكلما كان رصيده منها غنيا ، كان أكثر قدرة على التعبير ، ويكون واجبا عليه ، الابتعاد عن الاوصاف الادبية والكلمات العويصة والاوصاف المنمقة ، والمداخل الفلسفية في الاوصاف ، وعن التورية

والكناية وما اليها ، وهذه اللغة هي ما يمكن ان نسميها بـ (اللغـة العلميـة) التي يجب ان تكون واضحة ومباشرة • ويؤكد الدكتور جميل الملائكة(٤) ان من أهم مستلزمات العرض العلمي الجيد تجنب حشو الكلام ، واستبعاد اللغة المزوقة ، ولو افترضنا جدلا ان احد العلميين كان متمكنـا من اللغـة بحيث يدون بحثه بلغة المعلقات او بأسلوب ادبي بليغ ، لاستقطـب بحثـه الاهتمام الادبي مغطيا القيمة العلمية له • ولصنف على انه عمل ادبي وليس عملا علميا • عند الاستعانة بالاعمال العلمية المنشورة ، لايقتبس منهـا الا الكفرة أو الارقام او النظريات ، من دون النص ، بل يكون من حـق مـن يقتبس منها ان يغير في النص مايشاء طالما ينسبه الى صاحبه ، على العكـس من الاقتباس في اللغة الادبية •

تعاني اللغة العلمية من حاجة متواصلة وملحة الى الاشتقاق اللغـوي ونحت الكلمات ، كما تعاني من تغلغل الكلمات الاجنبية المعربة وغير المعربـة أيضا لعدم وجود المقابل العربي ، ولتعـدد المصطلحات المعربـة لوصف حالة واحدة أو جزء او فكرة ، وليس في ذلك ما يضير أو يهدد سلامة اللغة العربية بقدر ما يهددها حشر الكلمات الاجنبية بحروفها الاجنبية في صميم الجمـل العربية ، على شاكلة : (« ويعود السبب في ذلك الـى انزيم الـ elastase الذي يقوم •• » او « وقد شخص هـذه الحقيقـة اول مـرة Hartuman و Martin 1985) وهذه الظاهرة أصبحت تلاحظ بكثرة في هـذه الايام في رسائل الدراسات العليا وبعض البحوث، ولا ارى انها تلقى المعارضـة في عملية التقويم اللغوي على الرغم من تشويهها صورة الجمل باللغة العربية •

العوامل المعاصرة للتبدل في الالفاظ والمصطلحات :

يتغير تركيب (اللغة العلمية) وتتبدل مصطلحاتها من شكل الى آخر ، وهذا شيء لا مفر منه ، وقد يعزى بعض هذه التبدلات الى واحد او أكثر من المسببـات الآتيـة :

١ ــ تغلغل الكلمات العامية الدارجة الاستخدام في صميم (اللغة العلمية)ــ كما تتغلغل اللهجات المحلية في وسائل الاعلام والمحاضرات والندوات ــ وهذا يؤكد وجود بعض الكلمات التي يبتدعها العامّة أو العلميّون في لهجتهم اليومية الدارجة ، وتسد حاجتهم في التعبير بشكل لايمكن الاستغناء عنه ، في حين تكون اللهجة الفصحى اما خالية من مرادف لها أو ان المرادف غير متعارف عليه ، او مغرق في الفصاحة فينصرفون عن استخدامه . وقد ساعدت وسائل الاعلام في زيادة هذه التأثيرات لاسيما بين الشباب والناشئة .

٢ ــ تغيير المفاهيم ــ لا سيما خارجة عن موضوعنا ــ مثلما تبدلت كلمات كانت العرب قد قبلتها قديما ، فأصبحت في يومنا الحاضر غريبة أو غير متداولة ، فقد كانت (الجريدة) مثلا تعني دفتر أرزاق الجيش(٥) وكان العلم المعروف اليوم بعلم المثلثات يعرف سابقا بعلم (الأنساب) وعلم الفلك بمصطلح (الهيئة) او (الاسطرونوميا) (٦) وغيرها .

٣ ــ تغلغل الكلمات الاجنبية بسبب التقدم الحضاري والتقني نظرا لوجود الحاجة الملحة اليها ، ويشير الدكتور صالح أحمد العلي(٧) الى تأثير التطور الحضاري في اللغة ، بقوله : « كلما اتسعت الحضارة ، ازدادت المسميات وتعددت » ، لذا ، ولكي نكون أمينين على لغتنا ، يجب مواكبة هذا التيار الجارف لا الوقوف بوجهه ، والسعي لإيجاد ضوابط منطقية محددة وقابلة للتطور والتلاؤم السريع لا المتباطيء المتعثر ، وحث المعنيين على مواكبة التطور العلمي والتقني اولا بأول . ونورد المثال التالي لايضاح ذلك :

منذ ظهور (الحاسبة) هذا الجهاز الذي احتل مكانة ضخمة وحيزا كبيرا في حياة الانسان المعاصر ولغته ، التي سميت أيضا بـ (الحسابة) و (الحاسوب) و (العقل الالكتروني) ، أوغير هذا وذاك من المصطلحات ، احتار المعنيون بالامر ، ماذا يسمّونها ولزمن ليس بالقصير (نسبة لمصطلح

واحد)،في الوقت الذي كان يتسارع فيه التقدم العلمي وتداخل الكثير جدامن المصطلحات والمفاهيم الخاصة بأجزائها والعمليات التي تستخدمها ، لم يحسم موضوع تسميتها ، الا مؤخرا بتسميتها (الحاسوب) ، وفي هذه الحالة يحق لنا أن نسأل :

أ ــ ألم يكن بالامكان ، مناقشة الامر بشمولية مناسبة منذ البدايات الاولى للموضوع وحسمه والانتقال الى غيره من مصطلحات ؟ فها قد وجدنا مصطلحا واحدا فيه سلامة اللغة العربية ــ كما يراه بعضهم ــ وفوتنا على اللغة عشرات المصطلحات الاخرى التي ظهرت من خلال هذه السنوات ، كالتي يتعامل بها اليوم المشتغلون بالحواسيب ، وهي كلمات أجنبية صرف اصبحت مستخدمة بوضعها باللغة الاجنبية •

ب ــ متى يعد المصطلح مكتسبا لصفة (الشرعية) ويصبح إقراره نهائيا ، وكيف يتم تعميم استخدامه ؟•

ج ــ ماذا بشأن المصطلح المستخدم لوصف الشيء ذاته في الاقطار العربية الشقيقة ؟ وكيف يمكن توحيد المصطلح على صعيد الاقطار العربية كافة؟

د ــ ماذا بشأن المصطلح المستخدم في الشركات الاجنبية التي أصبحت هي المصدر الرئيس للبرمجيات العربية ولها دور مؤثر في الشباب والمجتمع•

هـ ــ متى يصل الدور لتعريب باقي المصطلحات الاخرى المرتبطة بالحاسوب ؟• اذا كان مصطلح (الحاسوب) نفسه قد استغرق ما لايقل عن أربعين عاما لاقراره ، وهل يمكن التحول عن استعمال الكلمات الاجنبية من شاكلة (البت bit و البايت byte والبقر buffer وغيرها) بعد ان يكون قد ألفها المشتغلون بالحواسيب كما هي •

و ــ ثم ماذا يكون الامر لو اعتبر بعضهم ان مصطلح (الحاسوب) هو مصطلح ثقيل أو غير شامل في استخدامه ؟ او غير صحيح ، فلا يلبث ان يأتي من يعدله او يضع مصطلحا آخر بدلا منه وهذا بمثابة اسقاط

فائدة الكثير من المراجع العلمية او تخطئتها مجددا ؟ وهذا الامر يحصل دائمـا في أيامنـا هـذه ، حتى في مصطلحـات أقرها المجمع العلمي العراقي ببغداد[1] .

لغـة العلم وسلامة اللغة العربية :

يخطىء من يعتقد ان البحوث والدراسات العلمية التي نراهـا في حياتنا اليومية عادة هي أعمال خالدة كبعض القطع الادبية والشعرية . فالاعمـال البحثية المدونة بلغة العلم ، لن تخدم الانسانية الا لفترة وجيزة جدا من عمر الزمن ، اشهر او سنوات في اكثر تقدير ، إن هي استطاعت ذلك ! . بـل ان رسائل الدراسات العليا في المجالات العلمية قد لا تُقرأ بعد اكمال المتطلبات ونيل الشهادة الا نادرا ، وهي في أحسـن الاحوال قد تتحول الى بحـوث منشورة ، التي بدورها لاتلبث أن تنسى بعد سنوات قليلة في خضم الاعداد الهائلة من البحوث التي تصدر سنويا ، في ظل التقدم العلمي المتسـارع والواسع النطاق واذ نقرأ اليوم أعمال العلماء العرب القدمـاء في مجـال الطب والرياضيات والفلك وغيرها ، لانقرأها كأعمال أدبيـة فذّة ، وتتمتع بما يرد فيها من عذوبة الوصف والكلمات وجمال التعبير والابداع ، كما نقرأ الشعر العربي القديم أو ابداعات أجدادنا الافذاذ ، بل نطلع عليها ــ فخـرا

---

(1) هناك الكثير من المصطلحات التي أقرها المجمع العلمي وأصدرها بقائمة ، ولكنها تعتبر مصطلحات غير دقيقة علميا ، ومنهـا ان السكـر المعروف باسـم (سكـروز sucrose) وسكر ثان هو المعروف باسم (دكستروز dextrose) وسكر ثالث معروف باسم (غلوكوز Glucose) سميت جميعها باسم سكر العنب (انظر المرجـع (٨) الاثري ١٩٨٢) ، وهو في الحقيقـة اسم ينبغي أن يطلق على النوع الاخير من أنواع السكر فقط وهو اسم شائع ، وليس اسما علميا ، لان هناك اختلافات واضحة بين هذه الانـواع من السكر في التركيب والخصائص ، اذن فهذا المصطلح هو بمثابـة عـودة بالعلم الى الوراء حيث يجب السير نحو المزيد من التخصص وليس العودة الى العموميـات ، وان مثل هـذه التسميـة غير المدروسة تضعف من ثقة العلميين بالتعريب بلا شك .

واعتزازا فقط ـ لكونها علامات مضيئة في زمن كان العالم يسوده الجهل والتخلف ، او نستقري من خلالها ، الانجازات العلمية التي تمكّن أجدادنا العظام من تحقيقها •

ان عراقة اللغة العربية وأصالتها مكنتها من الوقوف صامدة أمام جميع الغزوات العسكرية والثقافية ، المغولية وغيرها ، واصطدمت في مصر باللغتين اليونانية والقبطية فانتصرت عليهما ، وفي المغرب اصطدمت باللغة البربرية ، ثم تغلبت عليها ، كما تغلبت على العديد من اللغات الاخرى(٣)، وهي ما تزال صامدة بوجه اللهجات الدارجة التي تعرف أحيانا باللهجات المذمومة لن تنال منها بعض الاختلافات في التعابير في لغة أهل العلم ما دامت تلك الاختلافات لاتمسّ قواعداللغة العربية وأصولها •

ان لغة العلم تميل الى البساطة والوضوح بما لا يتعارض مع الدقة العلمية ، الا ان الحفاظ على سلامة اللغة العربية يجب أن يبدأ باشكال اخرى أكثر اهمية واكثر جدوى ، وأن يبدأ من المراحل الدراسية الاولى من جهة ، ومن صميم المجتمع ، من صفوف المواطنين ، من جهة ثانية ، ويكفي أن نلقي نظرة على الصحف والمجلات اليومية او على الاعلانات ولوحات المحالّ التجارية ومحال تصليح السيارات ، لنرى مدى شيوع الانتهاكات لقواعد وأصول اللغة وسلامتها ، بل ان أي لوحة محل تجاري أو حرفي معلقة في الشارع ، قد تؤثر في لغة المواطن لفترة اطول وبشكل أبلغ من تأثير بحث علمي أو رسالة ، ومع هذا يجب التسليم ان هذه هي افرازات الحياة اليومية، وهي مستمرة بالطريقة نفسها التي تطورت بها اللغة الدارجة التي اكتسبت لهجات ومظاهر تختلف من مكان لآخر ، ولم يكن هناك سبيل لتلافي ظهورها•

وبالرغم من ان التقويم اللغوي لرسائل الدراسات العليا (على وجه الخصوص) يفيد في تصويب الكثير من الجمل التي تخالف قواعد اللغة العربية وليس في هذا شك او اختلاف ، الا ان هناك بعض القناعة لدى أغلب اهل العلم ، ان بعض التقويم اللغوي المتبعحاليا ـ أو نسبة كبيرة

منه ــ ليس لغويا في جوهره ، بل هو وجهات نظر حول ألفاظ معينة ومحددة، وقد يدخل مُدْخلات فلسفية يمكن اثبات عدم دقتها لو اتيحت الفرصة ، حيث إن رأي المقوم اللغوي (يُعدّ) قاطعا ونهائيا لا نقاش فيه .

التقويم اللغوي للبحوث ورسائل الدراسات :

قد يكون الباحث العربي (وربما العراقي فقط) هو الوحيد الذي تخضع أعمالُه الى عملية التقويم اللغوي ، وهو متّهم بالخطأ اللغوي ، ويبقى متهما بعدم الكفاءة في التحدث بلغته مهما بلغ من مراتب ، في حين ان خبراء اللغة أنفسهم ،غير متفقين حتى اليوم على الكثير من التعابير والمفردات العربية الصرف ، فكيف بالمصطلحات المعربة والمشتقة التي قد تتراجع عنها حتى الجهة التي أطلقتها اول مرة ، او انها تصبح حبرا على ورق منذ اول لحظة ظهورها . ويرى الدكتور عبدالجبار النايلة(٩) انه لايجوز لأي نحوي ان يلزم اهل لغة ما (أي المتحدثين بها) باستعمال ما لم تعتده ألسنتهم ، من تعبيرات الكلام واساليبه ، وان وظيفته تتلخص في رصد الكلام والتعابير ثم وضع قواعد لها بعد استقراء تام للغة واجراء استقصاء عميق لها ، في حين يرى الملائكة (٦) أنّ على العلمي ان يضع المصطلح الذي يخدمه ، مستعينا بأهل اللغة ، لانه لن يجده عند المجامع والهيئات المعنية بالتعريب جاهزا ، وقد أصبحت تخطئة اللغويين للعلميين ظاهرة شائعة جدا هذه الايام لاسيما في الاوساط الجامعية في العراق ، وذلك في مجال تقويم رسائل الدراسات العليا . وهذه الحالة تسبب تضاؤل الثقة التي يوليها العلميون الى عملية التقويم اللغوي وفي التعريب ايضا ،وذلك للاسباب الآتية :

١ ــ ان التقويم يتم في أحيان كثيرة بصورة هامشية ولا يتدخل في صميم الالفاظ او الظواهر او الجمل او السياقات التي تهدد سلامة اللغة حقاه

٢ ـ ان بدائل التعابير او المصطلحات التي يضعها المقوم اللغوي ، امـا لانها لاتعبر عن المفهوم بكامل أبعاده او انها تتبدل بعد فترة وجيـزة ، مما يعني وجود خطأ في العملية بمجملها •

٣ ـ ان أغلب التصويبات تدخل مداخل فلسفية ، لا لغوية وسنوضح هـذه الحالة فيمـا بعد •

٤ ـ ان خبراء اللغة غير متفقين حتى اليوم على العديد من التعابير والمصطلحات، وبعضها يبقى في تغير دائم •

٥ ـ ان من يكلف باجراء عملية التقويم اللغوي ، قد لايكون مؤهلا ، التأهيل الكافي لانجـاز التقويم •

نظرة فلسفية لا لغوية :

تكتسب الكثير من اعتراضات أهل اللغة ، طابعا فلسفيا لبعض المفردات التي يجري ذكرها ، تحت غطاء السلامـة اللغوية ، ولايضـاح ذلك نـورد الامثلـة الآتيـة :

يقول اللغويون ان الصواب ان نقول (التأثير في) ولا نقول (التأثير على) ، ولم يقدم احد قاعدة أو تحديدا للحالات ، وهذا التعبـير قد يكون صحيحا بل اكيدا ، في حالات معينة ، كأن يقال : تأثير المدرس في نفوس الطلبة ، او تأثير المثقف في المجتمع ، أو تأثير القرآن الكريم في اللغة العربية، ولكنه لايكون دقيقا ، حين نقول مثلا :

- تأثير أشعة الشمس (في) درجة الحرارة ، بل (علـى) درجة الحـرارة •• لان أشعة الشمس لاتؤثر في درجة الحرارة نفسها بل (في) جوانب عديدة أخرى في الطبيعة فيكون الناتج الاجمالي لها هو زيادة درجة الحرارة أي ان اشعة الشمس تـؤثر (في) الطبيعة فيكون الناتج تأثير (علـى) درجة الحرارة مسببة زيادتها •

- تأثير مادة سامة في الاحياء المجهرية غير صحيح لان البحث كان يناقش مثلا تناقص أعداد الاحياء المجهرية بسبب التعرض الى المادة السامة ، وبذلك فان المادة السامة لايكون لها تأثير (على) الاحياء نفسها بل على أعدادها ،ولكن ليس من المتعارف عليه القول : « ان تأثير المادة السامة في عدد الاحياءالمجهرية .. الخ)
- العوامل المؤثرة (على) ذوبان الاوكسجين في الماء ، وليس العوامل المؤثرة (في) ذوبان الاوكسجين في الماء .. وينطبق التفسير السابق على هذا المثال ايضا أي ان الذوبان هو ظاهرة تربط مابين الاوكسجين والماء.
- اذا أردنا ان نصف اسوداد الابنية بسبب الدخان فنقول بأن تأثير الدخان (على) الابنية ، يؤدي الى اسودادها وليس من الصوب القول (في) الابنية ، لان هذا يعني في فنائها ، وهو تأثير موجود ايضا لكن العبارة لم تقصده .
- تأثير التغذية على معدل زيادة الوزن ، وليس في معدل زيادة الوزن ، لان المعدل هو محصلة أو حالة تربط ما بين التغذية والوزن .
- تعابير اكثر تخصصا وهي ما نرمي اليه ، كأن نقول : تأثير المادة السامة (على) جسم الانسان وليس (في) جسم الانسان ، والسبب ان التأثير على الجسم هو حصيلة العديد من التأثيرات بسبب تعدد أنشطة الجسم وأعضائه فقد يكون حصيلة التأثير في الكبد وفي الامعاء..الخ.

قد يعزى منشأ بعض هذا الاختلاف الى ان أهل اللغة ينظرون الى التأثير بأنه يجري في صميم الجسم او الجزء أو غير ذلك ، وهو وإن كان سطحيا فهو تأثير (في) وليس (على) . من ناحية أخرى فقد يعد أستعمال حرف الجر (في) لمثل هذه الاستعمالات أكثر بلاغة في عدد من الحالات ومنها على سبيل المثال لا الحصر ، أن الدكتور نوري حمودي القيسي(١٠) يقول في بحثه المرسوم «أدب الأديرة» واصفا صورة لمريم العذراء بقوله: «ففيه صورة مريم في حائطه منتصبة » . بغض النظر عما أذا كانت الصورة معلقة على

الحائط أو منقوشة عليه (أو فيه) ، ومن المؤكد أن مثل هذا الاستعمال لا غبار عليه البتة ، الا أن تطبيقه لاعراض الوصف العلمي الدقيق يجعله غير مناسب كقولنا مثلا : وجدت علامــة تحذيرية في الصندوق معلقة ، مما يعني انهـا معلقة في داخل الصندوق في حين يكون المقصود هو أنها معلقة علىخارجه.

علما أن تعبير (التأثير على محسوم في اللغات الأخرى، فيقال بالأنكليزية : " ... Effect on وليس : "... Effect in (*) مطلقا ، ومــع كل هــذا وذاك ، فإن تبديل حرف الجر (في) بحرف الجر (على) أو بالعكس لايتعارض مع قواعد اللغة أو سلامتها . وحينما يرى المختص العلمي بأن هذا التعبير يخدمه دون ذاك ويعبر عما يجول بخاطــره ، فيجــب أن يتــرك الخيار له ، لاسيما وأنه لايتعارض مع قواعد اللغة العربية كما أسلفنا .

أن هذا التعبير المتخصص يشبه الى حد بعيد مصطلح الأنتشار ،فنحن نقول أنتشار مادة في الماء أو الهواء ، ولكن يمكن في الوقت نفسه أن نقول أنتشار المادة على سطح التربة أو على سطوح الأوراق النباتية ، حيث يكون الانتشار سطحيا فقط .

أن مثل هذا الاختلاف يبدو أقرب الى النظرة الفلسفية للموضوع منهالى السلامة اللغوية ، ولا يوجد فيه تهديد لسلامة اللغة والجملة لاتزال متماشية مع القواعد السليمة للغة العربية .

أن الكثير من المصطلحات يمكــن أن تخضع الى مثل هذا النقاش مثل : التغلغل في ، والتغلغل الى ؟ ، النفوذ في ، والنفوذ الى ... ؟ الخ .

وترد مثل هذه الحالات من التخطئة في العديد من الكلمات الأخــرى المشابهة التي لايزال أهل اللغة غير متفقين بشأنها حتى اليوم ، كما في حالــة الفعل (شكر) (٩) ، وأي الحالات أصح : شكره على صنيعه ، أم شكر لــه صنيعة ، أم شكره له صنيعه ؟ في حين يمكن أن يراها غير ذي الأختصاص على

(*) هذا ليس حجة لان لكل لغة اسلوبا في تعدية الافعال بالحروف .

أنها ممكنة الاستعمال جميعها وما هـي الا تنويع في الاستخدام لا ضرر فيه على اللغة (وربما الاصوب أن تقول لا ضرر فيه على اللغة) .

لاشك في أن هذه المداخـلات التي يبديها اللغويون التي اسميناهـا بالفلسفية ، إنما تدل على الدقة والنظرة التحليلية الثاقبة بالطبع ، وقد يكون بعض سببها هو طبيعة دراسـات النحو وقواعد الصرف والأعراب باللغـة العربية ، لكنها في الوقت نفسه تفتقـر إلى الخبـرة العلميـة للموضوع التخصصي ، ويقول الدكتور عبدالجبار النايلة (٩) أن النحويين خطأوا الكثير من العرب في كلامهم ، فمن نكون نحن علميو اليوم في مجال التعبير اللغوي بالقياس الى قدماء العرب ؟ .

أن المختص العلمي أمين على لغته بكل تأكيد ، وهو حينما يستخدم هذه الأداة اللغوية دون غيرها لا يقصد الإسـاءة الى لغتـه ، لكنه يحاول أيصال المعلومة على وفق أفضل المصطلحات .

مثال ذلك : فرض حظر مشـدد قبـل فترة وجيـزة علـى استعمـال تعبير (بالإضافة الى) ، وأحل تعبير (فضلا عن) محله ، ولا أحد من أهل العلم، يعلم السبب وراء ذلك (*) أيضا ، وما هو الخطأ في التعبير الأول ، وأيـن هي القاعدة التي يمكـن أن يستعـين بها العلميون ــ ولا نقول يقتنع بهـا العلميون ــ ولطالما ناقش العلميون هذا الموضوع ، باحثين عن تبرير مقنـع أو أساس معين يمكن أعتماده ، كأن يكون : اضافة الجزء الى الكل ، أوالكل الى الجزء ، فكان الأمر اقرب الى التشبيـه القائل : لاتقل هذه كأس فـرغ نصفها بل قل هذه كأس أمتلا نصفها » ، أي كيف تنظر الى هذا الامر ، ومن أي زاوية فلسفيـة ؟ . والا فكيف يمكـن أن نعبر عن الجملة الآتية : « أن تسمية جميع أنواع السكر بسكر العنب غير صحيحة فهناك أختلافات تركيبية بين الأنواع ، فضلا عن أن مصطلح سكر العنب هو لفظة عامة يوجد مايقابلها

(*) السبب هو ان معنى الاضافة النسبة .

بالأنكليزية أيضا، هذا فضلا عن أن مصطلح الغلوكوز (يعد) من المصطلحات الشائعة الاستعمال» •

مثال آخر : أعلن المختصون اللغويون قبل وقت ليس بالبعيد ، أن عملية مراجعة البحث يجب أن تعرف بالتقويم ، (وكان اللفظ المتداول قبل ذلك هو التقييم) ، بأعتبار أنها عملية أجراء تصويبات لغويـة أو منهجية ، وجاء ذلك القرار حاسماً وقاطعاً ، وقد يكون هذا التغير صحيحا في حالة إرسال البحث إلى مقوم علمي لتقويم المنهجية او التجارب أو الأرقام ، أو الى مقوم لغـوي لتقويم اخطائه اللغوية • إلا أن عملية أرسال البحث قد تكون بهدف أستبيان قيمته العلمية بعد ان يكون قد نشر (أي تثمينه) ولايجـوز اجـراء أي تعديل عليه أو تقويم له ، بعد ان اتخذ شكله النهائي • وبذلك فان العملية يجب أن توصف بأنها (تقييم) أي تثمين ، وليست (تقويم) ، وهناك اليـوم اصـرار منقطع النظير على مقاطعة كلمة (التقييم) و (المقيم) على الرغم من اجازة مجمع اللغة العربية بالقاهرة لها ، الى درجة يبدو معها وكأن كـل تصريف مرتبط بعملية (بيان القيمة) قد حذف من اللغة العربية او انها وضعت في قائمة سوداء، فأصبح من المألوف قراءة عنوان بحث على غرار : « تقويم الخصائص العلاجية لمركبات •••» في حين يشير مضمون البحث الى دراسـة كفـاءة المركبات المدروسة في علاج حالات مرَضية ، ولا علاقة للبحث بتعديـل أو تحسين الخصائص العلاجية كما يشير العنوان (وهو مجال آخر يمكـن ان يكون عنوانا لبحث آخر أيضا) أو « تقويم رسوبيات نهر دجلة من حيث محتواهـا من العناصر •• ألخ) • وقد ناقشت هذه الحالة بالذات مع أحد اساتذة اللغة الافاضل ، وأكد ضرورة استخدام تعبير (التقويم) ودخل مداخل فلسفيـة صرفا ، تعذّر عليّ الاقتناع بها ولا علاقة لها بالاصل الثلاثي أو غيره ، وهناك من يجرؤ اليوم من بعض أهل العلم على استعمال (التقييم) في تعابـيره غـير مبال بالتخطئة التي لابد ان يتعرض لها لكنهم قلـة ، اذ شـاع استخـدام (التقويم) الى درجة لايمكن التراجع عنها بهذه السهولة •

ألا (يعد) هذا اضرارا باللغـة العربيـة من أهلها ، وقد (يعد) علـى وفق بعض المعايير تجنيا على العلميين ؟ ، ويلاحظ هنا ايضا وجود اختـلاف حول استخدام (على وفق) بدلا من (وفق) المتعارف عليها ، في حين يذكـر أحد المختصين باللغة العربية ان (وفق) هي الواردة في المعجم ، وأن (على وفق) لم ترد في المعاجم العربية(*) ، وهو اختلاف آخر ، لا مجال للدخول فيه الان (وقد يكون من الصواب القول : لا مجال للدخول اليه الآن !) •

مثال آخر : دخلت في الآونة الاخيرة كلمة (تعتبر) وتصريفها ، في قائمة التعابير الممنوعة أيضا ، بدون تهمة واضحة أو مسوّغ منطقي معلن أو قاعدة يستعان بها ، وأحل اللغويون كلمة (تعد) محلها ، وكنا (نعتبر) أن لكل كلمة من الكلمتين استخدامها الخاص بها ، فنقول على سبيل المثال :

« يعد الاسهال أول الامراض المعدية ذات الأثر ••ألخ•

باعتبار ان العملية فيها شيء من حساب لعدد من الحالات المـرضية ، وهناك مرض ثان وثالث •

وبالطريقة نفسها كنا نستطيع القول : «يمكن أن يحسـب الاسهـال على أنه أول الامراض المعدية ••الخ •

ومع ذلك فلم نكن نرى ضعفا أو ركاكة في قولنا : « يعتبر الاسهال•• ألخ ، اذ يمكن القول أيضا «•• آخذين بنظـر (الاعتبـار) أن الاسهال» أو « آخذين في الحسبان » ، في حين لايمكن ان نقول : «آخذين بنظر الاعداد»•

وهناك العديد من الامثلة التي تنضوي تحت هذا الباب ، على غـرار : (يساعد على) أم (يساعد في) • ومتى نقول تعبير : « كمـا في الجمـل التالية » ومتى نقول : «كما في الجمل الآتية » و « فيمـا يلي وفيما يأتي » وغـيرها •

---

* ورد في الشعر العربي القديم وهو الاسلوب العربي والمعاجـم ــ كما هـو معروف ــ لم تذكر كل كلام العرب .

الاغـراق في القواعـد :

يرى الدكتور جميل الملائكة (١٩٨٢) ضرورة عدم الاغراق في القواعد وقد يكون التعبير الدارج والمتعارف عليه ، أفضل بكثير من مصطلح آخـر مقترح ، وضع بعد دراسةفلسفية متعمقة ، ويفترض على الناس فرضـا ، ولتوضيح ذلك نورد الامثلة الآتية :

كثيرا ما نسمع في نشرات الاخبار عبارة : « التقى الـرئيس بوزيـر خارجيته » والقصد منهمفهوم للجميع بالطبع ، الا أننا اذا نظرنا الى هـذا التعبير من زاوية فلسفية ، فانه ذلك سيجرنا الى التساؤلات الآتية :

- ان كلمة (خارجيته) تعود على الرئيس ،وهذا خطأ فالمفـروض أن يكون التعبير « التقى الرئيس ووزير شؤونه الخارجية » أو « وزيره للشؤون الخارجية » الا أن التسمية الرسمية للوزير هو وزير الخارجية .
- ان تسمية الوزارة باسم : «وزارة الخارجية» تعد تسمية غير صحيحـة، والصواب أن تكون : وزارة الشؤون الخارجية .
- ان تسمية وزارات اخرى هي بدورها غيرصحيحة أيضا ، ويفترض أن تكون : وزارة الشؤون الداخلية ، ووزارة الشؤون التجارية، وهكذا، اذ أن نفس المشكلة ستظهر اذا قلنا : اجتمع الرئيس ووزير تجـارته أو وزير زراعته وغير ذلك .

لا نأتي بجديد اذا قلنا ان التقصير ، في حالة وجوده ، فانما أسبـابه لاتعود الى المتحدث أو الباحث أو الاستاذ المشرف على رسالة ما ، أو المثقف العربي نفسه بل الى اسلوب اعداده في المراحل الدراسية ، في أثنـاء تدريس اللغة العربية ، وتوزيع منهاجها على سنوات الدراسـة ، فمن السلوكيـات الشائعة اليوم ... معالجة الظواهر دون المسببات الحقيقية ، أي تصحـح (الهفوات) اللغوية ، ولا نصحح المسارات التي ادت الى الوقوع فيها ، ولعل أفضل ما يمكن ايراده لوصف هذه الحالة هي بيت الشاعر القائل :

القـاه في اليّم مكتوفاً وقـال له   إيّاك إيّاك أن تبتـل بالمـاء

ولا أدري إن كان من حقي أن أقتبس من المعري قوله :

« هــذا جنـاه أبــي علــيّ   ومــا جنيــت علــى أحــد »

و « أبي » في هذا الاقتباس كناية عن اهل اللغة ممن علمونا في المراحل الدراسية دون الجامعية مع كل اعتزازنا بهم ، فقد كانوا ينقلون الينا مفردات منهجية موحدة أو مواد لاحقّ لهم في تغييرها •

أقول هذا بالرغم من توفر القناعة أن ما يكتبه بعض أهل العلــم اليوم ـ وهم في طليعة المجتمع ـ او مايرتكبونه من أخطاء لغوية بحق لغتهــم ، يعد إجحافا بقواعد اللغة العربية تصل الى حد الخلط ما بين حرفي الضــاد والظاء ، ومثل هذا الباحث أو طالب الدراسات العليا ، ما كــان يُفتــرض أن يكون في هذا الموقع أساسا ولكن للضرورة أحكام !•

كما قد لانأتي بجديد أيضا اذا قلنا ، ان ما كان يعرفه الشباب بالامس من الشعر والادب والثقافة ـ وبالتالي الفصاحة اللغوية ـ يبلغ أضعافا مضاعفة لما يحفظه أو يعرفه شباب اليوم ، وهذا أوضح دليل على وجود تقصيرٍ مّــا في العملية التعليمية في مجال اللغة العربية وقد فرحت في وقت ما حين علمت بقرار تدريس اللغة العربية في الدراســة الجامعية التخصصية أو العلمية في كليات التربية ، الا أن الفرحة لم تدم حين وجدت أن ما يدرس من مفــردات لا يرقى الى المستوى المطلوب ، وما هو الا تكرار لما كان يدرس في المراحل دون الجامعيــة •

مشكلة تغيير التعابير في وسائل الاعلام ايضا :

يبدو أننا ، ابناء اللغة العربية (مختصين وغير مختصين) ، لــم نكــن بمستوى طموح أجدادنا ، اذ لانزال نبحــث حتى اليــوم عــن المفردات والمصطلحات المناسبة ، ونكثر من التغييرات ، داخلين بسبب ذلك في مداخل فلسفية أحيانا ، تبعد اللغة عن مضمونها الحقيقي لاسيما في المجالات العلمية، وتشتت علينا الخيارات ، وتخلط الخطأ بالصواب ، ولنا أن نورد المثال الآتي:

تعتبر (وأرى أن هذا أصوب من تُعَدّ) وسائل الاعلام ، طريقا كفوءاً لتعميم الافكار والمفردات ، لاسيما ونحن نعلم بان هناك اشرافا لغويا على كل ما يقدّم فيها . وقد سمعنا مؤخرا ، الكثير من التغيير في مصطلحات اللغة ومفرداتها لم نسمع بها من قبل ، على غرار :

« لقي عشرة أشخاص مصارعهم .. » وكنا نسمع سابقا : «لقي عشرة أشخاص مصرعهم .. » كيف تم التغيير ، ولماذا ، ومن الذي قرر ذلك ، وما هي القاعدة .. لا أحد يعلم ؟. وبما ان فطنة الانسان العلمي او المثقف ، تستدعي اعتبار (وليس اعداد) هذا التغيير بمثابة قاعدة ، لذلك ، ضاع علينا الخطأ من الصواب :

فهل نقول : مصرع عشرة اشخاص ، أم مصارع عشرة أشخاص ؟ أو
لقي عشرة أشخاص حتوفهم ، أم حتفهم ؟ أو
سد الطعام رموقهم ، أم رمقهم ؟.

وما قولنا في عبارة : (اذا جاء أجلهم ..) ، وليس آجالهم الواردة في ست آيات من القرآن الكريم ، منها سورة (الأعراف)[٢] وسورة (يونس)[٣] .

قد ينبري لنا احد المختصين باللغة وعلومها ، ليقول : بأن هذا الجمع خطأ ولا يجوز او لا داعي له .. فكيف لنا ان نعرف الصوابَ من الخطأ؟ وكيف لنا التأكد من (شرعية) الاستعمال ودقته ؟ ومَن المخوّل باجازة استعمال مصطلح دون آخر ؟ وهو يذاع علينا يوميا في نشرات الاخبار .

مشكلة تغيير التعابير العلمية المتخصصة :

المصطلح كما ورد تعريفه في (الوسيط) بأنه اتفاق طائفة على شيء مخصوص ، ولكل علم اصطلاحاته ، ويجب ان يوضع المصطلح باتفاق جماعة

---

(٢) ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لايستاخرون ساعة ولايستقدمون الاعراف (الآية ٣٤) .

(٣) ..... لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون يونس (الآية ٤٩) .

على معنى محدد لعلم او فن او فكر او تيار فلسفي ، او ظاهرة (عـزالدين ١٩٨٤ ص ٧٤) •

تفرض الكثير من المصطلحات فرضا على العلميين ، حتى ولو كانت غير معبرة عن حاجاتهم او انها تتعارض مع الدقة العلمية ، وقد اطلقت من غـير دراسة معمقة للأبعاد المترتبة على ذلك ، وحصلت على (شرعية) الاستعمـال بشكل او بآخر ، وحين يشيع استعمالها، يبادر آخرون الى اطلاق مصطلـح آخر غير معروف او اصعب تصريفا ، مستغلين نقطة ضعف المصطلـح الاول المتمثلة بعدم كفايته لأوجه الاستخدام المطلوب له ـ او هكذا يبررون التغيير في الاقل إن سئلوا عن ذلك ـ خالقين بذلك مشكلة متعددة الاوجـه تتمثل بمـا يأتـي :

١ ـ فمن جانب هي تحويل التعبير المتداول الى آخـر غير معروف ، وهـذا الاتجاه مستمر ، وان يتوقف مع الاسف ، اذ ان أغلب من يكلف مـن العلميين بتأليف كتاب منهجي أو غير منهجي ، أو يبادر هو الى التأليف، يبدأ باطلاق المصطلحات الجديدة لاثبات مقدرته على حساب اللغة من جهة والعلم من جهة ثانية ، دون مراجعة لما نشره الاخرون من قبل ، أو قد يتجاوز اعمالهم لاسباب شخصية أحيانا •

٢ ـ ومن جانب ثان ، فان تعدد التعابير او المصطلحات حول نفس المضمـون أو المفهوم ، أمر لا مسوغ له ، لاسيمـا عند عـدم وجـود الشرعية للاستخدام من عدمه ويضيف أعباء كثيرة في عملية التدريس والتأليف والترجمة ، الى درجة ان مناهج الدراسة الجامعية ، كثيرا ما تشير الى مصطلحات هي غير التي تعلمها الطلبة ودأبوا على استخدامهـا خـلال الدراسة الثانوية •

٣ ـ ومن جانب ثالث : فان عدم وجود وسيلة كفوءة لتعميم التعبير وكذلـك الجديد ، تجعل من العلميين يتحدثون بمصطلحات شتى بحيث يلجـأ عدد منهم الى الاكثار من التحدث بالمصطلحات الاجنبية تلافيـا لمـا

يلاقونه من صعوبة في ايضاح المصطلحات العربية التـي تتنوع بدون مبـــرر •

لقد اتسعت أبعاد هذه المشكلة مؤخرا بعد زيادة عدد الكتب المنهجيـة والمساعدة والمترجمة ، بحيـث أصبح بعض المصطلحـات التي تـدرس في الدراسة الجامعية على وفق الكتب المنهجية لاعلاقة لها بالمصطلحات الواردة في الكتب المقررة للدراسة الثانوية ، ويمكن ايراد بعض الامثلة على ذلك :

١ ـ طبقة النسيج الذي يتألف منه الجلد وبطانـة الجهاز الهضمي والتنفسي وغيره يعرف في بعض الكتب المنهجية بالنسيج الطلائي وفي بعضها الآخر بالنسيج الظهاري • يحتوي هذا النسيج على العديد من الانواع الثانوية التي تختلف في تسمياتها تبعا لذلك •

٢ ـ هناك طبقة من النسيج التي تقع تحت الجلد كما يتكون منها كثـير من أجزاء الجسم كالعظام والغضاريف وغيرها تعرف في بعض الكتب المنهجية بالنسيج الرابط ، وفي أخرى بالنسيج الضام ، ومن الانواع الثـانوية لهذا النسيج ، نوع هش القوام ، غير متماسك ، يعرف في بعض الكتب المنهجية بالنسيج (الضّام الرّخو) في حين يعرف في بعض الكتـب الاخرى بالنسيج (الرابط المفكك) ، وقد يصدر في كتـاب منهجـي تحت تسمية النسيج (الضام المفكك) نظرا لان مؤلف الكتاب الاخير أعجب بتسمية من هذا المصدر ،وأخرى من ذاك •

٣ ـ التراكيب التنفسية ، الصغيرة الحجم والكروية الشكل التي كانت تعرف سابقا بالحويصلات الرئوية ، عدلت تسميتهـا في بعض الكتـب الى الأسنـاخ •

قد تكون المشكلة أكثر مدعاة للاسف حين تتعارض تسميـة نفـس الجزء أو الظاهرة في مادتين دراسيتين مختلفتين تدرسان في عام واحد ضمـن الدراسة الجامعية في علوم الحياة •

هذا غيض من فيض ، ومن تخصص واحد في علوم الحياة ولا أجد مبالغة في القول بأن أعداد هذه الاختلافات في اختصاصات علوم الحياة يقدر بعدة مئات في الاقل ، فضلا عن الاختلافات في العلوم الاخرى • وسيستمر تزايد المصطلحات كلما استمرت الاجتهادات ، ووجوه الرغبة في التغيير ، هذا فيما يخص الكلمات المتداولة حاليا فعلا ، وهناك قوائم اخرى بمفردات لم تحظ بفرصة الاستعمال مثل (إنجلاد) أي التهاب الجلد ، و (أنوراد) أي التهاب الوريد ، و (إنغداد) لوصف التهاب الغدد وغيرها (الجليلي ١٩٨٣) ، و (كهربون) أي ألكترون ، و (ضوءون) أي فوتون و (متعادلون) أي نيوترون (الملائكة ١٩٨٦ آ) وغيرها •

خاتمة وتوصيات

يتضح مما تقدم ابتعاد عملية التقويم اللغوي عن الهدف الحقيقي المرجو منها ودخولها في مداخل فلسفية صرفاً في أحيان كثيرة ، بحيث يجدها أهل العلم اما متناقضة مع الاستعمال الذي خصصت لأجله ، أو انها غير وافية له أو غير شاملة ، وتزداد هذه المشكلة في حجمها حين تفرض المصطلحات فرضا على الرغم من عدم كفايتها او ان يعود اللغويون عنها بعد فترة طويلة كانت أو قصيرة ، ولعلاج مثل هذا الضعف أو التناقض ، يكون من الضروري التوصية بما يأتي :

١ ـ افساح المجال للعلميين في التعبير عن المفردات والمصطلحات طالما كان تركيب الجملة غير متعارض مع القواعد السليمة ، والتركيز بدلا منها على التعابير التي تتناقض فعلا مع قواعد اللغة العربية •

٢ ـ عدم اطلاق المصطلح من قبل الجهات المخولة بذلك بالاعتماد على رأي مختص واحد فقط (يكون عضوا في لجنة أو في مجمع اللغة ، حتى وان كان من أهل الاختصاص) وعدم اشاعة استعماله ، الا بعد دراسة دقيقة ووافية ، وحصول التأييد الكافي له من قبل أهل الاختصاص •

٣ ــ الاسراع بتوفير المصطلحات اللازمة بشكل يواكب التقدم العلمي في الدول الاخرى وتحديد الجهة المخولة باطلاق المصطلحات(*) ، وايجاد الوسيلة اللازمة للتعريف بالمصطلحات الصادرة عنها دوريا .

٤ ــ التنسيق مع الجهات الاخرى المناظرة في الاقطار العربية لغرض توحيد المصطلحات أو تقريبها وازالة التعارض قدر الامكان .

٥ ــ تلافي الإغراق في القواعد وضرورة عدم اتخاذ جميع ما ينشر من بحوث أو رسائل في مجال اللغة العربية قاعدة يستند اليها لاجراء التحوير في المصطلحات أو المرادفات .

---

* تنص المادة التاسعة من قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية رقم ٦٤ لسنة ١٩٧٧ على ما يأتي : «يكون المجمع العلمي (العراقي) المرجع الوحيد في وضع المصطلحات العلمية والفنية وعلى الاجهزة المعنية الرجوع اليه بشانها .

المراجع :

العلي ، صالح (١٩٨٦) متطلبات البحث العلمي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد السابع والثلاثون / الجزء الثالث ص ٤١ .

الجواري ، احمد عبدالستار (١٩٨٦) اللغة والبحث العلمي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد السابع والثلاثون / الجزء الثالث ص٦٣ .

الملائكة ، جميل (١٩٨٦ ــ آ) الصعوبات المفتعلة على درب التعريب ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد السابع والثلاثون / الجزء الثاني ص٥٣ــ٦٧ .

القيسي ، نوري حمودي (١٩٨٥) أدب الأديرة ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الثاني ، المجلد السادس والثلاثون .

الملائكة ، جميل (١٩٨٦ــب) الكتاب العلمي العربي : دواعيه واوضاعه ومستلزماته ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد السابع والثلاثون/ الجزء الثالث ص ٨٣.

الملائكة ، جميل (١٩٨٣) المصطلح العلمي ووحدة الفكر ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الرابع والثلاثون الجزء الثالث ص ٨٦ــ١١٧.

الجليلي ، محمود (١٩٨٣) المعجم اللغوي الحضاري، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ٣٤ (١) .

النايلة ، عبدالجبار علوان (١٩٨٦) ظاهرة تخطئة النحويين للفصحاء والقراء ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد السابع والثلاثون ، الجزء الاول ص ٣٠٢ــ٣٣١ .

عزالدين ، يوسف (١٩٨٤) المعجمات العربية وتوحيد المصطلح العربي ، مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد الخامس والثلاثون / الجزء الثالث .

سلمان ، عدنان محمد (١٩٨٣) الاستقراء في اللغة ، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الرابع والثلاثون ، الجزء الثالث ، ص ٢٠٢ــ٢٢٩ .

الجليلي ، محمود (١٩٨٣) صيغ للمصطلحات الطبية والعلمية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الرابع والثلاثون ، الجزء الثالث ص٥١ــ٨٥.

عواد ، ميخائيل (١٩٨٦) مصطلحات حضارية في التراث العربي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد السابع والثلاثون ، الجزء الاول ص٩١ــ١١٨.

الاثري ، محمد بهجة : من الفاظ الحضارة ، مجلة المجمع العلمي العراقي ٣٣(٤) ١٩٨٢ ص ٢٧٣ ــ ٢٧٩ .

مازق الاقتصاد العربي :
بين الانعزالية القطرية والاقتصاد السياسي للعولمة

الدكتور مظهر محمد صالح
رئيس الدائرة الاقتصادية / أمانة مجلس الوزراء

الملخص :

أمسى الصراع بين الحركة القومية وظاهرة العولمة يمثل نقطة الافتراق التي تتطلب التحري عن معادلة جديدة للتوازن في مسار حركة القومية العربية وتنسجم في الوقت نفسه مع المقدرة الفكرية على اعادة صياغة الخطاب الاقتصادي السياسي للتنمية العربية باتجاه الدعوة الى اقامة منطقة القوة العربية وعدها نموذجا للدولة القومية العربية ضمن التشكيلات الحديثة للنظام الاقليمي العربي ، لاسيما بعد ارتداد النموذج القطري للتنمية وتعرضه لمظاهر الاندماج في تيارات السوق العالمية واتجاهاتها الليبرالية الراهنة ، في وقت ما زال فيه النموذج القومي للدولة القطرية يقاوم هو الآخر مظاهر القمع والعنف الموجه اليه من المركز الرأسمالي لنهب فائضه الاقتصادي المعد للتنمية ، وتحريف مسارات التراكم الاستثماري فيه مستهدفا بذلك قمع أواصره القومية الساعية نحو اقامة نظام اقليمي عربي جديد يمتلك مقومات النهوض بدولة الوحدة .

— ١ —

موضوع هذا البحث محاولة لاعادة تشكيل بنية الخطاب الاقتصادي السياسي للتنمية العربية على وفق رؤية تحذيرية وجدت في تراجع الحديث عن القومية العربية وقد اوقع الفكر الاقتصادي العربي في مسار مخطوء يتمثل في التراخي أو الاستسلام لظاهرة ما يسمى بنهاية عصر القومية وتخطي

المشروع التنموي القومي لمصلحة عصر الاممية الرأسمالية الراهن وعده البديل عن اخفاق النموذج القطري في التنمية الاقتصادية • كما أمست مجهودات البناء والتقدم الوطني في الاقطار العربية تواجه هي الاخرى تناقضا حاداً واغترابا قويا من خلال الدعوة الصريحة الى الاندماج بالسوق العالمية على وفق تأثير القنوات الفكرية والفورات الدبلوماسية للاقتصاد السياسي للعولمة • وبأزاء هذا التناقض ، فان النموذج القطري في التنمية الاقتصادية يواجه اليوم بلا شك ، صورة من صور الالغاء ومحاولة من محاولات الحاقه بالظاهرة الاقتصادية العالمية مباشرة وتجريده من التطلع الى الفكر القومي الذي هو أداة التوصل انى المعرفة والفهم اللازم لتلمس المشروع الحضاري النهضوي الذي موضوعه الجوهري هو الحقيقة القوميــة لاغيرها •

واذا ما عرفنا ان واقع «الدولة ــ القومية» أو « الدولة ــ الامــة » ونشوءها في المركز الرأسمالي الغربي يمر اليوم بمرحلة توصف بـ « مرحلة التصرف القومي » بعد أن بات الحديث عن (المسألة القومية) والحماسة لها من حقائق الماضي ومسلماته وموروثاته الاساسية في استكمال بناء الدولة العصرية والحفاظ على ثوابتها وديمومة شروطها وأصبحت القوميــة أمرا بدهياً في استكمال الوحدة السياسية فلم يعد الحديث مطلوبا عنهـا ، الا أن تلك المرحلة من التصرف القومي وسلوكياته أخذت تقتضي في أسبقيات تأثيرها ، العمل على قمع (المسألة القومية) ابتداء خارج المركز الرأسمالي والتصدي لعقائدها (لايديولوجياتها) والوعي فيها واحتواء تياراتها الوطنية أينما وجدت خارج المركز المذكور آنفا بما فيها الوطن العربي •

وان شدة الصراع مع المسألة القومية شيء تمليه مصلحة اعادة بناء المنظومة الرأسمالية وتشكيلاتها المركزية والطرفية في العصر الاستعماري الراهن وسرعة تلبية الغايات المستحدثة لتقاسم المنافع جراء تجزئة العالم وتفكيكه واعادة دمجه ثانية ضمن التقسيم الدولي الجديد للعمل وتوافر

اشتراطات ما يسمى بالعصر التكنولوجي الثالث ، عصر احلال مفاهيم ديمقراطية السوق ورأس المال والديمقراطية التقنية محل الديمقراطيات الشعبية والغاء دور الدولة القومية والتحكم بمظاهر السيادة خارج المركز وعبر مختلف الوسائل الاقتصادية والسياسية والمؤسساتية كتعبير يضع ظاهرتي : العصر الاستعماري الجديد للعولمة والقومية في تناقض وصراع حادين لمواجهة مقتضيات التوسع الرأسمالي والظاهرة الاستبدادية في نهب ثروة الامم وقمع التراكم الرأسمالي الذاتي في الاطراف لمصلحة الرأسمالية المركزية على حساب تفكيك التشكيلات الطرفية للدولة القومية في العالم بما فيها الوطن العربي ، في حين يمر المركز الرأسمالي الغربي في مرحلة تعاظم في درجة مركزية الدولة ــ الامة ، اذ ارتفعت مؤشراً على تلك المركزية نسبة الانفاق الحكومي الى الناتج المحلي الاجمالي للبلدان الغربية الـ (٢٥) المكونة لمنظمة التنمية والتعاون الاقتصادي من (٢٨٪) في العام ١٩٦٠ الى نحو (٤٦٪) في العام ١٩٩٦ (*) .

(*) من المفارقات المثيرة للجدل في تناول دور الدولة ومركزيتها في النظام الرأسمالي الام هي ما أثاره الكاتب الاقتصادي الامريكي المخضرم (ملتن فريدمان) من مخاوف بشأن توجه دولة كالولايات المتحدة الامريكية نحو الاشتراكية والسلطة المركزية ؟ ففي مقالة له نشرتها صحيفة (هيرولد انترنشينال تربيون) في عددها الصادر في تاريخ ١٧ تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٠ ، علق فريدمان في تلك المقالة التي جاءت تحت عنوان (الحفاظ على معتقد الحكومة الصغيرة) قائلا : ان هبوط الانفاق الحكومي بوصفه نسبة الى الناتج المحلي الاجمالي في الولايات المتحدة الامريكية ولا سيما بعد انتهاء حقبة ما يسمى بالحرب الباردة ليبلغ في العام ٢٠٠٠ بحدود (٢٩٫٩٪) أمر يثير كثيراً من الشكوك خصوصا اذا ما عرفنا ان القيود والتشريعات الحكومية المختلفة التي فرضتها السلطات الامريكية للحفاظ على البيئة من التلوث (والتي منها ما لزمت الافراد الامريكان على وضع وسائل متخصصة في سياراتهم الشخصية لهذا الغرض) فاقت تكاليفها السنوية (١٠٪) من الناتج المحلي الاجمالي . لذا يسخر الكاتب المذكور من تصريحات اطلقها الرئيس الامريكي السابق (كلنتون) بهذا الشأن التي اعرب فيها (ان عهد الحكومة الكبيرة قد انتهى) ولكن كيف ؟.

على الرغـم من ان زيادة الاهتمام بموضوع التنمية الاقتصاديـة علـى مستوى النموذج الانمائي للدولة القطرية ، أمر ينطوي على مظاهر اقتصادية ايجابية ، الا انه في الاحوال كافة يأتي تعبيرا عن الاخفاق في تحقيـق أيـة آصرة متقدمة في اتجاه القومية العربية الحديثة التي تعني المقدرة في توحيد البلاد العربية أو تحقيق الوحدة العربية ٠ وان مسألة بناء الفضاء الاقتصادي القطري المتقدم باتت مستحيلة للنهوض بالتنمية الى مصاف القدرة الصناعية في العالم الاول كما يطمح اليها الجميع بسبب قطرية أهدافها ٠ وبهـذا فان المضمون الاقتصادي والاجتماعي للنهضة القطرية العربيـة قد أصبـح في تناقض مع القومية العربية حسب درجة ابتعاد أساسيات التنمية القطرية مـع القومية والبرامج العملية المطلوبة في رسم توجهاتها نحو الوحدة العربية ٠ اذ أكدت الظاهرة الانعزالية القطرية وتعاظم دور الدولة القطرية في اقـامة الحواجز بين الاقطار العربية،على أنها الاساس الذي ساعد في تزايد حالةقصور التنمية وتعاظممعوقاتها بأزاء تراجعمعدلات التطور وتدهور وتاثر النمو وتآكل الموارد المعدة للتراكم الرأسمالي واستنزافها للاغراض غير الانمائية المخصصة لها وغياب الجوهر الاقتصادي والاجتماعي الشامل للنهضة العربية الحديثة ، وخرجت اقتصادات الاجتماع من منظومة مفاهيمها القومية الى اقتصـادات السوق ومعتقداته العالمية ٠ ولأن تجـارب التنمية العربية المختلفة لـم يتسن لها أن تتوصل الى انجـازات واسعة تـوازي حتى ما حققه عدد مـن الدول النامية الاخرى ، فان المركز الاقتصادي ـــ السياسي التساومي للاقطار العربية بدأ ينحدر تدريجيا باتجاه اعتبار قوى السوق الدولية عوامل مؤثـرة فـي نشاطها الاقتصادي والتنموي المستقبلي ٠ كما أخذ الفكر التنموي العـربي يسبح على وفق تيارات العولمة السائدة في عالم اليوم ليرتفع الحديث عمـا يسمى بديمقراطية رأس المال في ادارة الاقتصاد السياسي للتنمية ، من خلال توسيع المساحة التي يمكن فيها تعظيم الفوائد الاقتصاديـة جراء الاندماج

في السوق الرأسمالية العالمية ، وليس بينها صوت عال يتحدث عن القومية في مجال الاقتصاد السياسي ، الا انه من المؤكد ان المركز الرأسمالي المولد لتيارات العولمة يمارس القومية ضمنا عبر مركزية الدولة ـ القومية ولكن يتحدث في الوقت نفسه بلغة العالمية . وان الفكر التنموي العربي المتصف بالضعف لم يستطع تصور حالة الفضاء الاقتصادي العربي بصورة نقية ، فهو يتصور ضمنا أن القومية قد انتهت مرحلتها وحسمت لمصلحة الظاهرة الاممية ، وما عليه ألا تقبل الدعوة العلنية للاندماج الاقتصادي في السوق العالمية تحت ذريعتين : أولاهما ، ان النمو الاقتصادي يزداد بمعدلات عالية في اطار السوق العالمية المستندة الى قوانين الاقتصاد الرأسمالي وآلياته ، ومنها ما يسمى بالدور الاساسي لنشاط القطاع الخاص وحرية المنافسة واقتصار دور الدولة في تنظيم الموازنات الاقتصادية والمالية والنقدية الكلية . وتتلخص الذريعة الاخرى ، بأن الديمقراطية على وفق إملاءات عصر العولمة الراهن تشكل جوهر الاطار السياسي والمؤسسي لنظم ادارة الاقتصادات القطرية وما ينجم عنها من أنشطة انمائية وعلاقات اجتماعية تعتقد انها تساهم في زيادة النمو الاقتصادي وتحسين مستوى الدخول الفردية . كما ترى تلك الدعوة ان حالة التباطؤ في الاندماج في السوق الرأسمالية العالمية ستؤدي الى تزايد فجوة التخلف الاقتصادي والتقني ومن ثم تكريس مصاعب اللحاق بالتطور السريع الجاري في العالم على حد زعمها .

ـ ٣ ـ

ان التحدي الذي تواجهه التنمية الاقتصادية العربية في ظل غياب الدولة القومية ، قد جرى اختياره من خلال نموذجها القومي داخل الدولة القطرية . اذ أضفى ذلك النموذج بظلاله القوية وصيرورته الفاعلة عبر تكوين الدولة القطرية الحديثة التي ترى في النهضة العربية الجديدة وجود

دائم يرتكز على محفز القومية العربية • ولما كان وجود الدولـة القطرية يُعد بطبيعته قيدا على اقامة تنمية اقتصادية حقيقية ، فان البديل المرحلي المناسب الذي كان لابد من تحقيقه هو من خلال تبني نماذج تنمية اقتصادية تعتمـد (الاساس القومي) كأيديولوجية للعمل الاقتصادي والاجتماعي • وبهذا فان نموذج التنمية القومية للدولة القطرية هو بمثابة مقدمة أساسيـة يمكنها ان توفر قدرات واسعة في السوق المحلية وتحقق قدراً من التكامـل في الموارد المادية والبشرية وشيئا من الاتساع في الرقعة الجغرافية الاقتصاديـة مـع توافر مستوى من القوة العسكرية وهي عناصر جوهرية في ترسيخ مقومات التنمية الحقيقية على وفق نموذجها القطري وستراتيجية الجـذب القـومي المصاحبة لـه •

وعلى الرغم مما تقدم ، فان السير في فلسفة تقريب النموذج القطـري للتنمية من أهدافه ومضامينه القومية العربية ، قد جعل من مسألة الدفـاع عن ثوابت التنميـة الاقتصادية ومقاومة تحـريف أهدافها ، المجلس الواضح لاختبار القوة والصراع وممارسة العنف والتدمـير واشاعة الحـرب ضد معاقل التحرر الاقتصادي والسياسي في الوطن العربي وذلك منذ مطلع النصف الثاني من القرن العشرين حتى الوقت الحاضر ، والتـي تواجه اليـوم وبلا أدنى شـك حزمـة متكاملة من المـؤامرات السياسيـة والايديولوجيـة والدبلوماسية لفرض (الاغتراب القسري) الذي بلغ أشده في العـدوان الثلاثيني ـ الاطلسي على العراق منـذ العام ـ ١٩٩١ واستمرار الحصـار الاقتصادي الغاشم عليه ، اذ ارتفعت حدة (الاغتراب) وممارسته على وفـق المنطوق الاكاديمي ليبلغ مستوى (الامة) بعد أن تجاوز المستوى التقليـدي المعروف بـ (الطبقة) وان هذا التحول في ممارسة الاغتراب قد جـاء على وفق ستراتيجية جديدة اعتمدها المركز الرأسمالي الامريكـي مـن خـلال زرع الحصارات الدولية الشاملة وفرض الاستلاب القسري الجمعي بمشـاركة دولية على أمم وشعوب بعينها وعزل مناطق ثقافية وحضاريـة بأكملهـا عن

العالم ، وبعبارة أخرى فان هذا الامر لا يعني سوى ان الظاهرة الامبريالية المعاصرة قد أجرت تحويلا في استخدام بدائلها الستراتيجية اللازمة لتوجيه الصراع الدولي معتمدة على آليات جديدة هدفها التحريف السريع والواسع النطاق (للفائض الاقتصادي الفعلي) المعد للمشروع النهضوي القومي للدولة القطرية والسعي لتحويله فورا الى (فائض احتمالي) يعمل خارج نطاق التنمية وأهدافها •

ان هذا التحول السريع في أشكال الفائض الاقتصادي وتحريف امكانية استثماره (كادخار وتراكم جاريين) لمصلحة التنمية القومية ، لايمكن أن يتحقق الا من خلال اشاعة صور الاستنزاف له سواء بامتصاصه في ظواهر انفاقية استهلاكية أو تبذيرية وفق صور مضادة للتراكم الذاتي او في توظيفه في حقوق والتزامات ضائعة لاتخدم سوى الانماط الاقتصادية (التبعية) محاولة بذلك دمج الاقتصاد القطري في هيكلية النظام الرأسمالي العالمي وخلق تشكيلات سياسية واقتصادية تتوافق مصالحها مع هذا الاندماج في اطار اقتصاد السوق والتي منها على أقل تقدير توفير البناء السياسي والاجتماعي والاداري الملائم لاستقبال الاستثمار الاجنبي وتمكينه من تحويل الارباح الى المركز الرأسمالي بما يتناسب والقدرة على انهاك التراكم الداخلي في الدولة القطرية لمصلحة التراكم التاريخي للرأسمالية المركزية وضمان نموه وازدهاره •

— ٤ —

ان تطلع الاقطار العربية ونزوعها الى اعتماد سياسة التنمية المستقلة ومقاومتها لسياسة التبعية الاقتصادية وتسخير الفائض الاقتصادي الفعلي وتوظيفه للتصدي لمواجهة الاحتواء السلبي الذي يفرضه ذلك التقسيم الدولي غير العادل للعمل على تركيب الهياكل الاقتصادية والاجتماعية الداخلية العربية وبمختلف نماذجها القطرية ، عُد بمثابة الشرارة التي لابد من ان

تشعل فتيل الصراع والعنف اللذين يواجههما النظام الاقليمي العربي بتشكيلته الراهنة مع الرأسمالية المركزية ولاسيما عندما تدرك الاخيرة ، ان الميل الحدي للتراكم التاريخي للفائض الاقتصادي قد أخذ ينحدر لمصلحة التنمية القومية في هذا القطر العربي أو ذاك ، وخلاف ذلك فان التنمية لا تعني على وفق نموذجها (التبعي) سوى انفتاح بلاد الموارد الاولية (ولا سيما الاقطار النفطية العربية) لممارسة مسؤولياتها السلبية في خدمة استمرار التراكم التاريخي المركزي على حساب استنزاف فرص التنمية فيها مقدمة بذلك عددا كبيرا من الستراتيجيات الشديدة الاهمية للبلدان الصناعية وامداد شركاتها بالارباح الطائلة وتوفير منافذ الاستثمار لها ، اذ تمثل البلدان النامية بهذا الخصوص (الريف) الذي لاغنى عنه للغرب الصناعي عالي النمو مقابل فرض سياسات (انمائية) لاتتعدى كما وصفها البنك الدولي في أحد تقاريره عام ١٩٨٧ بقيام الدول النامية في انتاج المواد الاولية وتصديرها حسب ، دون طرح أية اسبقيات للقطاع الصناعي الوطني . وبمقتضى ذلك لايتحدد هدف التصنيع في دول الموارد على اساس اصلاح الاختلالات الهيكلية في الاقتصاديات الوطنية وانما يأتي في خدمة التحولات الهيكلية للاقتصاد العالمي كما وصفها التقرير المذكور آنفاً .

ومما تقدم ، تؤسس على ذلك العبارات التي جاء بها (جيمس بيكر) وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية الاسبق في ٩ كانون الثاني/يناير ١٩٩١ وتصريحاته قبل اندلاع العدوان الثلاثيني ـ الاطلسي على العراق وقوله : « ان أمريكا عازمة على ارجاع العراق الى عهود ما قبل الصناعة.. » هي ليست بالعبارات الغريبة عن منطق الهمجية الرأسمالية ولم تكن خافية حتى على المفكر الاقتصادي الامريكي (بول باران Baran) في عام ١٩٥٦ الذي كان قد انتهى من اعداد فصول كتابه الشهير (الاقتصاد السياسي للنمو) وذلك عشية العدوان الثلاثي على مصر العربية ، عندما أشار في هذا الخصوص الى معارضة الطغمة الحاكمة في الولايات المتحدة الامريكية

وغيرها من البلدان الرأسمالية وبمرارة لسياسات (التصنيع) لما يسمـونه بلاد الموارد موضحا «ان تلك المعارضة تظهر بصرف النظر حتى عن طبيعـة النظام في البلدان النامية ، ما دام يسعى الى تخفيض القبضة الاجنبيـة على اقتصاده واتخاذ اجراءات التنمية المستقلة ، وفي هذا الصدد يؤكد «باران» بالقول : « تصبح مقاومة الدول الامبريالية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية •• أكثر عنفاً عندما تعبر التطلعات الشعبية في التحرر القومي والاجتماعي عـن نفسها في حركة ثورية تهدف بما لها من صلات دولية وبما تتمتع بـه مـن تأييد دولي ، بالاطاحة بكل النظام الاقتصادي والاجتمـاعي للرأسمـالية والامبريالية في مثل تلك الظروف تشتد المقاومة بتحولها الى تحـالف مضاد للثورة تنتظم فيه كل البلاد الامبريالية واتباعها الذين تعتمد عليهم ـ وتتخذ شكل حرب صليبية ضد الثورات القومية والاجتماعية ••» •

ومنذ الوقت الذي رأى فيه (باران) في حرب السويس عام ١٩٥٦ في أنها الشاهد القوي الذي يؤيد احدى نظرياته الرئيسة في كتابه المشار اليـه آنفاً ، وكذلك ما أكده الكاتب بهذا الخصوص من قـول : «ان الطبيعـة الامبريالية المعاصرة لم تنصلح ولم يتعدل عداؤها القطري لكل مبادرة أصيلة تتخذها البلاد النامية لتطوير اقتصادها » نجد أن ثمة ترابطـا تاريخيا وجدليا في مسار كفاح أمة العرب ينتظم على وفق خط بيانـي متماثـل في تحقيق المشروع الحضاري النهضوي القومي العربي • فبين عام ١٩٥٦ حتى يـومنا هذا فسحة تاريخية متماسكة ونضال مشترك وتواصل انسـاني خـلاق في بحث صيرورة العدوان الثلاثي على مصر والعدوان الثلاثيني على العـراق• اذ جاء الخطاب الاقتصادي السياسي للتنمية فيهما معبرا عن النموذج القومي للدولة القطرية ، ليوضح أن نهب الفائض الاقتصادي الفعلي العربـي فـي ظل النموذج التنموي القـومي أصبح هدفا للنظـام الرأسمالي والظـاهرة الاستعمارية المرتبطة به مما يقتضي تحويله الى فائض احتمالي تدميري مضاد للتنمية الاقتصادية • ففي الهجوم الجوي على العراق الذي دام (٤٣) يـوما

في العام ١٩٩١ ، تم القاء ما مجموعه (٩٠) الف طن من أسلحة الفتك والدمار الشامل ، أوقعت خسائر في البنية التحتية الوطنية للعراق بلغ متوسط تكاليفها بحدود (١ر٥) مليون دولار لكل طن جرى اسقاطه على أرض العراق ، فضلا عن الخسائر البشرية والتلوث الكبير في البيئة العراقيــة والاقليميــة التي أحدثهــا العــدوان •

ولما كان امتزاج العقل الموضوعي بالوعي التاريخي يكــون الاســاس المنطقي الذي يكشف لنا الحدود غير المرئية بين النظريتــين الاقتصــادية والسياسية في تحليل ظاهرة (القوة) فان تخطــي تلك الحدود او المــرور بها لابد من أن يبلور بلا ريب مستوى متجانسا من التوحــد الايديــولوجي ودرجة من التماسك في تفكير النخب الثقافية العربية عند اعــادة تقييمهــا لمرحلة الاحتكار في تاريخ تطور الرأسمالية المعاصرة ، اذ أفصحت مرحلــة التحالف الثلاثيني الاطلسي على العراق أن أشد سمــات النظام الــرأسمالي شناعة وتدمــيراً تكمن في اسس بقائــه التي تعتمــد القــوة الغاشمة كــأداة للصراع المستمر بغية سلب ثروات الامم وفائضها الفعلي وتحويله الى فائض احتمالي كما ذكرنا وعندما تتطلــع الى العبــارات التي أطلقهــا المجــرم (شوارتسكوف) قائد قوات العدوان الثلاثيني على العراق عشية الحرب عليه والتي جاء فيها : «جئنا لكي نصحح خطأ ونعطي هذه الثروة لمن يستحقها » لبات جلياً ان العدوان على العراق جاء مكملا لنسف آمال أمة العــرب فــي مستقبل عربي للتنمية ويسلب منهــم السيطرة على مواردهم والانتفاع بهــا لمصلحة العرب ، لكي يتم تدويل ثرواتهم ومشاركة غيرهم اياهم في الانتفــاع بعوائدها • ولايخفى أن الدول العظمى قد أصبحت أول مرة في التــاريخ (قوة تحت التأجير ــ Super Power on Rent) تسدد تكاليف عملياتها من الفائض الاقتصادي العربي الفعلي لضــرب وتدمير عــوامل النهضــة في النموذج القومي للتنمية في الدول القطرية والشاهد على ذلك حجم المواجهة الجوية اليومية بين العراق والتحالف الامريكي ــ البريطاني وطريقة تسديد

قوائم نفقاتها كقوة مرتزقة دولية في الخليج العربي . ولا أجد أبلغ مما قـاله المفكر الامريكي تشومسكي بهذا الصدد عندما أشار بالحرف الواحد فـي أبريل / نيسان عام ١٩٩١ لصحيفة الغارديان اللندنية مؤكداً :

« ان القادة السياسيين في واشنطن ولندن ، قد تسببوا بسياساتهم في مجموعة من الكوارث الاقتصادية والاجتماعية في داخـل بلدانهم ، كمـا لايعرفون لها حلا باستثناء حل واحد هو استخدام ما لديهم من قوة عسكرية. فبناء على نصائح رجال الاعمال يقوم هؤلاء القادة السياسيون بدور المافيـا الدولية ، فتبيع (الحماية) للاغنياء ، تحت ذريعة حمايتهم ممـا يتعرضـون له من (اخطار) العالم الثالث ، وتتقاضى في مقابل هذه الخـدمات المبـالغ المناسبة . وعلى هــذا الاساس فان الثـروات التي تحول الى هــذه الـدول من دول النفط في الخليج العربي ، تقوم بدعم الاقتصاد المنهـار في اميركا وبريطانيـا ...».

— ٥ —

ان ظروفا جديدة باتجاه التكامل الاقتصادي القومي العربي ونجاحه أخذت تلوح في أفق الامة العربية لتؤكد أن ثمة تطورا ايجابيا فـي الـرؤية الاقتصادية الواقعية العربية تؤشرها درجة تراجع حدة الفوارق في منـاهج الاقتصادات العربية وتقارب الانظمة الاقتصادية نحو محور القومية العـربية الذي هو وليد التجربة التي أملتها المصلحة العربية المشتركـة للفوز بمحصلة التنمية القومية وبناء نموذج الدولة القومية التي أساسها الوحدة العربية .

فاتفاقية (منطقة التجارة الحرة) التي وقعها العراق مع كل من مصـر وسوريا في مطلع عام ٢٠٠١ هي بحق الخطوة الواقعية صـوب تحقيـق التكامل الاقتصادي العربي . وربما أجد اثارة جميلة وهادئة لأحد المفكـرين الاقتصاديين العراقيين في عام ١٩٨٤ عندما قال ان الوحدة العربية ليسـت مستحيلة وليست بعيدة المنال ولا من قبيل الاماني ، بل هي هدف قابل للتحقيق حتى في أحلك الظروف ، لابل ان أحلك الظروف هي أنسبها لتحقيق الوحدة،

فالوضع العربي وضع رجراج لم يأخذ شكله النهائي بعد وان كثيرا من الامور يتحقق بشكل حلقات مترابطة .

ان حدوث تطور واحد بامكانه ان يزيل التوازن القلق الذي يشهده وضع التجزئة ، فخطوة واحدة الى الامام يمكن أن تفعل فعلها في الواقع المادي ، والوضع النفسي لدرجة يمكن أن ينتج عنها خطوة جديدة ، وهكذا يمكن أن يتطور الوضع تصاعديا . وفي ضوء ما تقدم ، فان ما يجري من ازالة للحواجز الاقتصادية بين الاقطار العربية الثلاثة وتحرير التجارة وبالتحديد ازالة القيود التي تفرض على حركة التجارة البينية ، ينبغي أن لاتجعل بعضهم يتصور في التقارب الاقتصادي بين تلك الاقطار انه نتاج مباشر لمظاهر (العولمة) التي تلتزم بها الدول العربية طوعا أو كرها ومن ثم الزعم بأن نجاح منطقة التجارة الحرة أمر مضمون مبدئيا حتى لو لم يكن مدفوعا بالحوافز والمصالح العربية ، ويتحفظ بعضهم بالقول : لو تستطع كل المثاليات القومية العربية أن تقنع الدول العربية بالتخلي عن سياساتها الاقتصادية وحساسياتها القطرية على مدار العقود الثلاثة الاخيرة وجاءت العولمة فسهلت تحقيق هذا الهدف العربي الغالي ؟ وللاجابة عن التحفظ المذكور آنفا نقول بهذا الشأن ينبغي ارجاع النتائج الى مسبباتها ضمن منظومة المفاهيم الاقتصادية الدولية السائدة؟

فقبل كل شيء ان مفكري المدرسة الكلاسيكية الجديدة في الاقتصاد والمعنيين بالادب الاقتصادي للعولمة وفي معرض تحليلهم لنشوء ظاهرة التكتلات الاقليمية وتسارع اقامة مناطق التجارة الحرة في العالم وسعيهم في تطوير مفاهيم تتعلق بمخارج تعظيم مستوى الرفاهية في الاقتصاد العالمي على وفق الشروط المطلوبة لتناغم الآليات التجارية للكتل الاقليمية للمنظومة الرأسمالية بمركزها ومحيطها على حد سواء ، فان التيار الفكري الكلاسيكي الجديد اخذ يطرح مفهوم ما يسمى بـ الاقليمية المفتوحة_Open Regionalism) وهو المفهوم الذي تفترض فيه المدرسة المذكورة ان لايتعدى تحرير القيود

التجارية وازالة الحواجز الكمركية المفروضة على الاستيرادات من خارج البلدان الاعضاء في الكتلة الاقليمية (لمنطقة التجارة الحرة) وبمستوى لايقل عن مستوى الحرية التي تتدفق بها الاستيرادات (البينية) للدول الاعضاء في التكتل الاقليمي • وبهذا الصدد يستعير الكلاسيكيون الجدد معياراً أطلق عليه بـ (معيار مكميلان Macmillan Cretarion) والذي ملخصه بأن تعظيم الرفاهية جراء المتاجرة بين الكتل والمناطق المختلفة يتطلب «ان لايكون تحرير التجارة البينية وازالة الحواجز التجارية والتعرفة الكمركية داخل الكتلة الاقليمية بمعدل يبلغ ١٠٠٪ »وعلى حسب ما تريده الفقرة (٢٤) من الاتفاقية العامة للتجارة والتعرفة الكمركية (الجات ـ GATT) . ويرى الكلاسيكيون الجدد بأن هذا النوع من (التحرر الاقليمي الداخلي) سيؤدي بالنتيجة الى انغلاق الاقاليم ككتل على نفسها تجاريا •

وتأسيسا على ما تقدم ، يفترض (مكملان) في معياره مشددا على أن يكون ثمة تناسب بين مستوى تحرير القيود المفروضة على تدفق التجارة البينية في الكتل او المناطق الحرة الاقليمية من جهة والقيود التجارية والكمركية المفروضة على تدفق الاستيرادات الخارجية الى تلك الكتل من جهة أخرى • وهنا يرى مكملان ان فرض القيود على تدفق الاستيرادات الخارجية الى الكتل الاقليمية ينبغي أن يتم على وفق حد لا تتعدى نسبته (٤٠٪) من اجمالي القيود المعتمدة •

ومن المثير للدهشة ، ان (مكملان) يرى ان ازالة القيود الخارجية على الاستيرادات وخفضها الى (الصفر) أمر غير مرغوب فيه سياسيا • وعلى هذا الاساس فان الفكر الاقتصادي للعولمة على وفق أدبياته الحديثة يفصح عن عدم رغبته في تشجيع اقامة مناطق التجارة الحرة وعلى نمط ما تم الاتفاق عليه بين الاقطار العربيةالثلاثة مؤخرا وأن توافر القيود والحواجز يُعد من مستلزمات المركز الرأسمالي وادواته في فرض التجزئة مع العولمة وباتجاه واحد ومسار واحد أي من المركز الرأسمالي الى المحيط حسب •

وفي معرض تناوله لكتاب تشومسكي الاخير الذي جاء تحت عنوان (الارباح أهم من الناس ـــ Profit over People) الصادر عام ٢٠٠٠ ، يقول المفكر الاقتصادي المصري جلال امين وهو يتناول مسألة الافراط في مفهوم حرية التجارة من جانب الاقتصاد السياسي للعولمة ، وحجم المبالغة فيها ومجافاة الحقيقة بهذا الشأن ، مؤكدا : فها هي الدول الصناعية لا تطبق ما التزمت به طبقا للاتفاقية الناجمة عن جولة اورجواي في العام ١٩٩٤ من ازالة القيود التي تفرضها على صادرات الدول النامية من المنسوجات وهي أهم صادرات هذه الدول اطلاقا .. وها هي الدول الصناعية تتعلل بحجج شديدة السخافة والصفاقة ، لكي تعطي نفسها الحجة في استمرار فرض القيود ضد تلك السلع محدودة العدد التي تتمتع فيها الدول النامية بميزة نسبية وهي بعض السلع الكثيفة الاستخدام لعنصر العمل . فاصرار الولايات المتحدة الامريكية على ان تدرج في جدول أعمال مؤتمر قمة منظمة التجارة العالمية في سياتل أواخر عام ١٩٩٩ مناقشة موضوع (ظروف العمل) وكان هدفها الوصول الى اقرار حق لها في منع دخول السلع الصناعية الآتية من الدول النامية والتي تستطيع منافسة مثيلاتها الامريكية بسبب انخفاض تكاليف انتاجها في تلك البلدان النامية . فالولايات المتحدة الامريكية ، بغية ترويج مبدأ الحماية التجارية ولمصلحتها مع تسكين ضرورات العولمة وترويج مفاهيم الحرية التجارية في الوقت نفسه وللخروج من مأزق التناقض هذا ، فانها كانت تريد ان تقول انه اذا ثبت ان هذا الانخفاض في التكاليف كان ناتجا عن الاجور التي يتلقاها العمال في الدول النامية بكونها اجور (غير انسانية) أو ان الظروف التي يشتغل فيها العمال هي بدورها ظروف غير انسانية أيضا جاز الخروج عن مبدأ حرية التجارة وهنا يرى جلال أمين بأن .. النفاق في هذا الموقف أوضح من ان يحتاج الى بيان . فالمقصود بالطبع ليس مراعاة الظروف الانسانية بل حماية المنتجين الامريكان داخل الولايات المتحدة الامريكية من المنافسة الاجنبية .

الخلاصـة :

هي ان المصالـح القوميـة العربيـة تواجـه عصرا دوليـا جديـداً أصبحت فيه عرضة لتحدي قطب دولي واحد يتمثل في قوى عظمى عسكريا • وان الملامح الاقتصادية لذلك العصر باتت تهـدد الكيانات السياسية الصغيرة المنضوية تحت مفهوم الدولة القطرية وانه لايلـوح في الوقت القريـب أن تلك القوى ستكبح • وان مصير الامة العربيـة وقدراتها المستقبليـة في العصر التقاني الراهن عصر سرعة نهب الفائض الاقتصـادي الفعلي للشعوب واقتطاعه من فرص التنمية اينما وجدت في العالم لمصلحة الرأسمالية المركزية، تقتضي العودة الى المشروع النهضوي القومي العربي والتمسـك بالثوابت القائلة بأن القومية هي الاساس الحتمي الذي يضع العرب في الطريق الصحيح لأخذ دورهم في التأثير في العلاقات الدولية ويحافظ في الوقت نفسه على الهوية القومية أمام خطر مصادرة الثقافات وصراع الحضارات • ولا يخفى ان في تعاظم القيدين الاقليميين اللذين لا ثالث لهما في أقل تقدير في الـوقت الحاضر في تهديد النظام العربي وهما :ــ حالة التطبيع مـع العدو الصهيوني والحصار الستراتيجي المفروض على العراق ، يقتضي البحث عـن معـادلة جديدة لتوازن القوة العربية يمكنها أن تكون قاعدة للحوار في مجال بنـاء العلاقات الاقتصادية واعادة تشكيل الامن الجماعي العربي في مواجهة الامن المطلق الاسرائيلي وتعد منطلقاً أو نـواة لنظام اقليمي عربـي شامل وبارادة قومية تدرك ان الامن القومي مسألة غير قابلة للتجزئة اطلاقـا • كمـا أن صيرورة النظام الاقليمي العربي الجديد في مواجهـة التحديات الدوليـة والاقليمية تقتضي السير نحو اعادة بناء (منطقة القوة العربية) التي اساسها احياء الوحدة العربية المصرية السورية بما يمكن من اعادة اللحمة القويـة الى الضلع الستراتيجي الجنوبي الشرقي العربي المطل على البحر المتـوسـط ، وان قوة الالتحام هذه ستكون مرهونـة بالقـوة الجيوسياسية والاقتصادية للضلع الشرقي للامة العربية وهو العراق الذي برهن تحت مختلف الظروف انه القوة الاحتياطية المادية والبشرية والمعنوية التي تؤدي فعلهـا المـؤثر مع

تعاظم ظروف اللاتيقن التي أفرزتها حالتا الحصار والتطبيـع مـع العـدو الصهيوني • وبهذا فان العراق بصموده الاسطـوري في مواجهة العدوان والحصار الستراتيجي ، فضلا عما اضافته انتفاضة الاقصى مـن قدرات على مواجهة التحديات الدولية والاقليمية ، أكدا معاً ان فرضية اندماج اسرائيل في النظام الاقليمي العربي لتخريب المشروع النهضوي القومي العـربي ، قد زرعت بذور انهيارها ابتـداء كقطب اقليمي سلبي شيدته الـرأسمالية الاحتكارية الدولية ليتعايش على سرقة الفائض الاقتصادي العربي من خلال العمل على خلق سوق أوسطية وهمية خالية من أي اساس اجتماعي أو قيمي وفق ارادة التطبيع تلك • كما ان تعانق الاضلاع الثلاثة مصـر ــ سوريا ــ العراق سيملـي على نظريـة الامـن المطلق الاسرائيلـي حتميـات جديدة ويخلق ظروفا مؤاتية لتراجع حالتي التطبيع والعدوانية الصهيونية •

ختاماً ، سيمثل الحديث عن (مثلث القوة) للبلدان العربية الثلاثـة حلم الامة العربية في طريق الوحدة وجهدا للبناء والتنمية في الدولة القـومية ، ولا يقف وراءه دافع قطري أو أممي وأن الشعور بالمصير المشترك وتـرابط المصالح نحو المستقبل الموحد هو من ثوابت الوجود القومي العربـي • كما لايمكن الابتعاد عن حقيقة أن حركة القومية العربية هي المحرك الاسـاسي لمجمل السياسة العربية مهما كان شكل النظام الاقليمي العربي ومهما اختلفت متغـيراته ومعالمه • وان حلـم الوحدة العربية هو الحلم الوحيد القـابل للتطبيـق لا محـالة •

مصادر البحث :

١ ـ سعدون حمادي / تجديد الحديث عن القومية العربية / دراسة وردت في بحوث ومناقشات الندوية الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالاشتراك مع المجمع العلمي العراقي ومعهد البحوث والدراسات العربية تحت عنوان اللغة العربية والوعي القومي ـ بيروت/١٩٨٤ .

٢ ـ مظهر محمد صالح / القطبية الاقليمية : دراسة في مستقبل الصراع بين النموذج الاحتوائي للعولمة وخيار التنمية المستقلة / مجلة المجمع العلمي/ المجلد السادس والاربعون بغداد ١٩٩٩.

ــــــــــــ/ أم المعارك الخالدة وجدلية القوة المنحرفة في الاقتصاد السياسي للامبريالية / الحكمة ـ العدد (١٣)/٢٠٠٠.

ــــــــــــ / ثورة الاقصى : الحجارة أقوى من القطيع الالكتروني / الحكمة العدد (١٧) / ٢٠٠٠ بغداد .

ــــــــــــ/ الاتجاهات الراهنة للاقتصاد الامريكي : خداع القوة الغازية وبوابة الصراع الطبقي ـ الحكمة العدد (١٤) / ٢٠٠٠ .

٣ ـ جلال امين / العولمة والدولة / ورقة مقدمة الى ندوة (العرب والعولمة) التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت (١٨ـ٢٠) كانون الاول / ديسمبر ـ ١٩٩٧ .

ــــــــــــ / الدولة الرخوة في مصر / سينا للنشر / الطبعة الاولى ـ ١٩٩٣ .

ــــــــــــ/ هل هي البداية الحقيقية للقرن الحادي والعشرين / وجهات نظر / العدد الثاني / يناير / ٢٠٠٠.

٤ ـ سمير أمين / القوى النظامية والقوى المناهضة للنظام : تعدد أبعاد الممارسة السياسية ـ العودة الى معضلة القوى الفاعلة في التاريخ / المستقبل العربي العدد (٧) / ١٩٨٧ .

٥ ـ صبري السعدي / الاقتصاد السياسي للتنمية والاندماج في السوق الراسمالية العالمية : ملاحظات مستقاة من بعض التجارب العربية /المستقبل العربي ـ ١٩٩٩ .

٦ ـ عبدالله المالكي/ التكامل الاقتصادي العربي / الاقتصاد المعاصر ـ كانون الثاني ـ ١٩٩٩ .

٧ ـ كاظم هاشم نعمة / الامن القومي العربي : نحو مربع أمن عربي / المستقبل العربي / كانون الاول ـ ديسمبر ١٩٩٦ .

٨ ـ محمد فائق / ذاكرة الامة هي المستهدف الحقيقي : في ذكرى غياب عبدالناصر وحرب تشرين / المنار / العدد (٩٨) / ١٩٩٩ .

توصيف الضمير المتصل للحاسوب : المعالجة والإشكال

الدكتور مهدي اسعد عرار
جامعة بيرزيت

الملخص :

ينتسب هذا البحث الى نظر لساني حديث بنسب حميم ، ذلك أنه يتردد بين قطبين : أولهما اللغة ، وثانيهما أداة صماء اسمها الحاسوب ، وصفوة المستخلص في هذه الورقة انها محاولة يعمد الباحث فيها الى توصيف الضمير المتصل لادخاله في الحاسوب ، فيقف عند الضوابط التي تؤذن بتعيين الضمير المتصل وربطه بمرجعه ، وذلك نحو : مرجع الضمير لايكون الا اسما ، وكشف الضميم ، والمطابقة ، ومعاينة النظام الجملي ، والاستعانة بالمحلل الصرفي النحوي ، والتوصيف الوظيفي المعجمي ، ثم يختتم البحث بالتعريج على بعض الاشكالات التي يقف الحاسوب وجاهها ، وذلك نحو تقدم الضمير والمجاز وتعدد المراجع والمطابقة وفقدان الذاكرة السياقية .

مقدمة ومسوغات اولية :

ينتسب هذا البحث الى درس لساني حديث بنسب حميم ، ذلك انه يتردد بين قطبين : أولهما اللغة ، وثانيهما اداة صماء اسمها الحاسوب «العمود الفقري لمجتمع المعلومات القادم»(1) .

---

(1) نبيل علي ، اللغة العربية والحاسوب ، ط1 ، تعريب ، الكويت،1988، 117 ويستدرك على هذا بان الحاسوب اصبح العمود الفقري لمجتمع المعلومات الحالي .

ولست أحسب ان المقام يعوزه بيان او فضل بيان يجلي مكانة الحاسوب في حياتنا المعاصرة ، فقد غدا أداة تشيع في مجالات الحياة المتباينة :في البيت الأسري ، وزحمة الشارع ، وقاعة الدرس ، ولعل المتبصر في اللسانيات الحاسوبية يجد أن معالجة اللغات معالجة حاسوبية مطلب تطبيقي رئيس في هذا البحث ، ومن اشكاله تعليم اللغات ، والترجمة الآلية ، وتبادل المعلومات ونشرها ، وتخزين المعلومات واسترجاعها لاغراض شتى[٢] ، ومن جهة أخرى يشهد العالم انفجارا في المعلومات المتكاثرة ، ولقد اثبتت التجارب الاخيرة توفر الامكانات التقنية والفنية التي تؤذن بتوصيف اللغة وضبطها في الحاسوب بالاتكاء على بناء قاعدة من البيانات اللغوية ونفخها في الحاسوب ، والحق أن الابحاث العربية في هذا المضمار متواضعة ما زالت تتلمس خطاها نحو النور على خلاف الحال في بلاد العجم ، وصفوة المستخلص مما تقدم آنفا ان هذا الدرس يجمع بين اللغوي والحاسوبي المبرمج ، فالاول يعمل على توصيف المادة اللغوية بعد استقرائها وتمثل نظامها واستشفاف صورتها ليفزع الى ملحظ «التنميط» القائم على الاطراد، والحق ان العربية تتميز بجملة من الخصائص تجعلها قابلة للمعالجة الحاسوبية، أما الشاذ والغريب والنادر فقلته تعين على معالجته وافراده[٣] .

أما موضوع المباحثة في هذه الورقة فهو توصيف الضمير المتصل ، فاذا ما وقف الحاسوب وجاه ضمير متصل فانه سيعمل على ربطه بمرجعه الذي اليه يحتكم ، ولكن ، لاحول ولا قوة للحاسوب الا مانفخ فيه من معرفة ، ولذا ليس ثمة بد من استشراف وصف يعيننا ، او يكاد ، على تقييد الضمير المتصل بمرجعه ، والتجافي عن حالات اللبس المحتملة ، ومن هذا المبتدأ

---

(٢) انظر : محمود صيني ، نحو معجم عربي للتطبيقات الحاسوبية ، ندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات ، الرياض ، ١٩٩٢م ، ٥١١.

(٣) محمد الزركان ، اللسانيات وبرمجة اللغة العربية في الحاسوب ، ندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات ، الرياض ، ١٩٩٢ م ، ٥٧ .

تخلقت انطلاقة هذه الورقة ، فيما تأسس لدي ، مشتملة على تصور أولي لربط الضمير المتصل بمرجعه ، قائم على تصور سبل العقل الانساني في عملية الربط هذه ، والوسائل اللغوية التي تعيننا عليها [٤].

والقصد من هذا التمهيد ان يكون مدخلا لينفخ في الحاسوب ، ولعل الذي ينبغي تأسيسه قبل الشروع في معالجة مطالب هذه الورقة انها تأتي لاحقة بركب مطالب اخرى سابقة ، كاقامة بون بين الفعل والاسم والحرف ، ومعرفة اللازم والمتعدي ، وبث كثير من الانماط اللغوية التي ينبني عليها النظام الجملي ، كل ذلك قائم على استرفاد مجموعة كبيرة من الانماط التي ندخلها في الحاسوب ، وهذا ضرب من الدرس اللساني الحاسوبي القائم على ملحظ الانماط والاطراد، اذ ان الحاسوب قد يهتدي الى المتعين من المعالجات التي يخوض غمارها معتمدا عليها ، بل قد يصل الامر الى عتبة القراءة الآلية للحروف (OCR) [٥] .

أما بعد ؛

فما الملاحظ التي يقتنصها العقل في عملية الربط هذه ؟ وما الوسائل اللغوية الباعثة على هذه المعرفة التي قد يبدو الحديث عنها في غير هذا المقام ضربا من الشطط أو المماحكة ، اذ انها من المسلمات التي لايخاض في علة علتها ، بل علتها ؟!

---

(٤) تعد مسألة ربط الضمير بمرجعه مشكلة لسانية تعترض الحاسوب وقد وقف عندها في محاولة لتوصيفها ورفع إشكالها .

Hobbs, J. R., Resolving Pronoun References In Natrual Language Processing. Ed Barbara Groze, Morgan Kaufman Publishers, California, 1986, 339 - 352.

(٥) هذا رمز استحدثه الدارسون في هذا البحث اللساني ، واصله "Optical Character Recognition":

لمزيد بسط القول في هذا انظر :

Anderson, P. L. "OCR" Enters the Practical Stage"
Datamation, vol. 17, 1971, P22 - 27.

المعالجـــة :

١ ـ مرجع الضمير لايكون إلا اسما :

ما دمنا قد ارتضينا ان عود الضمير على غير الاسم باطل ، فهذا يعني ان نستحضر جميع صور الاسم لتكون مبثوثة في الحاسوب ، كالاسم العلـم ، والمصدر المؤول ، والضمير الذي يعود على ضمير فاسم ، واسم الاشارة ، والاسم الموصول ...، ولعله لايكتفي بهذا ، بل يجب ان يحدد جنس الاسم من جهة التذكير والتأنيث ، والإفراد والتثنية والجمع .

٢ ـ الضمائر المتصلة مواقعها الاعرابية متباينة :

فثمة ضمائر رفع ونصب وجر ، أما ضمائر الجر فلا تقترن الا بالاسماء والحروف، وضمائر الرفع لاتقترن الا بالافعال ، وضمائر النصب تتردد بـين المنزلتين : منزلة اقترانها بالحروف ، ومنزلة اقترانها بالافعال ، ولعل في الهيكلة الموضحة في آخر البحث بياناً يجلي ماتقدم آنفا :

٣ ـ كشف الضميـم :

لايخفى على ذي نهية ان ضميم الضمير ــ كما تقدم ــ قد يكــون فعلا (مبنيا للمعلوم او مبنيا للمجهول) ، او اسما ، أو حرفا ، ولذلك كله ينبغي أن يعين ضميمه ، اذ ان الضمير من وجهة شكلية جزء من رسم الكلمة ،ولذلك قد يحدث لبس باعثه ان الضمير وضميمه يطابقان في رسمهما شكلا آخـر ، وذلك نحـــو :

مآله (في حالة النصب)   ما له

لها (فعل ماض)   لها (حرف جر مع ضمير)

ساقاه (فعل ماض)   ساقاه (مثنى)

ولديهما (ظرف)   (ولديهما) مثنى منصوب أو مجرور

جادلك (فعل + مفعول به)   جاد لك (فعل وشبه جملة)

بالعودة الى الامثلة المذكورة يتبين ان ثم مشكلات قد تعرض ، وحتى يفض اللبس ــ وهو لبس لايكاد يقع فيه ابناء اللغة الا في بعض المواضع ، اذ انهم يحتكمون الى دلائل السياق البنيوي والمقاميات والملكة اللغويــة ــ ليس ثمة بد من الاحتكام الى «المحلل الصرفي النحــوي»[٦] و « الانماط اللغوية المبثوثة » في الحاسوب ، و « قواعد التأليف الجملي » ، وعنــدها ستتبين هذه الآلة الصماء جانحة الى ما نفخ فيها من معرفــة أنواع الكلم في العربية : ستتبين ان الضميم اســم او فعل أو حرف : فاذا ما كــان فعلاً فانها ستقف على حروفه الاصلية ملتفتة الى الزيادة الضميرية الطارئة :

« زرت البنتين في بيتهما ، وقد لعبتا بعد ذلك »

(بيتهما) لايصح أن يكون حرفا أو فعلا ، فحرف الجر لايدخــل على حرف جر آخر ، ولايدخل على الفعل ايضا ، ثم ان الرجوع الى المحلل الصرفي النحوي يؤذن بالفصل بين : «بيت» و «هما» ، اذ انه يقف وجاه مورفيمين[٧]، وقد لحق بالمورفيم الاول ضمير يدل على غائبين او غائبتين ولكــن الكلمــة السابقة (البنتين) ترشح جازمة لان يكون الضمير عائدا على مؤنثتين ، وهكذا يتم ربط الضمير بمرجعه اعتمادا على المطابقة التي لما أتحدث عنها.

---

(٦) من الابحاث التي خاضت هذا المطلب ، مطلب «التحليل الصرفي» للعربية: يحيى هلال ، تحليل صرفي للعربية ، ملتقى الكويت للعلاج الآلي ، الكويت . ١٩٨٥م ، وللمؤلف نفســه . لغة لمحلل صرفي للغة العربية ، الندوة الدولية الثانية لجمعية اللسانيات بالمغرب ، الرباط ، اكتوبر ١٩٨٨م ، ومحمد مراياتي وآخرون ، النظام الصرفي للعربية في الحاسب ، المؤتمر الثــاني حول اللغويات الحسابية ، الكويت ، ١٩٨٨م .

(٧) يعرف المورفيم بانه أصغر وحدة لغوية ذات معنى ، ذلك ان تخلق المعنى لايكون إلا من هذه الوحدة المشخصة ، انظر تعريفه :

Katamba, F., Morphology, The Macmillan Press, London, 1993, p19.

وانظــر :

Robins, R., H., General Linguistice, Longman, New York 1989, P. 192.

(وقد لعبتا) : هل ماورد هنا اسم او فعل ؟ ان الانماط الجملية المبثوثة فيه تتجافى مطلقا عن ورد « قد » قبل اسم ، ولذلك فهي فعل لحقه ضمير اثنين او اثنتين ، وهنا يأتي دور التحليل او « التفكيك الحاسوبي» :

لعبتا ← لعب / ت / ا

ولذلك يتبين الحاسوب ان ضميم الفعل ضمير يدل على مؤنث مثنى غائب قد تقدم ذكره .

٤ ـ المطابقة :

محتكم رئيس في ربط الضمير المتصل بمرجعه ، اذ ان الحاسوب سيقوم بترشيح المقولات النحوية التي تمكنه من ربط الضمير بمرجعه ، والحق أن ملحظ «المطابقة» قائم ، في هذا السياق على وجه التعيين ، على ظاهرة «الفصائل النحوية» ، والمعنى المركوز في هذا المصطلح اللساني « المطابقة » هو مجموعة العناصر اللغوية التي تؤدي وظائف متماثلة او متشابهة ، او تدل على معان نحوية في لغة ما ، ومن أجلالها الجنس «النوع» تذكيرا وتأنيثا ، والعدد إفرادا وتثنية وجمعا ، والشخص حضورا وغيبة وتكلما[٨] .

« ذهبت الى زيد لأنه مريض »

ثم مطابقة جلية بين الضمير في قولنا « لأنه » ومرجعه في الجنس والعدد، اذ ان «زيد» مفرد مذكر ، والضمير «الهاء» في ذلكم السياق يتفق وتينك الفصيلتين النحويتين .

« كان الرجل يتمايل ثملاً كالشجرة التي تداعبها الرياح »

---

(٨) لمزيد بسط القول في التعريف بهذا المصطلح انظر :

Baalbaki, R. Dictionary of Linguistics Terms, English - Arabic, Ist. ed, Dar El-Ilm, Beirot, 1990, "gramatical categories", p. 217.

وانظر : إن سوب لي ، الفصائل النحوية في اللغة العربية،رسالة دكتوراه، الجامعة الاردنية ، عمان ، ١٩٩٨م .

جلي من هذه الجملة ان ثمة مرجعين تقدما الضمير المركوز في قولنا « تداعبها » ، وهما «الرجل» و «الشجرة» ، والظاهر ان عود الضمير على «الرجل» لايصح في الفهم ولايستقيم ، اذ ان «الرجل» لايطابق في وصفه الضمير المتصل في « تداعبها » ، ذلك ان الحاسوبي اللغوي ينفخ في الحاسوب ملحظا مضمونه هذه الفصائل النحوية التي تفضي الى ربط الضمير المتصل بمرجعه استنادا الى ملحظ « المطابقة » .

٥ ـ **التوصيف الوظيفي المعجمي :**

هذا مطلب يعين على ربط الضمير المتصل بمرجعه ، ويبدأ التوصيف الوظيفي المعجمي بالكلمة لا بالجملة ، ويبدو وصف الكلمة موصول الحبل بالعالم الخارجي ، وليس المقصد منه ان يهتدي الى تعريف جامع مانع ، بل الى مجموعة من المعطيات والمواصفات المقننة التي تستغرق انحاء المفهوم الذي تدل عليه الكلمة من جهة ، وتضبط وجوه علاقته حين يصبح عنصرا في التركيب من جهة اخرى ، ويستعان على هذا بالمعجم الحاسوبي الحديث الموسوم بـ) MRD (٩) ، وهو متضمن كل المعطيات التي تؤذن بتعيين المادة وخصائصها النحوية والصرفية والدلالية(١٠) ، ومن الامثلة المبينة عن هذا المطلب قولنا :

« تركت الفتاة المكتب لأنه مكسور »

فالمطابقة لن تشفع للحاسوب في ربط الضمير بمرجعه ، فثم مرجعان أحدهما وهمي ، وثانيهما حقيقي ، وكلاهما يطابق الضمير في وصفه ، ولكن العود على «التوصيف الوظيفي» قد يعمل على رفع هذا الاشتباه الحاسوبي،

---

(٩) يطلق على هذا المعجم القائم على مفهوم « التوصيف الوظيفي المعجمي »

(١٠) لمزيد بسط القول في هذا المطلب انظر :

Machine Readable Dictionary.

Bensix, E., Componetial Analysis of General Vocabulary Indiana U. press. Bloomington, 1966.

فقولنا «مكسور» كلمة على وزن «مفعول» ، فهي اسم مفعول ، وقد تأتـي صفة للاشياء المادية كالزجاج والخشب والكرسي والطاولة ، ان هذا الوصف المجتزأ (وهو وصف لايغني عن وصف شامل يستوعب معطيـات ومواصفات مقننة) يعمل على تجلية مطلب هذه الورقة ، ولذلك يرشح الحاسوب متكئـا على هذا التوصيف الوظيفي المعجمـي عـود الضمير الى الكتب ، والمطابقـة تشفع له ههنـا .

« جاءت البنت الى الحديقة لأنها راغبة في ذلك »

الضمير في قولنا « لأنها » متطابق الوصف مع مرجعين متقدمين ، وليكن حاضرا في الخاطر الاول ان مفهوم الرغبة يكاد يكون مرتبطـا بكل ذي حياة، كالانسان والحيوان ، ويكاد يخرج عن مضمار الجماد الا على ضـرب من التجوز ، ولذلك فـإن « الرغبـة » قرينة تجعـل الحاسوب يرجـع الضمير «الهاء» الى البنت لا الى الحديقة التي يتجافى عن ذكرها او احتوائها فـي مضمار الحديث عن الرغبة في مطلب التوصيف الوظيفي المعجمي » .

٦ ـ الاستعانة « بالمحلل الصرفي النحوي » (المفكك) :

لست أزعم ان هذا المطلب مستقل عن المطالب التي تقدمته ، بل انهـا كلها تعمل معا في تناغم وتكامل ، والذي يخص هذه المباحثة الان الإلمـاح الى أن للتفكيك سهمة جلية في ربط الضمير المتصل بمرجعه:

« ان ولديهما قد ذهبا في نزهـة على الشـاطيء »

« هذان صديقان ، ولديهما بيت يطل على الشاطيء »

فضلا عن الانماط اللغوية المبثوثة ، وعن قواعد النظم الجملي ، فـان المحلل الصرفي النحوي يزيد الامر جلاءً :

ولديهما : و / لدي / هما ثلاثة مورفيمات

ولديهما : ولد / ي / هما ثلاثة مورفيمات

والظاهر ان « ولديهما » في الجملة الاولى مسبوقة بـ «إن» وهـي منصوبة، أما في الثانية فهي ظرف ،والواو عاطفة ، والملاحظ ان اقامة بـون بين العلامة والضمير في كثير من المواقع يعتمد على مجموعة من العـوامل متضافرة ، وكأن الحاسوبي يتحـدث عن تضافر المعارف والعوامل معـا ، ولاشك في أن الاستعانة بالمفكك مطلب له خطره ، اذ اننا نتعامل وأداة صماء لا علم لها الا بما نعلمها ، ولذا ينبغي التحرز من هذه الامثلة المتقدمة ومثلها حتى يكون لنا سهمة ذات بال في حصر مواطن لبس محتملة قد يقـع فيهـا الحـاسوب •

١ ـ يلعبون　　　　٢ ـ لاعبون

٣ ـ ينامان　　　　٤ ـ نائمان

الكلمة الاولى فعل ضميمها ضمير ، والثانية اسم ضميمه علامة

« كان في حضرته رجال كثيرون »

وجود حرف الجر ينبىء ان ما بعده اسم ، وهو متصل بضمير ،فالتـاء اذاً ليست علامة تلحق بفعل «حضرته» وليست في الآن نفسه ضميرا ، بل هي جزء من الاسم •

٧ ـ معاينة النظام الجملي (تجاوز حدود الكلمة المفردة)

وليس يذهب بي ما قـدرت الـى حـد الايهام أن بمكنة الحاسـوب التعرف الى مرجع الضمير المتصل معتمدا على المحلل الصرفي فقط ، اذ انـه يتجاوز ذلك ، يتجاوز حدود الكلمة المفردة ليصل الى حدود الجملة في سياقها البنيوي ، والامثلة الآتية فيها فضل بيان :

« قابلنـا محمـداً » : « قابلنا محمـدٌ »

ثم جملتان سائرتان على نحوين متباينين ، الاول : ف + فا + م• به

والثاني : ف + م•به + فا

واذا نحن استرفدنا الهيكلية المرسومة آنفا ، فاننا سنجد ان الضمير « نا » يتردد بين منزلة النصب ومنزلة الرفع ، فالفاعل في الجملة الاولى هو الضمير «نا» وهذه منزلة الرفع ، والمفعول به في الثانية هو الضمير «نـا» ، وهذه منزلة النصب ، ولا يخفى أننا نقف على المتعين من كل واحدة بالاتكاء على ظاهرة الاعراب ، وتجاوز حدود الضمير الموهم ، ولذا فان الحاسوب سيهتدي الى المعنى المتعين في كل جملة بالاتكاء على هذا الناموس اللغوي المبين عن جانب من جوانب المعنى في العربية •

« همـا تدخـلان »

بتجاوز حدود الكلمة الواحدة ، والمضي مع هدا السياق البنيوي يتبين العقل الانساني ، وكذلك الحاسوب ، بما فيه من أنماط لغوية ، ومعرفة مودعة ، يتبين أن «هما» ضمير غائب يعود على مؤنثتين ، اذ ان « تدخلان » تأتلف من فعل مضارع مع ضمير اثنين ، ولو كان الضمير لمذكرين لقيل : « هما يدخلان » •

« إن ولديهما قد ذهبا في رحلة »

عوداً على بدء ، على الانماط اللغوية المبثوثة ، وقواعد النظم الجملي، فان « ولديهما » لايصح أن تكون ظرفا ، ولا ان تكون الـوار عاطفة ، لفساد المعنى ، والنظم الجملي ، اذ ان وجود « إن » يفضي اقتضاء الى تعين اسم لها وخبر، وليس ثمة « إن » متلوة بحرف عطف، كل هذه المعاينة العقلية التي هي ضرب من البدهية يجب أن تكون مبثوثة في الحاسوب بغية تعيين المعنى على وجه الإحكام دون الإبهام ، والملاحظ ان المحتكمات والضوابط تتضافر ، ففي قولنا «ولديهما» نستعين بالمحلل الصرفي النحوي ، وكذلك بمعاينة النظام الجملي ، والانماط الجملية السليمة ، ولاينسى فضل المسافة الخطية التي يجب أن تؤخذ بعين العناية والروية في الحاسوب ، وذلك نحو :

ولديهمـــا	و لديهمـــا
جادلك	جاد لك
ماله	ما له[11]

الإشكـــال :

١ ـ المطابقة وتعدد المراجع :

تقدم ان المطابقة محتكم رئيس في ربط الضمير المتصل بمرجعه ، وهي في الوقت نفسه باعث لبس واشتباه ، فاذا ما اعترض الحـاسوب مرجعـان متفقان في فصائلهما النحوية فان ذلك يفضي الى دخول الحاسوب في فضـاء حـيرة قد تنتهي بالتوهم دون التحكم ، كل ذلك مرده الى تعـدد المـراجع المتماثلة في العدد والجنس والشخص ، ولعل فيما يأتي فضل بيان :

« نصحت لأختي أن تبقى مع أمي لأنها مريضة »

ثم مرجعان : أحدهما وهمي ، والثاني حقيقي ، وهمـا متفقـان ، من وجهة شكلية ، في الجنس (التأنيث) والعدد (الإفراد) ، وهنا يقع الحاسوب في لبس باعثه التطابق ، تطابق مرجعين .

والحق ان ابن اللغة قد يقع في مثل هذا اللبس ، ولكنه يفيء الى قرار مكين يعينه على تعيين المراد ، وهو سياق الحال والانظار الخارجية ، ومـع هذا الاحتراس المتقدم يظل ملحظ التباس الكلام الآتي من هـذه الجهـة على التعيين قائما ، والحاسوب به أولى ، ومن الامثلة التي أشكلـت علـى اللغويين فترددوا بين معان متباينة قوله تبارك وتعالى :

« وما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتـاب من قبـل أن نبرأهـا »[12] .

---

(١١) في قراءة النص الآلية يعنى اللغوي الحاسوبي بهذا المطلب عناية كبـيرة ، فثمة ماسح ضوئي (Scanner Optical) يجسد المكتوب وفصل للسطـور الافقيـة ، وفاصل للكلمات (Word Isolation). انظر : حازم عبدالعظيم ، القراءة الآلية للنص العربي بمساعدة المصحح الهجائي ، نـدوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات ، الرياض ، ١٩٩٢ ، ١٨٥ .

(١٢) الحـديد [الآية ٢٢١] .

فقد تردد المعربون بين ثلاثة مراجع تقدمت على الضمير في قوله « نبرأها » ، فقيل انها تعود على :

النفس : من قبل أن نبرأ النفس

الأرض : من قبل أن نبرأ الأرض

المصيبة : من قبل أن نبرأ المصيبة[١٣] •

٢ ـ تقدم الضمير :

تبيح قواعد النظم الجملي في العربية ان يعود الضمير على ما بعده اذا كان متقدما في رتبته ، متأخرا في لفظه ، وقد قال ابن مالك معرجا على هذا الملحظ : « وشاع نحو « خاف ربَّه عمر » وشذ نحو « زان نوره الشجر » » ، وقد فسر هذا ابن عقيل قائلا : « شاع في لسان العرب تقديم المفعول المشتمل على ضمير يرجع الى الفاعل المتأخر ، وذلك نحو « خاف ربه عمر » ، و «ربه» مفعول ، وقد اشتمل على ضمير يرجع الى «عمر» وهو الفاعل»[١٤] ، ولذلك ينبغي أن ينفخ في الحاسوب باب فرعي يشير الى الذي تقدم ، ولا يخفى أنه ضرب من باب القول على «الرتبة» في نظام الجملة العربية ، ولكن نفخه في الحاسوب باعث كبير على تخلّق اللبس ، ورد بعض الضمائر الى ما بعدها متناسين ان مظاهر عود الضمير تكون الى مرجعه الذي تقدمه •

٣ ـ المجاز :

تقدم حديث عن التوصيف الوظيفي المعجمي ، وقد تبين انه ذو سهمة تفعل في ربط الضمير بمرجعه اعتمادا على منطق الحياة وحقائق الاشياء في العالم الخارجي ، ولكن ، قد يحدث أحيانا خروج عن هذه السبيل ، وليس

---

(١٣) انظر : ابن الانباري ، البيان في غريب إعراب القرآن ، تحقيق طه عبدالحميد طه ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ٢/٤٢٤.

(١٤) بهاءالدين عبدالله بن عقيل ، شرح ابن عقيل ، ط١، دار الخير ، دمشق ، ١٩٩٠م ، ١/٤٠٩.

المقصد من هذا الالماح الى اللغة الابداعية الشعرية ، فهذا مطلب يعوزه بسط في القول وتطويل ، ولكن المقصد هنا أن ابن اللغة يترخص في ترصيع كلامه بمجازات واستعارات واجتزاء ملمح دال ، ومن ذلك :

« جاءت البنت الى المدرسة لأنها راغبة في ذلك »

الضمير في قولنا «لأنها» قد يعود على البنت ، وقد يعود على المدرسة، والمراد من هذا التركيب البنيوي : ادارة المدرسة ، والحاصل ان ، التوصيف الوظيفي المعجمي في هذا السياق قد يتعذر فضله ، ذلك أن الرغبة تكاد تكون متعالقة في المعجم الوظيفي النحوي بكل ذي روح من انسان أو حيوان ولكن هذا التجوز المتمثل في «الاجتزاء» من السياق البنيوي قد يفضي الى ولوج الحاسوب في مزالق اللبس من بوابة عريضة :

المدرسة راغبة

(ادارة) المدرسة راغبة

والاشكال الكبير في هذا الدرس اللساني الحاسوبي هو « الذاكرة السياقية » ، فابن اللغة يعول كثيرا على سياق الحال في الإبانة عن المعاني ، ولما كانت اللغة ظاهرة اجتماعية ، ولما كانت الاحداث الكلامية لاتتجلى الا في سياقات متباينة ، لما كان ذلك كذلك ــ وجب استرفاد هذا النظر السياقي ، محتكما وموجها للمعنى كما يوجه المقود السيارة ، ولذا فان اطراح السياق ، والاظار الخارجية والمقاميات التى استودع فيها الحدث الكلامي مدعاة الى تخلق اللبس والاحتمال[١٥] ، والإشكال آتٍ من تغييب هذه الاحوال والقرائن المعنوية التى تفعل في تعيين المراد من الاحداث الكلامية ، ذلك اننا نتعامل وآلة صماء لا علم لها الا بما نعلمها ، فضلا عن تجردها من نعمة كبرى ، وهي العقل الانساني •

---

(١٥) من اللغويين المحدثين الذين وقفوا عند «السياق» Firth وقد تحدث شخصية المتكلم والسامع وأعمالهم ، والزمان والمكان واثر الكلام ، والاشياء المتصلة به ، والمستويات البنيوية اللغوية . انظر :

Firth, J.. Papers in Linguistics, Oxford University Press, London, 1964, p. 177 ـ 189.

المتفرقات المجتمعات :

المبتغى من هذه الورقة وضع تصور أولي لربط الضمير بمرجعه ، ولكنه يعرض في بعض الاحداث الكلامية ان يكون المرجع متواريا ، ولذا يُضرب صفحا عنه ، لانه معرّف ليس يعوزه ربط بمرجع ، او لان المرجع نفسه متحقق فيه ، او لانه لايفيد معنى «الضمير» .

« انني رجل في السادسة والستين »

«الياء» ضمير نصب ، وليس له مرجع يسبقه ليربط به في هذا السياق، ثم انه معرف تعريفا يكاد يجعله المرجع في الآن نفسه ، وترجمته لا تؤذن بتعمل أو اغراق .

ومثله : **أوراقي متناثرة .**

ان الملحظ الرئيس هنا هو كشف الضميم ، لان الضمير بيّن لا يحتاج الى مرجع ليجليه .

ومثله «اننا أمة تأبى الخضوع»

« نحن الموقعين أدناه / أعلاه /» .

« انه ليسعدني تقبل هذه الزيارة » .

« انه لمن دواعي سروري القدوم » .

« لقد ذهبت الى مدرستي لأنه إن بقيت فسأكون متأخرا »

ومثل الذي تقدم كثير ، والذي أراه فيها أن يُلحق بعضها بمركب التعبيرات الاصطلاحية مقرونة بمعناها ، اوان تعالج حاسوبية قائمة برأسها

افعال بحاجة الى عناية خاصة :

يظهر مما تقدم ان ثمة أنماطا فعلية ثابتة ، وهذا ييسر علينا مطلب ادخال هذه الافعال المختلف زمانها مع ضمائرها المقترنة بها ، واعطاء كل صيغة فعلية مقترنة بضميرها معنى خاصا . وبهذه النمطية نكون قد وفقنا في حل جزء كبير من مطالب هذه الورقة .

لنلاحظ ان للفعل المضارع سوابق ولواحق دالة ، فاذا ما ادخلت هذه الانماط الفعلية بدلالاتها ، وبما تعنيه من اضافات السوابق واللواحق فان الحاسوب سيكون بمكنته أن يعين المعنى المراد على وجه من التعيين • ويبقى هناك قدر من الافعال المضارعة الناقصة يعوزها مزيد من التبصر والعناية الخاصة ، وهي موضع لحن يقع فيه أبناء اللغة :

« تَسْعَيْن » ، « تَسْعَيْن » •

نحن امام مشترك لفظي متفق في المبنى ومفترق في المعنى ، فنحن نقول :

أنت تَسْعَيْنَ

أنتن تَسْعَيْن

البنات يَسْعيْن

وكذلك : الرجال يغزون

الجنديات يغزون

فالاول مرفوع بثبوت النون ، والثاني مبني لاتصاله بنون النسوة اتصالا مباشرا ،والذي يسترعي الانتباه في تكهن وتخطف هنا استجابة لخاطر أول دون تمحيص أو تجلية جوانب هذه الصور المتفقة في المبنى : هل يخلط الحاسوب بين « يغزون » الاولى والثانية، وهل يعد الواو في الثانية ضميرا متصلا ، وكذلك ما تقدم في « تَسْعَيْن » ان هذا لايحدث البتة ، اذ انه سيتجاوز حدود الكلمة الواحدة آخذا بعين اعتباره حدود الجملة والنظام الجملي الذي بُث فيه ، انه دليل ومحتكم •

اذا أنا مضيت في عرض تلك النماذج ، فانه قد يبدو انني أعابي الحاسوب لانه يماحكني في كثير من المطالب بالتجافي عن استجابة فورية ، أو بضحكة باعثها خروجه عن سنن النظم السليم ، ومن الملاحظ ان هذه الامثلة المذكورة آنفا لاتحتاج الى تعمل او إغراق ، ولعل هذا يدفعني الى القول ان اهم مطلب في معالجة هذا الموضوع هو كشف الضميم •

ثم انني استجدت في نهاية هذه الورقة الفكرة التي انقدح لها زناد الخاطر من اننا لسنا بحاجة الى معرفة كل مرجع ، اذ ان ثمة ما سميته

بالضمائر المعرفة ، وهو تكاد تشيع في الحديث عن الذات والملكيـة في كثير من جمل العربية يكون مرجع الضمير جليا واضحا لانه علم دال على الضمير، فقد تخلو الجملة من مرجع غيره ، وقد تعمل المطابقة على تعيينـه ، وقـد تتضافر جملة من المعارف والعوامل لتحقق لنا هذا المبتغى •

ولست أزعم ان قضية الضمير المتصل قد حلّت وانتهى أمرهـا ، ولكن هذا الامر بحاجة الى معاينة وتجربة حية مع الحاسوب ، اذ ان الباحث سيتعلم متكئا على أخطاء الحاسوب التي قد يتعذر كشفها قبل مثولهـا أمام العين • والامر الذي يؤرق في هذا الباب ان العربية تبيح أن يعود الضمير على ما بعده اذا كـان متقدما في رتبته ، متأخرا في لفظه ، ولذلك ينبغـي ان ينفـخ في الحاسوب باب فرعي يشير الى الذي تقدم ، ولا يخفى انه حديث عن (الرتبة) في النظام الجملي كما تقدم قبلا ، ولكن نفخه في الحاسوب باعث كبـير على حضور اللبس ، ورد بعض الضمائر الى ما بعدها متناسين أن مظاهـر عـود الضمير الى مرجعه الذي تقدمه •

وبعـــد ؛

ففي زحمة الشارع ، وقاعة المحاضرات ، والبيت الأسري ، قد يتعذر رفع اللبس في كثير من الأحداث الكلامية الحية ، وللبس بواعثـه ومنهـــا الضمــير[١٦] ، ولذلك لن أشط في خاطري بعيدا ظانا ان هذه الآلة الصمـاء ستفي بكل متطلبات «رجْع الضمير المتصل الى محتكمه» المـوزونة بميزان الإحكام ، والمتجافية عن أود اللحن والخطأ ، ومع هذا ،فلمنض خطوة اخرى في بناء أساس لهذا المشروع الرائد ، ولنستشرف مشكلاته معتمـدين على المثال والنموذج ، ولكن :

نحـن أدرى وقد سألنا بنجـد   أطـويل طريقنــا أم يطـــولُ
وكثير مــن السـؤال اشتيـاق   وكثــير مـــن رده تعليـــلُ

---

(١٦) بواعث اللبس متباينة ، فمنها ما هو واقع في التصويت والتصريف والتركيب والمعجم والاسلوب ، لمزيد بسط القول في هذه الظاهرة انظر : مهدي عرار ، ظاهرة اللبس في العربية ، رسالة دكتوراه ، عمان، ١٩٩٩م.

المصـــادر :

١ ـ ابن الانباري ، عبدالرحمن بن محمد ، البيان في غريب إعراب القـرآن ، تحقيق طه عبدالحميد طه ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠م.

٢ ـ إن سوب لي ، الفصائل النحوية في اللغة العربية ، (رسالة دكتـوراه) ، الجامعة الاردنية ، عمان ، ١٩٨٩م.

٣ ـ حازم عبدالعظيم ، القراءة الآلية للنص العربي بمساعدة المصحح الهجائي، ندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات ، الـرياض ، ١٩٩٢م.

٤ ـ عبدالرحمن الحاج صالح ، المدرسة الخليلية الحديثـة ومشاكـل علاج العربية بالحاسوب ، المؤتمر الثاني للغويات الحاسوبية ، الكويت ١٩٨٨م.

٥ ـ ابن عقيل ، بهاءالدين عبدالله ابن عقيل ، شرح ابن عقيـل ، ط١ ، دار الخير ، دمشق ، ١٩٩٠م.

٦ ـ محمد الزركان ، اللسـانيات وبرمجة اللغة العربية في الحـاسوب ، نـدوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات ، الرياض ، ١٩٩٢م .

٧ ـ محمد مراياتي وآخرون ، النظام الصرفي للعربيـة في الحاسب ، المـؤتمر الثاني حول اللغويات الحسـابية ، الكويت ، ١٩٨٩م.

٨ ـ محمود صيني ، نحو معجم عربي للتطبيقات الحاسوبية ، ندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات ، الرياض ، ١٩٩٢.

٩ ـ مهدي عرار ، ظاهرة اللبس في اللغة العربية ، رسالة دكتوراه ، الجامعة الاردنية ، عمـان ، ١٩٩٩م .

١٠ـ نبيل علي ، اللغة العربية والحاسوب ، ط١ ، تعريب ، الكويت ، ١٩٨٨م.

١١ـ يحيى هلال ، تحليل صرفي للعربيـة ، ملتقى الكويت للعـلاج الآلـي ، الكويت ، ١٩٨٥م.

١٢ـ يحيى هلال ، لغة لمحلل صرفي للغة العربية، الندوة الدولية الثانية لجمعية اللسـانيـات بالمغرب، الرباط ،١٩٨٨م.

13- Anderson, P. L., "OCR" Enters the Practical Stage, Datamation, Vol. 17, 1971, p. 22 - 27.

14- Baaalbaki, R., Dictionary of Linguistics Terms, English - Arabic, 1St ed, Dar El ALm, Beirut, 1990.

15- Bensix, E., Componontial Analyais of General Vocabulary, Indiana U. Press Bloomington, 1966.

16- Butler, C., Computers in Linguistics, Basil Blackwell, Oxford, 1985.

17- Firth, J., Papers in Linguistics, Oxford University Press, London, 1964.

18- Grishman, R., Computational Lingusitics, Gambridge University Press, London, 1986.

19- Hobbs, J. R., Resolving Pronoun References, In natural, Languge Processing, Ed Barbara Groze, Morgan Kaufman Publishers, California, 1986.

20- Katamba, F., Morphology, The Macmillian Press, London, 1993.

21- Nida, E., Componential Analysis of Meaning, An Introduction to Semantic Structure, Mouton, The Hague, 1975.

22- Robins, R. H., General Linguistics, Longman, New york, 1989.

23- Quirk Et. Al, A Comprehensive Grammar of the English Language, Longman, New york, 1991.

	فعل ماضٍ + ضمير الرفع	فعل ماضٍ+ ضمير النصب	المضارع + ضمير الرفع	المضارع + ضمير النصب	فعل الأمر + ضمير الرفع	فعل الأمر + ضمير النصب	إنّ وضمير النصب	الاسم + ضمير الجر	الحرف + ضمير الجر
للمتكلم	تُ /سمعتُ	ي /سمعني	Ø	ي /أسمعُني		ي اسمعني	ي إنني	ي /بيتي	ي /ببيتي
للمتكلمَيْن	نا /سمعنا	نا /سمعنا	Ø			نا اسمعنا	نا إننا	نا /بيتنا	نا /ببيتنا
للمتكلمين	نا /سمعنا	نا /سمعنا	Ø	نا /أسمعُنا		نا اسمعنا	نا إننا	نا /بيتنا	نا /ببيتنا
للمخاطب	تَ /سمعتَ	كَ /سمعنا	Ø	كَ /يسمعكَ	Ø	Ø	كَ إنكَ	كَ /بيتكَ	ك /ببيتكَ
للمخاطبَيْن	تما /سمعتما	كما /سمعكما	ا /تسمعان	كما /يسمعكما	ا /اسمعا		كما إنكما	كما /بيتكما	كما /ببيتكما
للمخاطبين	تم /سمعتم	كم /سمعكم	و /تسمعون	كم /يسمعكم	وا /اسمعوا		كم إنكم	كم /بيتكم	كم /ببيتكم
للمخاطبة	تِ /سمعتِ	كِ /سمعكِ	ي /تسمعين	كِ /يسمعكِ	ي /اسمعي		كِ إنكِ	كِ /بيتكِ	كِ ببيتكِ
للمخاطبَتَيْن	تما /سمعتما	كما /سمعكما	ا /تسمعان	كما /يسمعكما	ا /اسمعا		كما إنكما	كما /بيتكما	كما ببيتكما
للمخاطبات	تن /سمعتن	كن /سمعكن	ن /تسمعن	كن /يسمعكن	ن /اسمعن		كن إنكنّ	كن /بيتكن	كن ببيتكن
للغائب	Ø	ها/سمعه	Ø	ها /يسمعه		ها/اسمعه	ها /إنه	ها/بيته	ها/ببيته
للغائبَيْن	ا /سمعا	هما /سمعهما	ا /يسمعان	هما /يسمعهما	•	هما /اسمعهما	هما /انهما	هما /بيتهما	
للغائبين	وا /سمعوا	هم /سمعهم	و /يسمعون	هم /يسمعهم		هم /اسمعهم	هم /انهم	هم /بيتهم	ها/ببيته
للغائبة	Ø	ها /سمعها	Ø	هما /يسمعها		ها /اسمعها	ها /إنها	ها /بيتها	ها /ببيتها
للغائبتَيْن	تا /سمعتا	هما /سمعهما	ا تسمعان	هما /يسمعهما		هما /اسمعهما	هما /إنهما	هما /بيتهما	هما /ببيتهما
للغائبات	ن سمعن	هن سمعهنّ	ن يسمعن	هن يسمعهن		هن /اسمعهن	هن /إنّهن	هن /بيتهن	هن /ببيتهن



محـور الـزواج المبكـر



الاسلام والزواج المبكر

الدكتور ابراهيم خلف العبيدي
عضو المجمع العلمي

بناءً على توجيه الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله ورعاه ، بشأن الزواج المبكر ، والدعوة الى تشجيع مثل هذا الزواج . كلفت الهيئة العامة لدائرة العلوم الانسانية بعقد ندوة تتناول أبعاد الموضوع ، الايجابيات والسلبيات . العوامل المساعدة على مثل هذا الزواج ، معوقاته ، الى غير ذلك من الامور .

وارتأت الدائرة ، أن تختار عددا من الاساتذة باختصاصات مختلفة ليتناولوا الموضوع من جوانبه المتعددة لاسيما الجانب الديني ، والجانب الاجتماعي ، والجانب الاقتصادي .

ان الزواج في الاسلام سكن للنفس ، وراحة للقلب ، واستقرار للضمير وتعايش الرجل والمرأة على المودة والرحمة ، والانسجام والتعاون والتناصح والتسامح ليستطيعا في هذا الجو الاليف الوديع أن يؤسسا الخلية السعيدة التي تربى فيها البراعم الغضة وتنشأ فيها الاسرة المسلمة

وقد صور القرآن هذه العلاقة الفطرية بين الرجل والمرأة تصويرا دقيقا بديعا ، تشيع فيه السكينة والامن والطمأنينة ، ويفوح منه عبير المحبة والرحمة والتفاهم بقوله تعالى « ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون» .

فالناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر وتشغل أعصابهم ومشاعرهم تلك الصلة بين الجنسين ، وتدفع خطاهم ، وتحرك نشاطهم تلك المشاعر المختلطة الانماط والاتجاهات بين الرجل والمرأة ، ولكنهم قلما يذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجا ، وأودعت نفوسهم هذه العواطف

والمشاعر ، وجعلت في تلك الصلة سكنا للنفس والعصب ، وراحة للجسم والقلب ، واستقرارا للحياة والمعاش ، وأنسا للأرواح والضمائر ، واطمئنانا للرجل والمرأة على السواء .

والتعبير القرآني اللطيف الرقيق ، يصور هذه العلاقة تصويرا موحيا وكأنما يلتقط الصور من أعماق القلب ، وأغوار الحس بقوله (لتسكنوا إليها) وجعل بينكم مودة ورحمة .. إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . فيدركون حكمة الخالق في خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقا للآخر، ملبيا لحاجته الفطرية ، نفسية وعقلية وجسدية ، بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار ، ويجدان في اجتماعهما السكن والاكتفاء والمودة والرحمة . لان تركيبها النفسي والعصبي والعضوي ، ملحوظ فيه تلبية رغائب كل منهما للآخر ، وائتلافهما وامتزاجهما في النهاية لإنشاء حياة جديدة تتمثل في جيل جديد .

ان الذي خلق هذا الإنسان جعل من فطرته (الزوجية) شأنه شأن كل شيء خلقه في هذا الوجود (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)، ثم شاء أن يجعل الزوجين في الإنسان شطرين لنفس واحدة ، وأراد بالتقاء شطري النفس الواحدة بعد ذلك ، فيما أراد أن يكون هذا اللقاء سكنا للنفس ، وهدوء للعصب ، وطمأنينة للروح ، وراحة للجسد ثم ستراً وإحصاناً ثم مزرعة للنسل وامتداد الحياة ، مع ترقيها المستمر في رعاية المحضن الساكن الهادىء المطمئن المستور المصون .

ومن تساوي شطري النفس الواحدة في موقفهما من الله ، ومن تكريمه للانسان ، كان ذلك التكريم للمرأة ، وتلك المساواة في حقوق الآخر والثواب عند الله ، وفي حقوق التملك والإرث ، وفي استغلال الشخصية المدنية . وان الآية القرآنية التي تشير الى أن الله «جعل لكم من أنفسكم أزواجا» يعني شطرا منكم ، أي لا جنس أحط يتوارى من يبشر به ويحزن . والانسان الفاني يحس الامتداد في الأبناء والحفدة ، ولمسُ هذا الجانب في النفس

يثير أشد الحساسية ، ويضم الى هبة الابناء والحفدة هبة الطيبات من الرزق، فهي نفس واحدة في طبيعة تكوينها ، وان اختلفت وظيفتها بين الذكر والأنثى. انما هذا الاختلاف ليسكن الزوج الى زوجه وليستريح اليها . وهذه هي نظرة الإسلام لحقيقة الانسان ، ووظيفة الزوجية في تكوينه . وهي نظرة كاملة وصادقة جاء بها هذا الدين ، منذ خمسة عشر قرناً . يوم كانت الديانات المحرفة تعد المرأة اصل البلاء الانساني وتعدها لعنة ونجسا ، وفخا للغواية . وكانت الوثنيات تعدها سقط المتاع .

وتأكيد القرآن انه جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، يعني أنه نظم لكم حياتكم من أساسها ، وهو أعلم بما يصلح لها ، وما تصلح به وتستقيم ، وهو الذي أجرى حياتكم على وفق قاعدة الخلق التي اختارها للأحياء جميعا .

والاصل في التقاء الزوجية هو السكن والاطمئنان والأنس والاستقرار، ليظلل السكون والامن جو المحضن الذي تنمو فيه الفراخ الزغب ، وينتج منه المحصول البشري الثمين ، ويؤهل منه الجيل الناشيء لحمل تراث التمدن البشري . ولم يجعل هذا الالتقاء لمجرد اللذة العابرة أو النزوة العارضة كما أنه لم يجعله شقاقا ونزاعا ، وتعارضا بين الاختصاصات والوظائف، أو تكرارا لها .

فمن أهمية التقاء شطري النفس الواحدة انشاء مؤسسة الاسرة ، ومن ضخامة تبعية هذه المؤسسة ، توفير السكن والطمأنينة والعفة والإحصان للنفس بشطريها.. ان تلك التنظيمات المحكمة التي تتناول كل جزئية من شؤون هذه المؤسسة (الاسرة) قد تناولتها العديد من السور والآيات .

وفي ظل هذه الإشارات المجملة الى طبيعة نظرة الإسلام للأسرة وأهميتها ومدى حرصه على توفير ضمانات البقاء والاستقرار . الى جانب تكريم هذا المنهج للمرأة ، ومنحها استقلال الشخصية واحترامها ، والعناية الفائقة بها ، فقد قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ما أكرم النساء إلا كريم ،

وما أهانهن إلا لئيم • وأكد في أكثر من حديث حرضه وتكريمه لها ، وفي خطبة الوداع أوصى بها خيرا « ألا واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان عندكم » ، اذ ان المرأة الصالحة في الإسلام متعة الحياة الاولى ونعمة الله الكبرى على الرجل ، اذ يخلد اليها بعد التعب والنصب فيجد عندها الامن والمتاع الذي لايدانيه متاع في حيان الانسان كما قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة » •

ان هذه الآيات والاحاديث غيض من فيض وانها تؤكد الروابط الزوجية، وأهمية الزواج ، ولاسيما المبكر ، من أجل الطمأنينة ، والسكن ،والاستقرار، والعفة ، وبناء الجيل الجديد • وتحث على هذا الزواج لما فيه خير الفرد والمجتمع • ولكن يبقى السؤال ، هل ان الظروف التي كانت سائدة ، هي الظروف الحالية ؟ وهل الجميع لديهم الاستعداد للتمسك بالكتاب والسنة ؟

الـزواج المبكـــر
المعوقــات والاستشراف المستقبلي

الدكتورة ثناء محمد صالح الحديثي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

اهميــة البحث

تعد المواجهة العلمية للظواهر الاجتماعية السبيل للوقوف على أبعادها ومدى تأثيرها في البناء الاجتماعي .

وقد جاءت الاهمية العلمية للبحث لكشف الحقائق والاسباب الرئيسة التي برزت في ظاهرة تأخر الزواج أو ما يسمى بالعنوسة من حيث حجمها ، وهل ترقى الى مستوى اعتبارها مشكلة أو أزمة اجتماعية ، أم انهـا مظهر من مظاهر التحضر الذي تتسم بها المجتمعات الحضرية !!!

هدف البحث

يسعى البحث الى سبر أغوار شبابنا في اتجاهاتهم القيميـة المرتبطـة بجانب حياتي مهم يتمثل في الزواج المبكر كونه يمثل شريان يمد الاسـرة بروح الحياة المتجددة سعيا لديمومة المجتمع وحرصا على ديمومـة هـذا الشريان في عطائه وبشكل منتظم باعتباره القوة الفاعلة في التفاعل الحياتـي لاسيما بعد أن بدأنا نتلمس بدء اخفاقه في العطاء ، مما جعلنا نضع ذلك كله تحت عنوان : اشكاليـة الزواج المبكـر أين تكمـن ؟! اشكالية بُحثت من جوانب متعددة هي على النحو الآتي :

١ ـ التعرف على التغيرات الشخصية والاجتماعية والثقافية والاقتصاديـة وانعكاسها على توجهات الشباب في علاقاتهم بالمجتمـع سلبا أم ايجابا .

٢ ـ فهم آفاق الشباب القيمية فيما يتعلق بالزواج المبكر .

٣ ـ دراسة تلك القيم والآفاق والعمل على اعادة صيرورتها على وفق التطور الفكري الموجّه الذي يقود عملية التغير الاجتماعي نحـو التحضـر والتحديـث •

فرضية البحث

ينطلق البحث من فرضية مفادها : ان (القيمة الاجتماعيـة التقليديـة) التي تنطوي تحت ما يسمى بالراسب الحضاري ؛ و (القيمة المادية النفعية) التي تنطوي تحت ما يسمى بآثار العصرنة الغربية تفوق في فاعليتها فـاعلية (القيمة العقلية) و (القيمة العاطفية العقلانية) و (القيمة العقلانية المادية) مما يحدد من انتشار ظاهرة الزواج المبكر •

مدخل وتعريف

ان المكونات الرئيسة للسلوك الانساني هي في واقعها ثلاثة وهي على النحـو الآتي :ـ

ا ـ الثقافـة

ونعني بها المفاهيم المشتركة أو المتعارفات التي يلتزم بهـا المجمـوع الاكبر والغالبية في التركيب الاجتماعي القائم التي يترتب على الالتزام بهـا استمرارية الحياةالاجتماعية ، في حين يترتب على خرقها تقويض البنيـان نفسه بشكل أو بآخر •

ب ـ البناء الاجتماعي

ونعني به تنظيم العلاقات بحيث تتحول من طابعها الفردي أو الآنـي كي تعمل بشكل تنظيمي وظيفته الاساسية ايصال الثقافة ومفاهيمهـا الى الافراد ، وبالتالي فهو يساعد على تحويل الثقافة الى واقع سلوكي متحرك عن طريق معاييره الاجتماعية التي يترتب عليها متواضعات اجتماعية •

ج ـ الشخصية

وتدل على مقدار النمطية التي يحصل عليها الفرد من جـراء امتلاكه المفاهيم الثقافية المشتركة خلال تعامله مع البناء الاجتماعي •

تسهم عملية التنشئة الاجتماعية في تحويل تلك الثوابت الـى عـوامل تحريك تعمل على وفق آلية نظامية اذا ما تسنى لها وحققت انسجاما واتساقا بين ما يعرف بالدافعيـة السلوكية والوسط التفاعلـي (البنـاء الاجتماعي) والغاية الثقافية اذ ترتبط الدافعية بالفـرد نفسـه ؛ ويسمى الوسط التفاعلي بشبكة التنظيمات الاجتماعية التي تعمل على ترويض الدوافع مـن ناحية ودمجها من ناحية ثانية وربطها بالغايات من ناحية ثالثـة ؛ ذلك ان الغايـات حقل ثقافي لان الثقافة بما لديها من سلطة على السلوك وارتباطات بالتراث هي التي تحدّد مدى المرونة واللا مرونة في الاستجابات الفرديـة حيث تصل اليها عن طريق البناء الاجتماعي وبذلك تختار الثقافـة ما تفترض ان يكـون أفضل الغايات ثم تحرك البناء الاجتماعي لكي تستقبل تأثيرات الدوافع مع الايعاز اليه بدمجها كي تتناسب والغايات المتعارف عليها ثقافيا •

وفي ضوء ذلك يمكننا القول : قد يتعرض البناء الاجتماعي الى حـالة لاتوازنية إثر تطرف في دوافع الافراد تطرّف يتسبب في عدم اتسـاق وتوازن الدافعية الفردية ، وقد تأخذ تلك الحالة اللا توازنية البناء الاجتماعـي حيث الانحرافية وقد تكون تلك اللاتوازنية مرحلة اقتضاها التغير الاجتماعي الذي يمكن اعتباره في مثل هذه الحالة تهالكاً لعناصـر أصبحت فيه لا وظيفيـة ، وتعويضا لها بعناصر أخرى تشبع أكثر حاجيات البنى الاجتماعية •

ففي العهد العثماني ـ على سبيل المثال ـ كان الناس يعتقدون ان مجرد تعليم المرأة القراءة والكتابة يؤدي الى فسادها وخروجها عن الطريق ؛ وقد ألف الفقيه البغدادي الشيخ نعمان ابو الثناء الآلوسي كتابه بعنوان «الاصابة في منع النساء من الكتابة » عام ١٨٩٧م•

وقد ظل هذا الاتجاه سائدا في بعض الاوساط العراقية حتى عهد متأخر، كما ظل راسبا يحول أحيانا ــ دون فاعلية المرأة ، وهي تشهد عصر انفتاح حضاري ، عصر ارتهنت ثورته التغيرية بتغيير القيم كما عبّرت عنها ثورة السابع عشر ــ الثلاثين من تموز ١٩٦٨ بفلسفتها ازاء اعادة بناء الانسان باعتباره هدف الثورة ووسيلتها لبلوغ اهدافها التي ارتكزت في مسيرتها الى طروحات السيد الرئيس القائد صدام حسين ــ حفظه الله ورعاه ــ قائلا : « ان الثورة التي لاتقنن أفكارها ــ أي لاتحوّل افكارها الى قوانين ثورية ــ لتغيير المجتمع تظل ثورية كلامية • وعلى هذا الاساس لابد للثورة أن تتحول الى فعاليات وقوانين وتقاليد راسخة لكي تثبت كحالة نهائيا ــ نسبيا ــ في بناء المجتمع الجديد » •

فبعد أن كان عالم العمل حكرا على الرجال بشكل كامل ؛ أخذت اعداد النساء تتزايد في الاقبال على العمل المهني بلا تردد أو خوف على السمعة ، حيث كافحت المرأة من اجل حقوقها وتعليمها الذي أسهم في سحبها نحو الاستقلالية الاقتصادية وحيث حرية الاختيار والرأي في جميع مجالات الحياة وبذلك تكون قد جذّرت لما يسمى بـ (الهوية الذاتية) •

وفي مجال اختيار شريك الحياة او شريكة الحياة ، فقد كان الاسلوب الأسري في أعرافه هو المعتمد ، حيث يكون الشاب مقيدا في اختياره بأبويه بل خاضعا خضوعا تاما لقراراته ، إلا ان هذا أخذ بالافول المتباطىء حيث حلّت العاطفية ومقاييس الحضارة الحديثة المتمثلة بالتكافؤ والسمات الجمالية •• الخ محل الأبوانية في الاختيار في عصر يزخر باستخدام البرامج المرئية ومختلف البرامج الموجهة للاستهلاك اليومي وسط أجواء ديمقراطية متفتحة ، وايجابية الاتجاه نحو اعادة بناء الانسان ومن خلال توجهاته القيمية •• كل ذلك كان عاملا في تفعيل عملية التغير القيمي في مواكبته لمستجدات العرض القيمي •

وفي مقابلة الاسرة التقليدية بالاسرة الحديثة ما يكشف عن مفارقات متعددة ، فقد كانت أسرة ممتدة وأصبحت نووية ؛ وكانت تلتزم قاعدة الإقامة الابوية ، فلم يعد هناك التزام بقاعدة معينة ، بل يغلب ــ الآن ــ الاقامة المستقلة مبدأ يفضله معظم المتزوجين من الشباب العصري في المجتمع العراقي •

هذه التبدلات قلصت من الزعامة الابوية التقليدية التي كانت تسيطر على جميع أفراد الاسرة الممتدة اذ انكمشت الزعامة وأصبحت محصورة في دائرة الاسرة النواة التي لاتتعدى علاقة الزوجين واطفالهما او اولادهما غير المتزوجين •، كما لم تعد القرابة ــ اليوم ــ تؤدي وظيفتها كما كانت في السابق حيث أخذ باتجاه الاقتران بالاقارب بالتضاؤل، وشاع ــ بدلا عنه ــ تفضيل الزواج بغير الاقارب •

وفي مجال الجنس والعلاقات الجنسية فان السؤال الذي يثار هو : مدى المشروعية التي أضحت تتمتع بها الفتاة في اختيار شريك الحياة وفي مدى اقامة صداقة عاطفية مع من تحب ؟! وفي ذلك تقول :

لقد أسهمت عوامل الحضارة الحديثة في كسر « العزلة قسرا » التي فرضت على الفتاة ــ سابقا ــ حيث آمن الناس ــ اليوم ــ بتعليم الفتاة واعتبروا مستقبلها وحقها في الالتحاق بالجامعة ثم اختيار مهنة معينة وامتهانها كونها أصبحت من مقتضيات العصر ؛ مما عرض العصر الى صراع قيمي تحت ما يسمى بـ «مدى مشروعية عمل المرأة وهي تؤدي دورها كزوجة وكأم » ؟! اذ ما زالت الاصوات تنادي بعودتها الى البيت يقابله صوتها بدعوتها الى الاستقلالية والهوية الذاتية المعبر عنها بحبها وتمسكها بعملها الوظيفي•

ان قضية المرأة ــ اليوم ــ تجاوزت مجرد خروجها الى مجال الحياة

العملية ، الى الحقوق والممارسات وحريتها في اختيار شريك الحياة ــ حتى أمست الدعوة الى كسر ما أسميناه بـ (العزلة القسرية) هي المجال الوحيد والمساعد على تفعيل تلك الممارسات وأخذها مسارها الطبيعي •

ان ما يخشى على شبابنا وسط تلك المتغيرات هو سيطرة المعايير المادية على المعايير الخلفية ؛ وفي ذلك يقول عالم النفس الاجتماعي محللا الهاجس المحرك للحضارة الغربية : «ان حب الكسب يمكن ان يعتبر بحق كما لو كان في اساس كل البنية الاجتماعية للعالم الغربي ، ومن الراجح أن عددا كبيرا من مؤسساتنا لايمكن تعليلها الا تبعا للسلوك الصادر عن حب الكسب»

ومن قبل نبّه الامام الغزالي ــ شرقا ــ الى مخاطر المادية في الحياة وما تتركه من اثر سيء في النفوس ينعكس انحرافا في السلوك قائلا : « يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيها ويحذر منهما اكثر مما يحذر من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيها آثر من آفة السموم على الصبيان بل على الاكابر أيضا » •

ذلك ان من آثار سيطرة المعايير المادية على غيرها تصدع العلاقات الانسانية والاجتماعية بين الناس مما يهدد التماسك الاجتماعي بين أفراد المجتمع الواحد وتهدد تلك الألفة التي يجب ان تجتمع بينهم مما يؤدي الى أن يصبح الكسب السريع والكثير وبشتى الطرق ــ المشروعة وغير المشروعة ــ الهاجس الاول المحرك للشباب •

لقد عكست تلك التحولات الاجتماعية اثرها على الشخصية العراقية فأمست الشخصية العراقية ذات سمات أبرزها :

١ ــ ان كانت ذات نزعة شخصية فردية •

٢ ــ ازدهار الميول المهنية وتزايد الاهتمام بالاختصاص العلمي •

٣ ـ تناقص بعض الانشطة غير الانتاجية .

٤ ـ نمو فاعلية العنصر النسوي .

٥ ـ ميل العلاقات الأسرية نحو التوازن بعد ان كانت تجنح نحو صالح الرجال أكثر من النساء وكبار السن اكثر منها لصالح الشباب .

٦ ـ انتشار الالقاب المحلية والمهنية بديلا للالقاب العشائرية ، اذ اصبح جانبا كبيراً من مكانة الافراد ـ اليوم ـ لايعتمد على لقب الاسرة بقدر الاعتماد على العوامل الجديدة كالتحصيل العلمي والثروة وصنف الوظيفة او المهنة .

٧ ـ ارتفاع سن الزواج ، فالشباب ـ الشاب والشابة ـ اصبحا لايستطيعان الاقدام على الزواج الا بعد اتمام مرحلة الدراسة والحصول على عمل ملائم وأجر مناسب يمكنهما من تكوين اسرة .

٨ ـ تأكيد الحب والتفاهم أساسا للزواج عكس ما كان يحدث في السابق .

٩ ـ الحرية المطلقة في اختيار شريك الحياة من دون السماح للوالدين بالتدخل في هذا الاختيار باعتبار ان الزواج مسألة شخصية بحتة لاتعني سوى الفردين المقبلين على الزواج .

١٠ ـ الاتجاه نحو تفضيل الاقتران بشابة عاملة حتى تشارك ماديا في عمل أعباء الاسرة .

العـزوبـة

ان العزوبة في ابسط معانيها هي العزوف عن الزواج اختيارا أو قسرا .

وان ظاهرة العزوبة ليست حديثة في حياة المجتمعات بل هي ظاهرة قديمة موغلة في القدم ، اقترنت في اولى مراحلها بالسحرة وممارسة الطقوس الدينية ـ حيث عدت في مثل هذه البيئات احدى مستلزمات النظام الاجتماعي القائم

في الملل الاجتماعية فهي ضرورة الزامية تتطلبها اجـواء ممارسـة السحـر والإيمان الكهان ، تجبر بعض الادميين ليعبـروا عـن انتمائهم لتجمعهـم البشـري •

ثم ارتبطت فكرة العزوبة بتطور المجتمـع وتمدنه و ــ بالـذات ــ بمتغيرات التعليم والتصنيع والرفاهيـة التي أرجأت زواج المتعلـم والصناعي والثري لأجل ابعد ، مما تقرره ثقافة تجمعه البشري لعدة سنوات لكنـه لم تمنعه منعا تاما ــ بعبارة اخرى ــ اطالت من عمر العزوبة فقصرت من عمـر الزواج ثم خضعت لموقف معاشي اتخذه بعض الشباب من ارتفاع تكاليـف المعيشة في ظل نظام اقتصادي متقدم مما ادى الى ذيوعها وانتشارهـا بـين الشباب •

لم يكن لجوء الفرد الى العزوبـة عبثا او اعتباطـا بل بقناعة ودراية ، الا ان هذه القناعة والدراية خضعت للارادة الذاتية حينا وللارادة الاجتماعية حينا آخر أي الى التقليد الاجتماعي العاداتي والثقافي • وبذلك يمكن التمييز بين انواع العزوبة بوجود نوعين لها :

١ ــ الاضطراري

اي اللجوء الى العزوبة بسبب ضغوط قاهرة تدفع الى حالة اللازواج من ذلك : ضغوط العصر المتمثلة بمتطلبات الحياة العصرية المتطورة مثل دخول المرأة الى الجامعة للدراسة فيها ، ودخول المرأة الى حيز العمـل بشـكل متزايد وهي في سن الزواج المحدد ثقافيا واجتماعيا من قبل مجتمعهـا الذي أرجأ فكرة الزواج لديها مع بداية دخولها مجال العمل الى اجـل بعيـد ، كذلك فعالية حركات تحرر المرأة ومطالبتها بخروج المرأة من دورها التقليدي المحصور بالزوج والامومة المبكرة وعدم مطاوعتها له والتريث في ممارسته ؛

كذلك التعايش التجريبي الذي يشير الى تزايد اعداد الفتيات والفتيان بالعيش معاً من دون دخولهما في عقد رسمي مكتوب ، الامر الذي ادى الى ارجاء فكرة الزواج وتحويل علاقتهما الى اختبار تجريبي قبل دخولهما فعلا في علاقة أو ارتباط رسمي وفي هذه الحالة انما يسمح بممارسة العلاقات المشوبة بحرية تامة بينهما مما يتسبب في ضعف مفهوم الاسرة والابوة مستقبلا ، والاستهتار بالرباط الزواجي بعدما كان مقدسا ، وتجريح النسق الاخلاقي وتحجيم تأثيرات التعاليم الدينية •

وضغوط معاشية ينطوي تحتها ارتفاع تكاليف العيش وتفاقم نفقات المعيشة بحيث وضعت الفرد في موضع العجز من الاقدام على الزواج وتأسيس أسرة وتأثيث منزل بكامل احتياجاته وادواته والمشكلة حينئذ تظهر اكثر تعقيدا اذا ما تولد عزوف من الافراد عن الالتحاق ببعض المهن ، مثل هذه الاحباطات تحول دون تفكير هذه الشريحة بالزواج والتأسيس لأسرة وتحمل المسؤولية ، بل يفضلون العزوبة على الزواج •

وضغوط قيمية حيث يشير ارتفاع المهور الى تطلب نفقات باهضة لسد احتياجات ومتطلبات مراسيم الخطوبة وحفلة الزواج فضلا عن تأثيث المنزل بمعظم احتياجاته ومتطلباته قبل الزواج وفي حالات عديدة تبالغ اسرة العروس في استهلاكها المظهري لتعبر عن مكانتها الاجتماعية داخل تجمعها البشري المحلي ، الامر الذي لايشجع الفتى على الاقدام على الزواج لضعف امكانيته المادية في تغطية تكاليفه مما يضطر على البقاء أعزب وعدم خضوعه للقيم الاعتبارية التي تتمسك بها اسرة العروس ، وفي هذا الخصوص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير النساء أحسنهن وجوها وأيسرهن مهوراً » وقال صلى الله عليه وسلم أيضا : «أبركهنّ أقلهنّ مهراً » • وهذا

يعني ان القيم الاسلامية تتعارض مع القيم الاجتماعية التي تعتمدهـا بعض الاسر في جعل غلاء المهور اساسا في القبول او الرفض للزوج •

٢ ـ العزوبة الطوعيـة

ماهي الا صيرورة او نتاج الانانية النرجسية والاستمتاع الترفي الفارغ والهرب من المسؤولية الاجتماعية التي تتطلبها كل ملّة اجتماعية ، وفي ذلـك ما يحجب صيرورة الاسرة مما ينطوي على آفة تنذر بأفول المجتمع •

تصميـم الاستبيـان

انطوت الاستمارة الاستبيانية على المعلومات الآتية :

ــ بيانات أوليـة

ــ الاسباب المحتملة لتأخر سن الزواج وهي على النحو الآتي :

١ ــ اسباب شخصية

١ ــ اسباب اجتماعية ثقافية

٣ ــ عوامل حضارية وخارجية

٤ ــ المهر وتكاليف الزواج

٥ ــ العلاقات الجنسية غير الزواجية (العلاقات المنحرفة)

٦ ــ التعليم والامتهان الوظيفي

ــ استشراف مستقبلي ــ من خلاله يمكن للمبحوث (عينة البحـث) ان يشخص المعوقات ويدلي ــ في الوقت نفسه ــ بالحلول التي من شأنها تذليل المعوقات (*) •

(*) ملاحظة / بالتعاون مع كل من كلية الاداب والشريعة وكلية الفنون الجميلة تم توزيع وملء (٥٠٠) استمارة استبيانية وعلى مختلف المراحل «اولى ــ حتى الرابعة وطلبة الدراسات العليا» تشكر الجهات لتعاونها •

استمارة استبيان الاسباب المحتملة في تاخر الزواج

الاسباب	اجابات المبحوثين نعم	كلا
١ ـ اسباب شخصية		
ـ لأن الزواج قبل ان يكون تلبية لرغبة جنسية أمسى تلبية لتفاعل الرغبة العاطفية مع العقلية مما اقتضى تأخر سن الزواج •	٤٠٠	١٠٠
ـ تجربة الحب قبل الزواج اسهمت وبفاعلية في تأخر سن الزواج	٣٥٠	١٥٠
ـ عدم قدرة الشباب من كلا الجنسين ـ على العثور على شريك الحياة المناسب أسهم ، وبفاعلية ـ في تأخر سن الزواج	٤٠٠	١٠٠
ـ الزواج المبكر يعيق الشاب عن تحقيق طموحاته	٤٠٠	١٠٠
٢ ـ أسباب اجتماعية ثقافية		
ـ أؤكد ان الشاب أو الشابة الذي لايقترن بقريبة سيصاب بخيبة أمل في الزواج	١٠٠	٤٠٠
ـ والدتي واخوتي واخواتي في حياتهم الزوجية اسهم وبفاعلية في الحيلولة دون التفكير في الزواج المبكر	٢٥٠	٢٥٠
ـ يثير قلقي الشاب الذي يعزف عن الزواج لما سمعه من شكوى بين أقرانه المتزوجين		
نوع الشكوى حسب الاهمية :ـ		
١ ـ مادية		
٢ ـ اجتماعية		

استمارة استبيان الاسباب المحتملة في تاخر الزواج

الاسباب	اجابات المبحوثين نعم	كلا
٣ ــ مهنية (حب الرجل او المرأة لعملهما الذي يفوق حبهم لمهامهم الأسرية) (لم تحض بالاشارة)		
ــ يسهم العرف العائلي بدور فاعل في تأخر سن الزواج.		
* سعي الأسرة نحو الحفاظ على وحدتها		
* حرص الأسرة على مواصلة ابنائها لمسيرتهم العلمية		
* اصرار أسرة البنت على السكن المستقل .		
* رفض الأسرة مبدأ استقلال الشاب في السكن		
٣ ــ المهر وتكاليف الزواج		
ــ يسهم غلاء المهور وارتفاعها في تأخر سن الزواج	٥٠٠	ــ
ــ يسهم اهتمام العائلة بمراسيم الزواج في عزوف الشاب عن الزواج المبكر	٥٠٠	ــ
ــ لا أؤيد الزواج المبكر لعجزي عن توفير سكن مستقل (المذكور فقط)	٢٥٠	١٥٠
ــ لا أؤيد الزواج المبكر اذا كان يعني السكن مع أهل الزوج (للاناث فقط)	٢٥٠	٢٥٠
٤ ــ العلاقات غير المشروعة (غير الزواجية)		
ــ تجربة الحب قبل الزواج أسهمت وبفاعلية في تأخر سن الزواج	٣٥٠	١٥٠
ــ يسهم ضيق فرص التعارف الشخصي في تأخر سن الزواج	٣٠٠	٢٠٠

ـ انفتاح فرص التعارف بين الجنسين أغنى الشاب عن التفكير بالزواج المبكر والاكتفاء بالصداقة	٢٠٠	٣٠٠
٥ ـ التعليم والامتهان الوظيفي		
ـ أمسى الامتهان الوظيفي والتعليمي من أسباب عزوف الشباب عن الزواج المبكر	١٥٠	٣٥٠
٦ ـ عوامل حضارية وخارجية		
ـ أسهم الانفتـاح الحضاري المعبّر عنه بعصر الانفتاح العلائقي والاتصالاتي والثقافي والعلمي بدور فـاعل في تأخير سن الزواج	٣٥٠	١٥٠
ـ أسهم الحصار المفروض على القطر العراقي وبفاعلية في عزوف الشباب عن الزواج المبكر لانه عمل على تحجيم فعالية الشباب الاقتصادية	٥٠٠	ـ

استبيان الاسباب المحتملة لتاخر الزواج

ـ مفهوم الزواج يعني بالنسبة لي ...

ـ معنى الزواج حسب الاهمية ..

الذكـــور	الانـــاث
ـ الاقتران بفتاة ذات جمال	ـ الاقتران بفتــى ذي شخصيــة جذّابة
ـ الاقتران بفتاة متديّنة	ـ الاقتران بفتى متديّن
ـ الاقتران بفتاة ذات مستوى علمي	ـ الاقتران بفتى ذي مستوى علمي عــالٍ

ـ انحسرت ظاهرة الزواج المبكر في مجتمعنا حتى أصبحت مشكلة تستحق التفكير والحلــول . نعم (٤٠٠) .

كانت المسألة (المادية) تشكل العقبة الاساسية التي يشكو الشباب منها كانت مسببة قلقة وهو يعيش حياة لاتخلو من استفهام ؛ مؤكدا ان للحصار اسهاما فاعلا في مثل هذه المسألة ؛ مع عدم تجاوز الثناء والشكر لمبادرة الدولة في هذا المجال ، لاسيما بشأن ما ستقدمه من سلف للزواج أو بناء شقق للمتزوجين ومنحها لمستحقيها باسعار زهيدة •
من جانب آخر تجلت شكوى الشابات في الوقت نفسه من العبء الكبير الذي سببه الحصار في هذا المجال حيث كان سببا مباشرا في هجرة الشباب الى خارج القطر طلبا للرزق الأوسع •
تلتها الشكوى من الموروث العاداتي بشأن التزام الشاب أو الشابة بالزواج القرابي مع تأكيد من قبل المبحوثين على انتشار هذا الموروث وسط المدينة ؛ الا أن حدّته تأخذ بالارتفاع كلما ابتعدنا عن المدينة نحو الريف •
ومن ثم الشكوى من الاختلاط بين الجنسين والانفتاح العلائقي بينهما قبل الزواج •
والانفتاح الحضاري المعبّر عنه بمستوى ما يشاهد الشاب من أفلام أو بتبرج النساء أو عزوف الفتاة عن الجلوس في البيت •

- في حين لم يتفق سوى (١٠٠) من المبحوثين مع العبارة التي تدلي بما يأتي : «عزوف الشباب عن الزواج المبكر لايعني وجود مشكلة تستحق التفكير» •
- عدم قدرة الشاب على الزواج المبكر يتسبب في الانعكاسات السلبية حسب الاهمية :ـ

* الاستغراق لساعات طويلة في النوم •
* الادمان على استعمال الاجهزة المرئية ومشاهدة ما يشاء من أفلام •
* العزلة والادمان على قراءة الكتب الدينية والتردد على دور العبادة•
* الامراض النفسيـة •

ــ ما هي الفترة المفضلة للزواج

« الفترة حسب الاهمية »

* بعد الحصول على العمل •
* بعد التخــرج •

ــ ما هي السن المفضلة لزواج الفتاة ؟•

السن حسب الاهمية :

٢٠ ــ ٢٥

٢٥ فــأكثر

ما هي السن المفضلة لزواج الفتى ؟•

٢٥ ــ ٣٠

٣٠ فــأكثر

ــ أين تكمن هموم الشباب ؟

ــ التفكير في المستقبل وما ينطوي عليه من استفهامات سببها الحصــار الجائر المفروض على العراق •

ــ الزواج يعني بالنسبة لي (اكتب ما يتفق وغايتك من الزواج)

ــ اكمال نصف الدين •

ــ تحقيق السكينة والاستقرار من خلال الفوز بمن تحب •

تحليــل واستنتــاج

في ضوء صفحات البحث النظرية والموثقة تجريبيا أستطيع القول :

ان الفرد العراقي أمسى فريسة صراع حضارتين ــ حضارة تأخــذ به حيث الاستقلالية وتكوين الهوية الشخصية ، واخرى حيث التقليدية التــي كبّلتها العرفية بثقافتها المعبّر عنها بثقافة الموروث الاجتماعي التقليدي ثقافة (السيد والعبد) • نعم هكذا هو واقعنا نحن الشباب اليوم ، ونحن نعيــش في ظل أسرة قوامها الاب اولا والاخوة ثانيا فالام ثالثا التي تنضم بصوتهــا الى صوت زوجها شاءت أم أبت ــ وفي الغالب بارادتها لانها هكذا تربّت •

وهنا علينا التوقف للتساؤل عن سبيل خلاصنا من هذا المأزق ، ولا خلاص لنا الا بما أسميه استبداد الشباب ـ وعذرا ان كانت الكلمة قاسية أو ثقيلة اذ غالبا مايكون ثقل الكلمة ترجمة لثقل الواقع الذي نعيشه وعشناه ونأبى مواصلته أو على الاقل رعيل الاجيال الناشئة من بعدنا ـ نعم علينا أن ندلي بهويتنا ونطالب بالتصديق عليها من قبل من كبّلونا بأساور من قيود عفا عليها الزمن ، أو يرفضها واقع وآفاق العصر الحالي والقادم ؛ فعلى أصحاب القرار في هرم القاعدة أن لاينظروا الينا بمنظار عصرهم والواقع الاجتماعي الذي استظلوا به اذ لكل عصر واقعه ومشاكله وآفاقه، وذلك ايمانا مني بتجدد الحياة وتغيرها ؛ وفي ما نصنعه نحن الشباب تكمن مصداقية التغيير •

علينا أن نعرف ماذا نريد وارساء دعائم رصينة للوصول حيث نريد وبذلك نكون قد سهلنا لفتح قناة تصل بين لغة من ربّونا ولغتنا المعاصرة (ينظر مخطط رقم ـ١ـ) • وفي ضوء المخطط يعني ان نعد شبابا قوي الشخصية مقابل شابة قوية الشخصية قوتها تحل محل الجمالية وتخلق لها جاذبية شخصية جوهرية ، ونكون بذلك قد ملأنا او تجاوزنا فراغ (العرفية والمادية) اللتين تعبر عنهما الأسرية تارة والشابة تارة اخرى ، سواء بطلب مهر غالٍ او الاعداد للزواج ككل ؛ وبذلك نكون قد أحللنا (القيمة الاعتبارية) محل (القيمة المادية النفعية) بوصفها سمة ميّزت الحضارة الحديثة وحققنا الهوية الذاتية محل الهوية التابعة هوية السيد والعبد •

تنطوي تلك الجدلية ـ اذن ـ على ابعاد تربوية اجتماعية يمكن في ضوئها ـ تحريك العاطفية العقلية على حساب المادية الاجتماعية •

الاجيال التي سبقتنا لم تعرف الحب كقشر فارغ كما يجوز التعبير عنه ، ونحن نحيا حضارة حديثة يشهد واقعها ان الغالبية العظمى ممن عاشوا قصة حب قبل الزواج أن كان مصير حياتهم الزوجية الفشل •• بل عرفت

الحب بمعانيه المثقلة بالعقلانية ، عرفت الاجتهاد ، لم تعرف هذا قبيح ، وذاك حسن المظهر ، لكن عرفت ان في ثنايا تلك المواصفات ما ينطوي على ثمرة طيبة اذا ما قدر وطلب تفعيله •

ــ وفي ثنايا الحضارة التي تأخذ بيد شبابنا الى الاستقلالية ، وتكوين الهوية تنطوي الاشكالية الاخرى ، او تتجسد في رعيل الشباب المتطرف قيميا وماديا في مواكبته حضارة العصر ماديا ومعنويا ــ تسبب تطرفه في بروز رعيل من الشباب قد يحق ان نسميه شباب القشر الفارغ فقد تجسدت في طموحاتهم المادية التي فرغت من محتواها المعنوي وفي ذلك ما ينذر المجتمع بخطر يمد بأثره على ساحة القيم الاجتماعية في توجهاتها المستقبلية •

ــ على مفترق الحضارتين (التقليدية والمعاصرة المتطرفة) يكون مجتمعنا منذرا بهوة أو فجوة كما يسميها علماء الاجتماع ستملأ بما نخشاه على مجتمعنا بما يسمى بـ (الانحرافية) وقد يعبّر عنها مظهريا أو سلوكيا ؛ والسلوكية بدورها ستأخذ أنماطا عديدة قد تكون انحرافية فكرية في كأن يبرز على السطح (الزهّاد) لا زهّاد العباسية الاسلامية بل زهاد العصرنة الغربية (المتطرفة) ممن سيسعى جاهدا للنبش في التراث مفرغا بذلك ومعبراً عن همومه ليلبس التراث ما يشاء من ألوان فكرية وحسب اجتهاده ، وربما يسيء فهم التراث ••

وقد تكون انحرافية مادية اللجوء الى كسب المال من أي طريق كان (مشروعا أو غير مشروع) سعيا منه للحاق بحضارة العصر والقدرة على الاستجابة والتحدي أمام متطلباتها المادية من ذلك على سبيل المثال ــ سعيه للفوز بامرأة فارعة الجمال ، غالية المهر ــ أو انحرافية جنسية كأن يتهادى في الصداقات غير المباحة شرعا أو قانونا•

مخطـط رقـم (١)

الفتـــاة او الفتـــى

⇅

العائلـــة ← استبداد الشباب (فتـــى ، فتـــاة) → العـــائلة

⇅

الفتـــى او الفتـــاة

استشـراف مستقبلـي

يمثل هذا الاستشراف المستقبلي وجهة نظر الباحثة ومن خلاله :ــ

ــ دعوة شابات هذا العصر الى غض النظر عما يسمى بقشور الحضــارة المادية المعبّر عنها بالتكاليف الباهظة التي يتطلبها الزواج ، مؤكــدة ان النفس البشرية اذا ما قدر لها وسكنت الى مــن ترغب فان سكنتهــا ستطيب عن كل ملذات الدنيا ــ وفي قوله تعالى : « خلق لكــم مــن أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمــة » خــير دليــل على ذلك •

ــ عزيزتي ــ شابة هذا العصر ــ لاتتصوري أن تظفري بشاب ثري يعني أنك تظفرين بالسعادة اطلاقا ــ ذلك ان مفاهيم الحياة الاجتماعية تنقلب رأسا على عقب بعد الاقتران بشريك الحياة ــ ذلك لأن اللغــة اليومية التي ستجمعكما قبل ان تكون لغة مادة ورموز معبَّر عنها بالسيــارة الفخمة والقصر الفخم تصبح لغة أحاسيس ومشاعر ، فأين ستجــدين ذلك ان كان فاقدا لها ؟ ولو حاولتِ فتح باب الحــوار الاجتماعي مع من تعيشين في قصور فارهة واسأليها عن معنى الحياة الزوجية وما دور المادة ونسبتها في تحقيق حياة زوجية سعيدة والتقي بفتاة تحيــا حياة بسيطة ــ فقيرة ــ واسأليها عن الحياة الزوجية ــ ستجدين الاجابــة : ان الحياة تعني الظفر بمن نحب لا بما يملك من نحب ، يعني ان تظفر بقلب مخلص وعقل مدبر فتلك الحياة الزوجية السعيدة ، وان خفف المال اليسير شيئا من العبء فالزيادة من الخير خير •

ــ ولشباب هذا العصر اقول : ليكن مهر من تريد الاقتران بها عامل حثّ بالنسبة لك يدفع بك حيث العمل الحثيث بجد واجتهاد ، عمل يحقق لك مورد رزق ثابت أياً كان مستواه ، لان شباب هذا العصر قــد يحق لنا أن نطلق عليه اسم (شباب الطفرة) ، نعــم لانه يطمــح للصعــود الى السلّم بأقصى سرعة ممكنة بلا تدرج وبلا معاناة •

واذا سلـّمنا بأن الغالبية ينتمي الى عوائل فلاحية الاصل أبت عيونها أن تنام ما لم تسقي زرعها وترعى ماشيتها .. مع قناعتي ان لكل عصر ثوبه ، لكن علينا ان نواكب عصرنا مستثمرين ما منّه الله عـز ّ وجـلّ علينا من قدرات عقلية وعضلية حتى نرقى السلـّم وبتدرج لا بطفرة . وتذكر ان صداق المرأة مهما زاد قدره فانّ الله قال «لاتأخذوا منه شيئا ولو آتيتم إحداهنّ قنطاراً» فلفظة (قنطار) يـراد منهـا الدلالة على السعة والكثرة ، وقد استدلت به المرأة التي اعترضت على عمر الفاروق ــ رضي الله عنه ــ حين دعا الى تحديد المهور لانه حق جعله الله للنساء بلا حدّ معين،مما دعاه يسلـّم بقولها فيقول: (أصابت امرأة وأخطأ عمر).

ــ دعوة الاسرة الى تشجيع ابنائها على السكن المستقل .. اذ تظن أغلب الأسر ان حفاظها على ولدها من الاستقلال في السكن يعني الحفـاظ على رباط المـودّة ، في الوقت نفسه تجده سبيــلا لتدبير المعيشـة والاقتصاد ، وأرى ان ذلك ليس بصحيح ، بل خطأ كل الخطأ ، ولكن قد نعطي بعض الحق ــ وفي أحيان قليلة ــ اذا نظرنا الى الوجه الآخر من هذه القضية الى الشابة ــ صاحبة الشأن ــ الشابة ان هي الا نموذج مصغر لوالدتها ــ الفتاة العراقية وفي ضوء معايشتي لها ــ قبـل وبعد الزواج ــ مهما بلغت من نضج ثقافي تبقى في داخلها تواقة الى تعويض شيء كانت تفتقد اليه في أسرتها ــ حقوقها .. في ابداء الرأي في ــ اختيار شريك الحياة .. الخ فاذا ما اتيحت لهـا الفرصة وأصبحـت سيدة أسرة كان بيت الزوجية الوعاء الذي تفرغ فيه جـام غضبهـا لتظهر ذاتها . كذلك نجد بالمقابل فتاة الاسرة الديمقراطية تذهب الى بيت الزوجية متناسية ان الحياة الزوجية قبل أن تعني توظيفـا لـما يسمى (سلطة السيد وأعوانه) تعني التكافؤ ، تعني المشورة ، تعني أسمعك وتسمعني أو لا تسمعني ولا اسمعك ، بقصد تحقيق السبـق وبالتالي تحقيق الفوز بما نسميه بالعامية شخصيتها اقوى من شخصية

زوجها أو هي من يسير امور الاسرة لا زوجها ــ صوابا أو خطأ ــ وفي ذلك ما سيؤدي الى (انكسار وظيفي) قد يكون الابناء مستقبلا هم ضحية هذا الانكسار

وأوجه كلامي مؤسسيا فأقول :

ــ انحسرت شكوى المبحوثين بشأن العوامل التي تحد من ظاهرة الزواج المبكر في الموروث العاداتي •• حيث استبداد الاسرة بتزويج ابنائها من الاقارب مثلا •

ــ ثقل الحياة المادية المعبر عنها بعجز الشاب عن توفير متطلبات الحياة الجديدة والتفكير بالمستقبل وماينطوي عليه من استفهامات سببها الحصار الجائر المفروض على عراقنا الحبيب •

ــ سوء استخدام مفهوم الصداقات والزمالات بين الجنسين ؛ مما دعى الغالبية العظمى تنظر الى الانفتاح العلائقي نظرة سوء •

ــ أقول : ان في ديمومة الاسرة ديمومة المجتمع ، فلا تنسيك ــ شبابنا العزيز ــ هموم العصر المادي الهموم الخلقية لمستقبل عراقنا الحبيب، اذ أن توانيك عن الزواج ما يسهم وبفاعلية في التهديد الخلقي وبالتالي تحجيم صيرورة الاسرة علما ان الجميع يدرك ان عراقنا الحبيب ومنذ الثمانينات وحتى لحظات اعداد البحث ــ توالت عليه الازمات تلو الازمات فاذا كانت الحرب قد اكلت الآلاف ، فان الحصار الجائر أصاب الكثيرين ، وفي الزيادة السكانية خير سلاح نواجه به عدونا •• وعليك شابة هذا العصر ان لا تضحي بفرصة حياتك في الزواج على حساب الرغبة في الفوز برجل ثروي او رغبة في الصعود المهني علميا أم وظيفيا • وتذكري ان الشابة تأتيها الفرصة في الحياة مرة او مرتين لا أكثر وزهو الفرص الثمينة غالبا ماتكون في نهاية المرحلة الاعدادية من سن الدراسة والفرصة الثانية قد تقل عنها بعض الشيء في اثناء

الدراسة الجامعية لا اكثر ـ أي ان الفرص الجيدة للزواج تتراوح بين عمر ١٧ــ٢٥ سنة او أكثر قليلا •

وفيما بعد تقل الفرص القادمة ، وحينئذ قد تضطرين الى القبول بما لم يكن من حساباتك فتقولين في نفسك : (هـذه ضريبة العمـر أو ضريبة الدراسة أو الصعود المهني ـ ولعل في صفحات الاستبيان ما دلّ على ذلـك •

ـ وأخيرا أقول : ان تظافر الجهود العلمية لكل من اصحاب الاجتمـاع والاقتصاد (بانشاء مشاريع استثمارية ـ شركات ـ ورش عمل ٠٠) ما يسهم بفاعلية في استغلال طاقة الشباب العقلية العاطفية والعقلانيـة المادية على حساب الاجتماعية التقليدية والمادية النفعية وهذا استندت اليه فرضية البحث ، عما عبرنا عنها «ان القيمة الاجتماعية التقليديـة التي تنطوي تحت مايسمى بالراسب الحضاري ، والقيمـة الماديـة النفعية التي تنطوي تحت ما يسمى بآثار العصرنة الغربية ٠٠ تفوق في فاعليتها فاعلية القيمة العقلية العاطفية والعقلانية المادية مما يحـد من انتشار ظاهرة الزواج المبكر» وفي ذلك ما يسهم في مساعدة العراقية حضارة على الحفاظ على حضريتها وبثوبها الشرقي الذي أبت تجاوزه حيث العاطفية أو القرابة المعبّر عنها بسلطان العائلة في الحفاظ علـى الود ، في الحفاظ على العلاقات القرابية مثـلا ٠٠ الخ والذي كان بمثابة الهاجس الخفي والمحرك لقيم شبابنا في هذا المجال •

ويلقى على أصحاب وسائل الاعلام دور التفعيل التجريبي لما يقـدمه أصحاب الاجتماع والاقتصاد تجريديا •

- في ثنايا البحوث المستقبلية التي تعتمد الاستمارة الاستبيانية التي اعتمدها البحث في محاولة تطبيقها على كليات متعددة الاتجاهات كاختيار كلية الفنون الجميلة مقابل كلية الشريعة ، وكلية التربية الرياضية مقابل كلية التربية للبنات ، كليات من المحافظات الشمالية مقابل كليات من المحافظات الجنوبية ، تقارن اجابات طلبة المرحلة الاولى باجابات طلبة المراحل المتقدمة الثالثة أو الرابعة او طلاب الدراسات العليا .. مقارنة اجابات طلبة الكلية باجابات الشباب اصحاب العمل الحر ولاسيما اصحاب سيارات الاجرة اذ الغالبية العظمى منهم حملة شهادات .. اعتقد في ثنايا اجابات مثل هذه العينات ما يسهم وبفعالية في الكشف عن أبعاد المشكلة وايجاد الحلول لها في نفس الوقت .. ذلك ما سعت اليه الباحثة الا ان ضيق الوقت وحاجتها الى فريق بحث حال دون تحقيق كل ما تهدف اليه .

المصـــــادر

- الثقافة والبناء الاجتماعي والشخصية في ضوء عوامل التحـريك والتركيد السلوكية ـ د. متعب مناف جاسم .
- T. Parsons, Element's pourtheory de LAction (Paris Plor, 1955).
- الاتجاهـات النفسيـة للشباب نحو مركز المراة في المجتمـع العراقي ـ د. جابر عبدالحميـد جـابر ـ المجلة الاجتماعيـة القوميـة ع٣ مج٧ ١٩٧٠ ص ٢٥ ـ ٤٧ .
- التعليم الجامعي فيالعراق وتغير القيم ـ د. جابر عبدالحميد جابـر ـ المجلة الاجتماعية القومية ع١ مج٥ ، ١٩٦٨ ص ٣ ـ ١٨ .
- سوسيولوجيا تاريخ العراق المعاصر ـ د. ثناء محمد صالح الحديثـي ـ رسالة دكتوراه مقـدمة الى جـامعة بغـداد ـ كليـة الاداب ـ قسـم الاجتمـاع ١٩٩٩م .
- المجتمع العربي في القرن العشرين ـ بحث في تغير الاحوال والعـلاقات ـ د. حليم بركات ـ مركز دراسات الوحدة العربية .
- إشكالية القيم في المجتمع العربي ـ د. عبدالرضا بوكراع ـ شؤون عربية.
- الشباب والتوتر النفسي ـ يوسف ميخائيل أسعد ـ مكتبة غريب .
- التوافق النفسي والاجتماعي للشباب ومشكلاته ـ د. محمـد عبدالقادر محمد علي ـ الكويت ١٩٧٥ .
- الكتاب السنوي لعلم الاجتماع ـ د. محمد الجوهري ـ دار المعارف.١٩٨٠ .
- التغير الاجتماعي والتحديث ـ د. سناء الخولي ـ دار المعرفة الجامعية.
- الزواج والاسرة في عالم متغـير ـ د. سـناء الخولـي ـ دار المعرفـة الجامعية ١٩٨٨ .
- دراسات وقضايا من المجتمع العربي الخليجي ـ مجموعـة باحثـين ـ سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية (٥) .
- علم اجتماع الاسرة ـ د. معن خليل عمر ـ الشروق ٢٠٠٠م.

السياسات الاقتصادية المعضدة للزواج المبكر

الدكتور علي عبد محمد سعيد الراوي
رئيس قسم الاقتصاد ـ جامعة بغداد

اولا : مدخل في السكان والنمو الاقتصادي :

يعتمد مهندسو السياسات الاقتصادية الكلية على مجموعة من السياسات تسمى « بسياسات الاستقرار الاقتصادي "Economic Stability policies" تعبر عن مجموعة من التدابير والاجراءات والقوانين والمناهج التي تستخدمها اعلى السلطات الاقتصادية في البلد من أجل ادارة دفة الاقتصاد ادارة اقتصادية كفوءة وبموجب معايير من الكفاءة والواقعية والشمولية والتوازن بما يجعل منها مفاتيح أساسية في أيدي السلطات لتحقيق هدف النمو الاقتصادي الديناميكي المستقر والمتوازن .

ولعل من أهم هذه السياسات هي السياسة النقدية ، والسياسة المالية، والسياسة التجارية والسياسة السكانية ، وهذه الاخيرة تحظى للاسف الشديد بأقل اهتمام في عموم البلدان النامية قياسا بالسياسات الاخرى على الرغم من أهميتها وحساسيتها الشديدة للمتغيرات الاقتصادية الاجمالية .

لقد شاع في الفكر الاقتصادي ان السكان في الغالب يعتبر قيدا على النمو الاقتصادي وانه يشكل محددا (Constrain) وعاملا يقيد حركة المتغيرات الاقتصادية المهمة مثل النمو الاقتصادي والدخل القومي والاستقرار النقدي وغيرها ، وما هذه الافكار الا امتداد لآراء الاقتصادي البريطاني المعروف القس مالثوس (R. Malthus) الذي أشار منذ قرنين الى خطورة استمرار النمو السكاني الذي يتحقق بمتوالية هندسية بينما يتحقق النمو

الاقتصادي بمتوالية عديدة مما يقتضي تدخل السلطات لوقف هذا النمو المفرط عبر سياسات متنوعة منها تأخير وقائع الزواج واذكاء نيران الحروب وفرض القوانين التي من شأنها تحديد النسل بوسائل مختلفة ودفع الافراد الى ساحات القتال من أجل التخلص من بعضهم وفتح الاسواق أمام الغزو الاستعماري •

في مقابل وجهة النظر هذه ينبري بعض الكتاب الى التنبيه الى خطورة هذه الافكار وليشيروا الى أن السكان الذي يولد عوامل الانتاج وأهم هذه العوامل هو عنصر العمل يؤثر في الفعاليات الاقتصادية تأثيرا ايجابيا من زاويتين همـا :

الاولى : كونه عنصرا خالقا للعرض Supply Creative

الثانية : كونه عنصرا خالقا للطلب Demand Creative

وهذا بالضبط ما تحتاجه الفعاليات الاقتصادية شروطا لاستئنافها واستمرارها الى قيام الساعة •

ان كتاب التنمية الاقتصادية يحددون النمو الاقتصادي الحقيقي الصافي بالمقارنة بين معدل النمو الاقتصادي الاجمالي ومعدل النمو السكاني الصافي وان التنمية الحقيقية هي التي يتحقق فيها فرق موجب كبير بين المعدلتين لصالح الاول بمعنى ان يفوق دوما معدل النمو الاقتصادي ذلك المعدل من النمو السكاني الصافي ويحسب ذلك وفق الصيغة التالية :

$$R.G = Y_r - P_r$$

حيث :

R. G = معدل النمو الاقتصادي الصافي (الحقيقي) •

Yr = معدل النمو الاقتصادي الاجمالي •

Pr = معدل النمو السكاني الصافي •

وتحسب (Pr) على وفق الصيغة التالية :

$$P_r = \sum B - \sum D + Mig_n - Mig_o$$

حيث : Pr = النمو السكاني الصافي .
B = الولادات كمجموع.
D = الوفيات كمجموع .
Mign = الهجرة الى الداخل (صافي) .
Migo = الهجرة الى الخارج (صافي) .

ويقر اقتصاديو التنمية انفسهم بأن السكان هم الذين يخلقون السوق Market اللازم لتصريف الناتج بل قبل ذلك فان السكان هم الدافع الذي يدفع بالمنتجين الى خلق الناتج وممارسة الانتاج ، كما انهم لايقرون دوما بأن السكان هو قيد او عبء (Burden) على النمو الاقتصادي بل انه في أحايين كثيرة كان عاملا مهما في دفع النمو الاقتصادي كما يحدثنا التاريخ الاقتصادي وان الامبراطوريات العظيمة لم تبن هياكلها الانتاجية الا في ظل الزخم السكاني الكبير كباني للطاقات الانتاجية ومدافع عن المكتسبات الاقتصادية وفاتح للمصادر الجديدة والثروات اللازمة لادامة الانتاج .

وفي التاريخ الحديث تقدم الصين نموذجا يفند النظرية المالثوسية حيث العدد الهائل من السكان وفي الوقت نفسه الكم الهائل من الناتج والدخل القومي بلا ضجيج او شكوى من هذا الفيض السكاني وقد تكون اليابان أيضا في ظل مساحتها المحدودة مثالا آخر لبلد فيه كثافة سكانية عالية ولكنه يحقق أيضاً انتاجية عالية وناتجا قوميا كبيرا ، ومع هذه المعطيات فلا مبررات اقتصادية كثيرة أمام دول مثل مصر ونيجيريا مثلا للشكوى من القيد السكاني على النمو الاقتصادي معالفارق والاختلاف في الظروف .

وتبقى من المناسب الاشارة الى ان نظريات التنمية تبحث عن أوضاع أمثلية من الناحية النظرية تشكل بيئة مناسبة للنمو الاقتصادي يكون فيها السكان عنصرا ايجابيا في النمو الاقتصادي ولا يشكل قيدا على ذلك النمو عندما يكون عدد السكان بالقياس الى المساحة والموارد الاقتصادية معا محققا ما يسمى في الدراسات السكانية (بالحجم الامثل للسكان Optimal Size of Population) حيث عنده يتحدد أمثل أو أحسن تعداد للسكان يناسب مساحة الاقليم وموارده الاقتصادية القابلة للاستغلال والانتفاع وكلما اقترب السكان من هذا الحد عبر عن ظروف مواتية لتحقيق مزيدا من النمو الاقتصادي الدائم والمتوازن .

ثانيا : العراق والسياسة السكانية المناسبة

يعتبر العراق أحد البلدان المتوازنة من ناحية الموارد البشرية (السكان) بالقياس الى المساحة والموارد الاقتصادية المتاحة بل ان بعضهم يعتقد أن الكثافة السكانية في العراق منخفضة مقارنة بالموارد الاقتصادية الهائلة التي يمتلكها القطر والمتمثلة بالموارد الزراعية والمعدنية الكثيرة المتنوعة بل حتى بالقياس الىالمساحة حيث عظم الموارد واتساع المساحة تقتضي مزيدا من السكان الفعال الضروري لاستغلال هذه الموارد الهائلة حيث الاحتياطي النفطي الاكبر في العالم والموارد الارضية والمائية العظيمة ومكنونات الارض من معادن اخرى كثيرة ومتنوعة .

ان التاريخ الاقتصادي يعلمنا ان العراق كان يحمل على أرضه أكثر من ثلاثين مليونا من البشر هم الاكثر غنى في العالم في عهد الدولة العباسية وان هذا الاقتصاد يتحمل أعدادا مضافة اخرى الى الان بحكم غزارة الموارد والغنى بالثروات .

ان الكثافة السكانية في العراق لاتتجاوز ٥٥ فرد/كم٢ وهي من الكثافات المعتدلة جدا ان لم تكن المنخفضة اذا ما قارناها بمجموعة من الدول ومن خلال الجدول التالي :

ت القطر	الكثافة السكانية (نسمة / كم٢)
١ ـ اليابان	٣٢٤
٢ ـ بريطانيا	٢٣٢
٣ ـ ايطاليا	١٩٠
٤ ـ فرنسا	١٠١
٥ ـ تركيا	٦٥
٦ ـ العراق	٥٥

ويعتبر معدل النمو السكاني في العراق من المعدلات المتوسطة الارتفاع حيث يتراوح بين ٤ر٢ ـ ٨ر٢٪ قياسا ببلدان اخرى حيث يصل الى ٦٪ سنويا في بلدان الخليج العربي وكمعدل عام هو ٥ر٢٪ في عموم بلدان الوطن العربي بمعنى انه يتضاعف (السكان العربي) كل خمس وعشرين سنة تقريبا.

وعلى الرغم من كون الهرم السكاني في العراق يعتبر هرما فتيا نسبيا الا أنه يميل نحو الشيخوخة مع الزمن عاكسا ميل معدل النمو السكاني الصافي نحو الانخفاض وهو أمر يؤشر حالة خطيرة سببها يكمن في تأخر الزيجات وميل معدل الوفيات نحو التزايد فضلا عن الميول المتعلقة بتحديد النسل وظاهرة الهجرة الى الخارج وغيرها من العوامل .

ان التحدي السكاني يعتبر أحد التحديات الحقيقية الواجب الانتباه لها لان العنصر السكاني يعتبر عنصرا مهما من ناحية التوازن الستراتيجي والامني في المنطقة ويعتبر عنصرا سوقيا مهما في بناء معادلة الصراع اللاحقة في هذه المنطقة من العالم حيث عدم الاستقرار واحتمالات الصراع قائمة مع

أقاليم مجاورة تراهن على العنصر البشري ونعتبر التفوق فيه « كماً » يشكل عاملا مرجح لنتائج أي صراع محتمل •

ان الانتباه الى خطورة المعطيات السكانية الراكدة والمتمثلة بتأخر الزواج كظاهرة اجتماعية خطيرة تلقي بظلالها على المجتمع مع كل ما يترتب عليها من آثار ونتائج اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية وأخلاقية وضرورة تدارك الاوضاع السكانية المتمثلة بالعزوف عن الزواج وتأخيره والميل نحو تقليص عدد أفراد الاسرة وقلة التحمس لتكوين الاسر تعتبر أمورا تقتضي البحث والتقصي عن الاسباب ومحاولة وضع الاجراءات والتدابير المناسبة لمواجهة مثل هذه الظواهر التي لاتتفق مع مصالح المجتمع ولا تنسجم مع أهداف التوازن الاجتماعي والاقتصادي وليست هي من ضرورات الامن القومي ولا من موجباته•

اننا نعتقد ان هنالك خطرا حقيقيا متمثل بتأجيل واقعة الزيجات وتأخيرها لمجموعة من العوامل والدوافع والاسباب يتطلب الامر تشخيصها ووضع ما يمكن من حلول واجراءات للتخفيف من شدة تأثيرها لكي تستمر الحياة بشكلها الطبيعي وبما يتناغم مع أهداف النمو الشامل والمتوازن اقتصاديا واجتماعيا •

ثالثا : تاخر الزواج والعوامل الاقتصادية :

اذا سلمنا بأن هنالك ظاهرة سكانية ـ اجتماعية في العراق متمثلة بتأخير الزواج وعدم حصول الزيجات المبكرة بالنسبة والمعدلات المرغوبة والمتوقعة فانالامريقتضي تقصي أسباب هذهالظاهرة الخطيرةوقبلتشخيصأهم الاسباب نعتقد ان لهذه الظاهرة خطورة كبيرة على صعد متعددة اجتماعية وأمنية واخلاقية وسياسية واقتصادية ايضا • فضلاً عن الجوانب النفسية ذات التأثير الشديد على نواحي اخرى تتعلق بالولاء الاجتماعي والسياسي والوظيفي والقيمي •

ومن البديهي القول ان الظاهرة هذه خاضعة للتفسير العلمي ومن الخطأ تفسيرها بعوامل اقتصادية فقط بل تتظافر مجموعة من العوامل في تحقيق ذلك وتبقى العوامل الاقتصادية ذات ارجحية خاصة في التفسير لكن لابد من الاشارة الى بعض اهم العوامل غير الاقتصادية بالآتي :

١ ـ الوضع العام المتعلق بحالة الحرب التي يعيشها العراق منذ اكثر من عشرين عاما واثر ذلك على قرارات الافراد في تكوين الاسر .

٢ ـ أسباب اجتماعية تتعلق بظاهرة المحاكاة والتقليد والمظهرية التي تتعامل بها كثير من الشرائح في قضية الزواج محاكية بذلك مجتمعات متمدنة وغنية ترتب الاولويات على وفق سياقات غريبة عن الثقافات المحافظة نسبيا ولها وجهة نظر حول مفاهيم الرفاهية والمنفعة والقيم والمنافع والمدنية والحضارة وغيرها من المفاهيم الاخلاقية والاجتماعية التي تعمل بموجبها كفلسفة على تأخير سن الزواج لاسيما في ظل التغيرات المادية وتراتيبية السلم الطبقي .

٣ ـ الاسباب النفسية المتعلقة بالنظرة الى الزواج في ظل الانفتاح الاجتماعي النسبي وظاهرة الاختلاط بين الرجال والنساء ودخول المرأة ميدان العمل والفسحة النسبية التي اتيحت لها وللرجال على السواء في قضية الاندماج في الحياة التي خفضت الى درجة كبيرة تلك الحواجز النفسية والنظرات المقدسة الى العالم الاخر وما تحقق من تطاول على بعض الحواجز الاخلاقية التي عملت بموجبها على تخفيض درجة الشفافية والتقديس التي كان ينظر بها الى الجنس الاخر واثر ذلك على تخفيض درجة الحماسة للزواج لاسيما في ظل الهامش المتحقق والشرخ الحاصل على النظام القيمي والاخلاق الذي أثر سلبا في درجة النزوع للزواج في ظل اختلاط الاوراق .

٤ ـ الاثر الذي مارسته الماكنة الاعلامية عموما على موقف الافراد والشباب منهم بشكل خاص حول المنظومة القيمية ونقل الثقافات الغريبة

عن المجتمع وتبني مواقف سلبية من تكوين الاسرة وقد مارس التلفزيون خصوصا والسينما والصحافة في احيان كثيرة هذا الدور .

٥ ـ ظاهرة الهجرة التي ينزع لها بعض الشباب او محاولة الهجرة والتفكير بها تعمل على تقليل محاولات الزواج أو تأجيله في الاقل الى وقت لاحق .

٦ ـ طبيعة النمو السكاني التي تكون فيها ولادات الاناث اكثر من ولادات الذكور ووفيات الاناث اقل من وفيات الذكور مما يخلق دوما فارقا بين الذكور والاناث في العدد يظهر للمجتمع من خلاله ان هناك حالات عزوف عن الزواج .

٧ ـ لعل من الاسباب الاخرى عوامل تتعلق بالخسائر البشرية بسبب الحرب وكذلك حالات الاسر والآثار السالبة على نفسيات الاسرى مما خلق قدرا من الانكفاء بسبب صدمة الاسر وما تعرض له الاسرى من ظروف قاسية في ظل سنوات طويلة من المعاملة غير الانسانية واثر كل ذلك في وقائع الزيجات .

هذه بعض العوامل غير الاقتصادية المؤثرة على قرارات الافراد بالزواج ولكن هنالك عوامل اقتصادية نعتقد انها مهمة جدا بل ان بعضهم يعتقد انها هي العوامل الاساسية وربما الوحيدة التي تؤخر الزواج وهم بذلك مثل منهج الماركسيين في تفسير التاريخ تفسيرا ماديا محضا يجعلون من العوامل الاقتصادية فيصلا في القرارات الانسانية والاجتماعية واهم هذه العوامل هي الآتي :

أ ـ فرصة الحصول على حيز سكني مناسب بمعنى وجود ازمة الاسكان وهي أزمة حقيقية يعاني منها الشباب مثلما تعاني منها الاسر وتلقي بظلالها الثقيلة على كل من يفكر بالزواج المبكر ، واذا ما قدر ان هنالك حيزا سكنيا مناسبا فان كلفة الايجار للوحدة السكنية تستغرق كامل

بل أضعاف الدخل الحقيقي للعاملين في ظل مستوى الاجر النقدي الحالي وهذا ما له بالغ الاثر في تأخير الزواج للشباب .

ب ـ ارتفاع اسعار وكلف تأثيث البيوت الجديدة من الاثاث المنزلي والكهربائيات خصوصا واساسيات المنزل عموما مما له الاثر الكبير في تأخر الزواج .

ج ـ ارتفاع المستوى العام للاسعار وبالتالي تكاليف المعيشة وما يترتب عليها من انكفاء الافراد عن التفكير بالزواج بشكل جدي فضلا عن أن ذلك يعيد ترتيب أولويات الحياة بموجب سلم يأبى البقاء والاستهلاك الذاتي في مقدمة تلك الاولويات في ظل التضخم في الاسعار .

د ـ انخفاض معدل الدخل الفردي النقدي (Monetary Percopita Income) الذي سيؤدي بدوره الى تحجيم اهتمامات الفرد وتقليص دائرة خياراته الى حدها الادنى الضروري والحياتي لتتمحور حول ما يسمى بالحاجات الاساسية (Basic Needs) أو الحيوية (Vital goods)

هـ ـ انخفاض المزايا المادية (النقدية) المكتسبة من تحقق حالة الزواج وقلة المخصصات المالية المستحقة للزوجة وللاطفال المضافة على قائمة الرواتب والاجور (٢ دينار مثلا للطفل او للزوجة) مما يعني ان هنالك عبءً ماديا سيضاف على الزوج ويشكل كلفة مالية قد تفوق قدراته التي يتيحها دخله النقدي القابل للصرف (Disbosible Income) مما يجعله وبموجب تحليل الكلفة ـ المنفعة Cost - Benefit analysis ـ المجرد يعتبر العملية خاسرة أو تضيف تكاليف خارج قدرته على تحملها سيما في ظل التضخم وارتفاع الاسعار وتزايد مستلزمات الزواج ورعاية الاطفال وفي ظل تحرير الاسعار وتقلص الخدمات المجانية مثل التعليم والصحة والخدمات عموما .

و ـ ارتفاع المهور والمبالغة في تقديرها وارتفاع تكاليف اقامة حفلات الزواج التي أصبحت عند بعضهم مستلزما وشرطا لازما وبمواصفات ومستويات مظهرية مسرفة مما يفوق قدرات او امكانات المتقدمين للزواج بل تمنعهم بالاساس من الاقدام على مثل هذه العملية .

ز ـ ظاهرة شيوع الامراض في مرحلة ما بعد الحصار وباشكال وصور غريبة والمترادفة مع ظاهرة ارتفاع تكاليف الخدمات الصحية الوقائية منها والعلاجية بعد التقلص وتحرير الاسعار الذي حصل في الخدمات الصحية والمجانية ودخول المستشفيات الخاصة وتجربة التمويل الذاتي في المؤسسات الصحية مما يعني ان تكاليفا عالية ستترتب على من سيتزوج وينجب أطفالا في ظل غياب تسهيلات معينة يمكن ان تقدمها الدولة للزوجات الجدد والاطفال الجدد كما هو الحال في كثير من بلدان العالم .

هذه بعض اهم الاسباب الاقتصادية التي أفضت وتفضي الى تأخير برامج الزواج لشرائح عديدة من المجتمع والتي لها ابلغ الاثر كما نعتقد الى شيوع ظاهرة العزوبية في المجتمع العراقي .

بعض المقترحات العملية لمعالجة ظاهرة العزوف عن الزواج المبكر

نعتقد ان هنالك بعض الاجراءات والتدابير التي من شأنها التخفيف من ظاهرة العزوبية في المجتمع العراقي اذا ما تم الاخذ بها والعمل على تنفيذها وبسرعة نجمل أهمها وكالآتي :

١ ـ اطلاق سلف زواج مناسبة وتيسيرها بدون فوائد مصرفية وبفترة سماح واقساط وضمانات مناسبة ايضا ومحكمة قانونيا للافراد الراغبين بالزواج ولاكثر من حالة زواج واحدة ان اقتضى الامر تطفأ بعض أقساطها بالولادات الجديدة من الاطفال .

٢ ـ الشروع ببرنامج وطني لانشاء وحدات سكنية ذات حجم وكلفة اقتصادية معقولة وتخصص بتسهيلات معقولة للمتزوجين الجدد على أن يبدأ بالمحافظات اولا قبل العاصمة لما لذلك من اثر متوقع على هجرة العمالة خارج بغداد في ظل سكن مناسب وايجارات مناسبة •

٣ ـ قيام وزارة التجارة باستيراد الاثاث والادوات المنزلية اللازمة بالحد الادنى لاسرة صغيرة وحديثة وباسعار مخفضة نسبيا عن سعر السوق لدعم تشكيل الاسر الحديثة •

٤ ـ زيادة مخصصات الزوجية والاطفال على قوائم رواتب العاملين في القطاع العام بما يتناسب مع الارتفاع في تكاليف المعيشة ويحقق حدا أدنى لمواجهة اعباء الحياة الاقتصادية لمستلمي الدخول من غير المتزوجين لتدفعهم الى تحقيق الزواج • .

٥ ـ زيادة حصة الاطفال حديثي الولادة من المواد الغذائية والصحية والاستهلاكية بما فيها الملابس على البطاقة التموينية وفي الاسواق المركزية •

٦ ـ تخفيض اجور الاطفال من اجل التسجيل في دور الحضانة ورياض الاطفال والمدارس والجامعات بما ينعكس على تخفيف الاعباء المادية عن الاسرة •

٧ ـ اعطاء اعفاء ضريبي معقول لكل عائلة يتزوج احد أبنائها او بناتها خلال السنة المالية لاكثر من واحد•

٨ ـ اعفاء الطلبة المتزوجين من كل أنواع الرسوم والتكاليف الدراسية ويشمل ذلك الاناث والذكور •

٩ ــ شمول المتزوجين الجدد بقروض المصرف العقاري وبقروض مناسبة تمكن من انشاء وحدات سكنية ملائمة وبتسهيلات كأن يقدم القرض العقاري بدون فوائد مصرفية •

١٠ــ اعطاء أولوية خاصة للمتزوجين الجدد ومن الرجال خاصة في التوظيف والعمل في القطاع العام ومن امكانات توزيع الاراضي الزراعية او/ والسكنية مع أفضليات وامتيازات في العقود والاجازات الحكومية •

١١ــ تكييف النظام القانوني بما يسهل من عملية تعدد الزوجات وتسهيل هذه المهمة طبقا لقواعد الشريعة الاسلامية السمحاء •

١٢ــ الشروع ببرنامج وطني اعلامي ثقافي شامل تساهم فيه جميع المنظمات المعنية (دينية ــ اجتماعية ــ ثقافية ــ حزبية) للدعوة الى التسريع بالزواج وأهمية ذلك المشروع الانساني وفرضيته ووجوبه الديني والاجتماعي والاخلاقي •

COMPUTER PRESCRIPTION OF INFLECTED PRONONUN :

Dr. Asaad Arar

PROCESSING AND PROBLEMS

ABSTRACT

This paper falls into the linguistic tradition, it handles the issue of language prescreption to an inanimate device as part of an attempt by the researcher to prescribe posessive and objective pronoun to the computer, pointing the indicators of the pronoun and identifying its reference: The reference can only be a noun, bound morpheme, sentence structure, morphological deconstruction, functionality, and agreement.

The paper further tackles th problems that such and attempt might pose: metaphors, multi-reference, contextual memory, and ranking.

THE PITFALL OF ARAB ECONOMY:

between One Country Isolationism and the Political economy of globalization

by: Dr. Mudher. M. Saleh.

ABSTRACT

The critical point to Look for a new equation to rectify and equalize the march of nationalism movement, is not far from that current conflict between Arab Nationalism and Globalization, Which mainly requires a deep intellectual Capabilities to rebuild a new discourse of the Political economy of development that Strongly calls for establishing a specific Arab area of power and Consider it as a modle of a new nation-State within the framework of recent Arabic regoinal System. Accordingly, two phenomena of such conflict must be taken into our Consideration:-

Firstly, the Setback of One Country State model by merging and blending gradually into global market and its high waves of a new Libera-Lism, Secondly, the Arab nationalism Feature which is encompassed in one country model, Still Struggle against aggretion of the central Capitalism to plunder its actual economic surplus which is prepared for investing in economic development and corresponding widely with a new Arab regional system for unitary in one nation state.

TERMS AND EXPRESSIONS AS SEEN BY SCIENTIFIC PEOPLE AND LINGUISTICIANS

Dr. Muthanna Abdul Razzaq Al - Omar

College of Education for Women/University of Baghdad

ABSTRACT

It is logically accepted fact that language is used to communicate thoughts and ideas through the use of agreeable expressions, words and terms that are, syntactically correct, in spite of that linguisticians sometimes keep reclaiming or correcting certain scientific expressions depending on controversial concepts rather than scientific, thus creating difficulties to scientists and making some terms disagreeable. This article deals with this problem in Arabic language as seen by scientific people and to affirm the importance of consistency and the scientific view of expressions.

WATER ISSUE IN ARAB - ISRAEL SETTLEMENT NEGOTIATIONS

Dr. Gazi Rababah

Jordan University - Amman

ABSTRACT

THE Issue of water has seemed to capture the interest of Israeli politics throughout the sessions of multilateral negotiations, such negotiations have manifested the insistence of the Israeli side to control the water resources in the occupied territories, in addition to drawing forth regional cooperative projects, by which Israel can get a bigger share of water from neighboring Arab countries. Through this policy Israel has tried its best in order to get a share of the Nile River as well as to irrigate northern Naqab area. However, it has not succeeded yet in persuading the Egyptian policy as a result of the public awareness on both public and official levels. Israel has also tried its best to sign peace treaties with each of Syria and Lebanon aiming to dedicate Israel legal exploiation for water resources in the mentioned countries and it did not succeed yet. Israel has succeeded in signing an imparity treaty concerning water in Jordan.

Then came the Oslo agreement to achieve full control on water in the autonomous area. Israel has not fulfilled its commitment in supplying Palestinian authority with any information concerning water, no Palestinian has the right or the authority of planning the ability of water exploitation.

ANCIENT IRAQI HERBAL DRUGS

AL - Badri A. L.

c/o Iragi academy of Science

ABSTRACT

Amongst the old world civilization, the number of medicinal herbs that the Iraqis used were greater then what others nations did.

The Iraqis were the first who wrote a medicinal pharmacopoeia in which the classification of the medicinal plants, was based on their action on human body. They use to identify the individual drugs by the prefixes. If the first one is (Sam) in means that the drug is of plant origin. The second prefix if exist denote to the part of the plant from which that medicine were extracted.

In this article three groups of medicinal plants were discussed, purgatives, poisons and narcotics.

HUMAN VALUES IN THE KHARIJITES POETRY

Dr. Amaal Taher

Al-Yarmouk University

ABSTRACT

This paper deals with and discusses the human values in the Kharijites poetry, it is initiated with introduction aiming at defining the meaning of value linguistically and as a term used by philosophers and sinologists.

The present researches explored, and then realized that the most celebrated values among the Kharijites poets were: insistence on principle heroism, courge and readiness to face death, patience, devoutness, cooperation, asceticism, fidelity and justice. All of these values, accordant to the researches and other student's point of view, seem to be inherited form the pre - Islamic and Bedouin or tribal ethics. But at the same time they were adopted and highly esteemed and exalted by Islam and religious.

THE ISLAMIC MESSAGE AND ITS ROLE IN THE RISE OF ARABIAN - ISLAMIC CIVILIZATION

By. Prof. H. Y. AL-MALLAH

ABSTRACT

The reseadies studies the nature of Islamic message and its main principles in order to escplain its influance in the rise of Arabian-Islamic civilization, and its wide spread betwecn the peoples of Islamic motherland (Dar - Al - Islam).

ARTIFICIAL INTELLIGENCE
(AI)

Prof. Munther Naman Al-Tikriti

Member of the Academy of Science

ABSTRACT

The objective of this paper is to present a study about the concept and applicatinos of the artificial intelligence (AI). The paper presents a number of definitions of the artificial intelligence found in the relevant literatures. The paper also gives the main features of the AI and the areas of its applications. Finally, the paper gives a brief description of the technologies that are needed in this field of science.

Key Words: Artificial Intelligence, Definitions, Features, Applications, and Technologies.

SOME ASPECTS IN THE EVALUATION OF UNIVERSITY PPRFORMANCE

Prefessor (Dr.) Mazin A. H. Kadhim
Electronic Engineering
Member of the Academy
Dean of Engineering
Saddam University
Baghdad

ABSTRACT

Every now and then, the problem of accreditation focused upon within university circles.

Concerned with accreditation are curricula, degrees and departments that ought to show a minimum standard had been achieved. An important by product would be specifying the position of distinction for each college of university on a national or an international level.

This paper gives the background of this activity and gives several suggestions to tackle this problem.

IMPORTANT DEVELOPEMENTS IN MATERIALS TECHNOLOGY. BEGINNING OF INORGANIC AND HYBRID POLYMERS AGE.

Dr. Jalal M. Saleh

ABSTRACT

The past four decades have seen a revolution in material technology; plastics have superseded many natural meterials. New organic polymers may themselves be replaced by other materials with superior mechanical, thermal and chemical properties.

High thermal stability, corrosin resistance, novel electrical properties are well considered in selecting new material for industry. Inorganic polymers can have distinct advantages over their organic counterparts. Inorganic materials include not just platsics but also ceramic, glasses and cements. Polymer chains or molecular and atomic networks, incorporating phosphorous, nitrogen and sulphur, as well as silicon and oxygen, are being designed to provide the sophisticated moden materials of the new century.

Key Words

Cements, Ceramics, Glasses, Inorganic Polymers, Plastics, Polyphosphazenes.

Journal

of the

ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal - Established 1369 H - 1950

Add : ACADMY OF SCIENCES.

P. O. BOX 4023 AADAMEA, BAGHDAD - IRAQ

Tel : 4221723 - 4222066 Fax : (964 - 1) 4254523

E-mail : aos@uruklink.net

— Annual Subscription : In Iraq (4000) I. D.

— Outside Iraq (50 Dollars) air mail not included

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٦٧٦ لسنة ٢٠٠١



Journal

of the

ACADEMY OF SCIENCES

No. 4

Vol. 48

1422 H—2001